

مجلة كلية الآداب

مجلة علمية دورية فصلية محكمة تصدر عن كلية الآداب بجامعة الزاوية
العدد السابع والعشرون الجزء الأول
يونيو 2019 م

رئيس التحرير
د. إبراهيم محمد سليمان
مدير التحرير
د. المختار عثمان العفيف
المراجعة اللغوية
د. محمد البنداق

الهيئة الاستشارية

د. مختار عمر برطشة
د. أكرم أبوبكر الهوش
د. مولود علي برييش
د. البشير عبد الحميد مفتاح
د. محمد الغرباوي
المشرف الفني
أ. أشرف محمد عبد الله مرقب

الترقيم الدولي ISSN2521-9235

ت

رسل البحوث باسم رئيس التحرير - كلية الآداب - جامعة الزاوية

www.aladab.zu.edu.ly

دار رؤية للطباعة والدعاية والإعلان
الزاوية- شارع عبد المنعم رياض- 0925031603

قواعد النشر

- تنشر مجلة "كلية الآداب" الأبحاث الأصلية والمبتكرة التي تتسم بالجدية والدقة والمنهجية، والتي لم يسبق نشرها في أي مطبوعة أخرى، وليست جزء من رسالة ماجستير أو دكتوراه للباحث.
- تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر إلى الفحص العلمي بشكل سري من قبل متخصصين، وتحدد صلاحيتها للنشر بناء على رأي لجنة التحكيم.
- يجب أن يتقيد الباحث بالمنهجية، وأصول البحث العلمي، أن يشير إلى الهوامش والمراجع في المتن بالأرقام، وترد قائمتها في نهاية البحث لا في أسفل الصفحة.
- يجب إن يقدم البحث مطبوعا بالحاسوب من نسختين، مرفقا معهم قرص (CD) يتضمن البحث المطلوب نشره.
- يجب أن يكتب الباحث اسمه وعنوان البحث ومكان العمل ودرجته العلمية في ورقة مستقلة، ويعاد كتابة عنوان البحث فقط على الصفحة الأولى للبحث.
- اللغة العربية هي اللغة الرسمية للمجلة، ونرحب بالبحوث المكتوبة باللغات الأجنبية على أن ترفق بملخص واف باللغة العربية.
- ترحب المجلة بنشر ملخصات الرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراه) التي تمت مناقشتها وإجازتها، كما ترحب بإسهام الباحثين بعرض الكتب والدراسات والتقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية.
- تقبل المجلة نشر الإعلانات المتعلقة بالأنشطة العلمية.
- تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها للمجلة، على أن تكون مستوفية الشروط سالفة الذكر.
- الآراء الواردة بالمجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها فقط

المحتويات

رقم الصفحة	اسم الباحث	عنوان البحث	رت
13 - 1	د.سمية الطيب الطاهر عمران	أخلاقيات المهنة بين التطبيق والإلزام	1
31 - 14	د.خيرية بشير أحمد بشير	المقدمات في العربية دراسة دلالية صرفية	2
50 - 32	د. ابوحرارة محمد عبد السلام	تأثير العولمة على البناء الاجتماعي للمجتمع العربي: دراسة تحليلية	3
69 - 51	د. رمضان محمد رمضان	الضوابط الطبوغرافية والمناخية لنمو النبات الطبيعي في الجبل الغربي	4
82 - 70	د. خديجة أحمد الطناشي	الرعاية الصحية في إثيوبيا (1899 - 1913)	5
97 - 83	د.نجاح بلقاسم زايد	الأسس الفلسفية لشريعة حمورابي	6
122 - 98	د.عبد المجيد علي التقاز	الفكر الفلسفي الإسلامي: النشأة والتطور	7
150 - 123	أ. الطاهر الواعر علي الواعر	آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية	8
179 - 151	د. فتحية أبوراوي اشتيوي منصور	التجارة الخارجية للثروة السمكية الليبية ودورها في سد الفجوة الغذائية	9
204 - 180	د. مولود الهادي إبراهيم سليمان	مراعاة الترتيب في مال المفلس "دراسة فقهية تأصيلية"	10
227 - 205	د.جميلة محي الدين البشتي	مفهوم الكمال الإنساني عند فخر الدين الرازي	11
252 - 228	د.طيب السنوسي الأشهب	أحكام التعجيل بإخراج الزكاة المفروضة وزكاة الفطر	12

268 - 253	أثر تدريس مادة التطبيقات التدريسية على بعض مهارات التدريس لدى طلاب كلية التربية بالزاوية د. عبدالرزاق البشير قدارة	13
290 - 269	الاحتراق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية د. محمد مولود بالحاج	14
213 - 291	Investigating Speaking Difficulties that Faced by College Students at Faculty of Education- Azzawia University/ May, 2019 أ. عائشة أحمد المقطوف اوحيدة	15

تنويه

إن تقديم البحوث المنشورة أو تأخيرها في ترتيب الصفحات لا يعني المفاضلة، لكن متطلبات التنسيق الفني هي التي تتحكم في هذا الترتيب.

أخلاقيات المهنة بين التطبيق والإلزام

د. سمية الطيب الطاهر عمران

كلية الآداب - جامعة الزاوية

المقدمة:

الاهتمام بأخلاق المهنة ينطلق من مفهوم قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة النحل، الآية: 89] فالقرآن الكريم بين ما يحتاج الناس إليه في حياتهم، وهذا يدل على ضرورة ربط العمل بمبادئ الإسلام؛ لأن مبادئ الإسلام جاءت بما فيه صلاح الخلق في معاشهم. فكل وظيفة مباحة يعمل فيها العامل المسلم بنية صالحة لبناء مجتمع إسلامي، أو خدمة المسلمين، فإنه يحث للأخرة سواء كانت الوظيفة شرعية أم علمية أم صناعية أم إدارية أم تربوية أم غيرها. وهنا يحضرنا قول الغزالي: "أن بعض الناس قد ولد حسن الأخلاق بالفطرة وإن السبيل لتربية الخلق هو التخلق، ترويض النفس على مكارم الأخلاق"⁽¹⁾ أن الحاجة إلي بناء أخلاق المهنة والالتزام بها هي حاجة أكيدة من أجل صون كرامة الإنسان والمحافظة على إنسانيته والخلق في الحياة يجعل سلوك الإنسان متصفا بالثبات والتوافق وعدم الاضطراب، وهو مظهر من مظاهر الالتزام بشرع الله عز وجل لأنه يعني احترام الناس، والصدق في التعامل، وإتقان العمل، وما يجب أن يتخلق به الإنسان من الصفات الحميدة، والأخلاق ركنية أساسية لسعادة الإنسان والأمة، فلا خلاق لمجتمع بالا أخلاق. وصدق الشاعر حين قال:

لا تحسبن العلم ينفع وحده * * * * ما لم يتوج ربه بخلاق.

والعمل في أي مهنة يتطلب من العاملين فيها سلوكاً وأدباً موافقة لشرع الله، وتمثل هذه الآداب احد أشكال الرقابة الذاتية النابعة من العقيدة الإسلامية، ويؤمن بها المرء إيماناً راسخاً بأنه مراقب من الله حيث يقول تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق: الآية 18] وقد عني الإسلام بهذا الجانب المهم وجعله السبيل الأمثل في التعامل بين الأفراد والجماعات والله تعالى حينما ذكر نبيه صلوات الله عليه خصه بالثناء

أخلاقيات المهنة بين التطبيق والإلزام

على أخلاقه قائلاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم: الآية 4] فكما أن الإسلام يهتم بالجدارة والكفاءة في أداء العمل فإنه يهتم بأخلاق الفرد وسلوكه. فالفرد المستقيم الملتزم بالقيم والأخلاق سوف يؤدي العمل بالكفاءة والأمانة بخلاف الفرد المفرط في أمانته الواجب تعلمه وتعليمه، لذلك المعلم ملزم بتلك الأخلاقيات؛ لأن من يعلم القرآن لا بد أن يعمل به وقودته الرسول الكريم حيث كان خلقه القرآن فالمعلم ينبغي أن يكون هو نفسه مثلاً حياً للسيرة الفاضلة ليكون عنواناً للفضيلة وأخلاقيات مهنة التعليم من الموضوعات الرئيسية التي تناولها المسلمون بالدراسة وسبقوا غيرهم، وكانوا أول من أدرجوا في كتبهم أهمية المبادئ والأسس الأخلاقية التي تقوم عليها المهنة كما أوضحوا طبيعة المهنة وما يتطلبه أداؤها من صفات وقدرات شخصية. وقد كثرت مؤلفاتهم حول أخلاقيات مهنة المعلمين تعبيراً عن زيادة الحرص والاهتمام بالجانب الأخلاقي ومن هذه المؤلفات علي سبيل الذكر لا الحصر آداب المعلمين لابن سحنون ت(302هـ) هو أول مرجع علمي كتب بأسلوب منهجي. وكتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه. ت(421هـ) وهو أشهر من ألف في ذلك. وواكب ذلك اهتمام مماثل من جانب الفلاسفة والمفكرين أمثال: كانط وبطلر وغيرهم⁽²⁾ وقد ظهرت مشكلة أخلاقيات المهنة للمعلمين قديماً، فالفسفطائيون أول المعلمين المحترفين وكانوا يتقاضون أجوراً علي تعليمهم وقد انتقدهم سقراط وأفلاطون؛ لأنّ العلاقة بين المعلم والمتعلم يجب أن تقوم على الحب، وقبول المال يفسد هذه العلاقة وهم يعلمون الحيل والأساليب الملتوية لا المعرفة⁽³⁾.

ويشدد الإسلام على الالتزام بالقواعد الأخلاقية والعدالة والمساواة بلا تمييز ويعبر عنه عمر رضي الله عنه بقوله المأثور (ويحك يا ابن الخطاب والله لو عثرت دابة (شاة) علي شاطئ دجلة (الفرات) لخشيت أن يسألني (بحاسبني) الله عنها يوم القيامة، لما لم أمهد لها الطريق؟⁽⁴⁾) ولهذا يعرف أبو العينين القيم الخلقية بأنها تلك القيم التي تتصل بشعور الإنسان بالمسؤولية والجزاء والالتزام، وتتمثل في الصدق والأمانة والاستقامة والعدل والتسامح والإحسان والثقة والقناعة والتواضع واحترام الآخرين والجود والكرام.. إلي غير ذلك⁽⁵⁾ لم يكن الدين حجراً على تقدم العقلية الإسلامية في البحث والتفكير فقد اشتملت الثقافة

أخلاقيات المهنة بين التطبيق والإلزام

الإسلامية على علوم لا تكاد ترتبط بالدين كالفلك والكيمياء والرياضيات، فكيف يحول دون البحث في المشكلات الأخلاقية مع أن الأخلاق بطبيعتها أقرب العلوم إلى الدين، ولقد اقترن الإيمان في القرآن الكريم غالباً بالعمل الصالح دلالة على ما بين الإيمان والأخلاق من صلوات وإشارة إلى ضرورة اقتران الإيمان بالعمل الصالح كشرط للثواب، وليست الأوامر الإلهية متعلقة بشعائر تعبدية فحسب ولكنها تتطوي على فضائل أخلاقية، كذلك المحظورات الدينية غالباً لها دلالات أخلاقية، وأحاديث الرسول الكريم في الأخلاق كثيرة ويكفي بهذا الصدد أنه حدد هدف الرسالة فجعله أخلاقياً في قوله: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" كل ذلك يكفي ليحفز هم المسلمين ويستثير تفكيرهم إلى النظر للأخلاق⁽⁶⁾ والسؤال المطروح هنا لماذا ينبغي أن تخضع العلاقات بين أعضاء المجتمع إلى قواعد من النوع الخلفي؟ ولقد أملت طبيعة البحث تقسيمه إلى محورين المحور الأول أخلاق المهنة والالتزام أما المحور الثاني فتناول الوعي الأخلاقي وعلاقته بالواجب والضمير ولقد اقتضت خطة هذا البحث اتباع المنهج التحليلي ثم الخاتمة.

المحور الأول أولاً - أخلاق المهنة والالتزام:

إنّ الالتزام بالأخلاق العمل يسهم في تحسين المجتمع بصفة عامة، حيث تقل الممارسات غير العادلة، ويتمتع الناس بتكافؤ الفرص، ويجني كل امرئ ثمرة جهده، أو يلقي جزاء نقصيره، وتسد الأعمال الأكثر كفاءة وعلماً، وتوجه الموارد لما هو أنفع، ونضيق الخناق على المحتالين والانتهازيين، وتوسع الفرص أمام المجتهدين. كل هذا وغيره يتحقق إذا التزم الجميع بالأخلاق⁽⁷⁾ وقبل الخوض في هذا المحور نودّ تعريف كل من الأخلاق والمهنة.

فالأخلاق هي مجموعة القواعد والمبادئ المجردة التي يخضع لها الإنسان في تصرفاته ويحتكم إليها في تقييم سلوكه، وتوصف بالحسن والقبح⁽⁸⁾.

أما المهنة فهي كلمة ذات مدلول وصفي تشير إلى مجموعة من السمات الأساسية التي تتصف بها كثير من المهن مثل التدريس والمحاماة والطب وتتطلب درجة عالية من المهارة القائمة على المعرفة المتخصصة. يعرفها "Blackington" بأنها عمل منظم يقتنع

أخلاقيات المهنة بين التطبيق والإلزام

به الإنسان ويحاول أن ينهض من خلاله بمطالب وظيفية محددة أو هي "عمل مهني راق يتطلب نوعاً من القدرات الفنية التي يمكن تحقيقها عن طريق إعداد مهني خاص يشتمل على أعداد أكاديمي، وتدريب عملي" وهي تختلف عن مفهوم الحرفة التي هي عمل يدوي يمارسه العامل إما في ورشة يمتلكها وإما في ورشة يملكها شخص آخر أو في مؤسسة أو شركة ولا يحتاج إلي إعداد مسبق بل تدريب قصير⁽⁹⁾ ومن هنا كانت أخلاقيات المهنة هي المبادئ والمعايير والتي تُعدّ أساساً لسلوك أفراد المهنة المستحب والتي يتعهدون بالتزامها ومراعاتها وعدم الخروج على أحكامها⁽¹⁰⁾.

والأخلاق لا تتجزأ، فعندما نتحدث عن أخلاق المهنة فهذا لا يعني أن الأخلاق تختلف من مهنة إلى أخرى بالرغم من أنّ لكل مهنة قيما ومبادئ ومعايير أخلاقية ومعرفية علمية وأساليب ومهارات فنية تحكم عمليات المهنة وتحديد ضوابطها، فإن افتقر أي مما سبق كان الافتقار لأخلاق المهنة. في عالم أصبحت فيه المساومات المادية، هي لغة التفاهم، وأصبحت المجتمعات ميكانيكية تحركها المادة، وأصبح كل شيء سلعة قابلة للمساومة والمقايضة، وإزاء مجتمعات عربية كانت تعرف بالكرم والمروءة، تحولت فجأة إلى مجتمعات تحركها المادة مقلدة في ذلك المجتمعات الغربية ويا ليتها تقلدها في بقية خصائصها، إزاء كل ذلك كانت أهمية البحث والاهتمام بالأخلاق المهنة. حيث تعد مهنة التعليم رسالة تستمد أخلاقياتها من عقيدة وقيم ومبادئ المجتمع ويتجلى سمو هذه المهنة ورفعتها في مضمونها الأخلاقي الذي يحدد مسارها المسلكي، ونتائجها التربوية والتعليمية، وعائدها على الفرد والمجتمع والإنسانية جمعاء. وبديهي أن تستمد الأمم والمجتمعات أخلاقيات المهنة من قيمها ومقوماتها. ونحن بفضل الله نستمد أخلاقيات هذه المهنة من عقيدتنا الإسلامية المقررة في القرآن الكريم والسنة المظهرة ورسول الله عليه السلام قدوتنا ومعلمنا في هذا الشأن لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب : الآية 21]. ومن شروط أخلاقية المهنة في مجال التعليم الجامعي والالتزام بها علي سبيل الذكر لا الحصر.

أخلاقيات المهنة بين التطبيق والإلزام

- أخلاقية مهنية تتضح فيها الواجبات والحقوق، والأنماط السلوكية التي يلتزم بها جميع الممارسين للمهنة وفي ذلك يقول تاج الدين السبكي: أن من حق المدرس أن يحسن إلقاء الدرس وتفهمه للحاضرين، ويلقي عليهم درجة درجة حتى ينتهوا إلى درجة تحقيق الفهم، ومن أفتح العيوب التي بوجهها السبكي إلى صاحب مهنة التدريس أن يحفظ سطرين أو ثلاثة يلقيها عليهم فهو في نظر السبكي غير صالح، وإن كان يقدر على أكثر منه، ولكنه يسهل ويتأول فهو عنده قبيح، ويرى أن صفات المدرس الصالح: أن أهل العلم صانوه، وأعطى المدرس منهم التدريس حقه. فجلس وألقى جملة صالحة من العلم، وتكلم عليها كلام محقق عارف، وسأل وسئل، واعترض وأجاب، وأطال وأطاب: بحيث إذا حضر احد العوام أو المبتدئين أو المتوسطين فهم من نفسه القصور عن الإتيان بمثل ما أتى به، وعرف أن العادة أنه لا يكون مدرساً آلا هكذا⁽¹¹⁾.

- التمتع لمن ينتمي للمهنة بقدر من الاستقلالية.
 - التوجه نحو خدمة المجتمع والترفع عن الاستغلال والكسب.
 - إلى جانب ذلك الكفاءة التربوية في الأستاذ الجامعي تعني.
- 1- معرفة الأستاذ الجامعي لطرائق التدريس واستراتيجياته.
 - 2- قدرة الأستاذ الجامعي على اختيار أنسب أساليب التدريس الفعالة التي تساعد الطلاب على تحقيق أهداف المقرر.
 - 3- معرفة الأستاذ الجامعي بالأسس والخصائص النفسية لطلابهم.
- ومن المبادئ الأخلاقية المهمة التي يجب الالتزام بها بشأن المجالس واللجان العلمية بالكلية والجامعة التي يعمل بها. مبدأ السرية، مبدأ الموضوعية، مبدأ الالتزام بالقرارات ومبدأ المشاركة الفاعلة الى احترام المؤسسة التعليمية إلى غير ذلك من مبادئ التي توجب الالتزام في أي أخلاق مهنة كانت، فالالتزام بالأخلاق المهنة لا يتعارض إطلاقاً مع مقتضيات حرية الرأي والتعبير⁽¹²⁾.

المحور الثاني- الوعي الأخلاقي وعلاقته بالواجب والضمير:

كنا قد تكلمنا في المحور الأول على أخلاق المهنة والالتزام وتوصلنا إلى معرفة أن كل مهنة تلتزم بأخلاقيات يؤمن بها أصحابها الذين يعتزون بها ويسلكون بمقتضاها ويعملون على ترسيخها وتعميقها لدى المنتمين إليها منطلقين من إيمانهم بأهداف المهنة وأدوارها التي تحقق طموحات المجتمع في التحديث والرفق.

أولاً- الوعي الأخلاقي وعلاقته بالواجب:

أما بالنسبة إلى الوعي الأخلاقي وعلاقته بالواجب فقد كان كانط في مقدمة الفائلين بوجهة النظر المثالية، فأراد أن يحرر السلوك الأخلاقي من قيود الميول والأهواء؛ ولهذا استبعد اللذة والمنفعة والسعادة غاية قصوى لأفعال الإنسان الإرادية، إذ جعل الباعث يقوم في الإرادة نفسها، وبذلك ارتدت عنده الأخلاقية إلى مبدأ الواجب⁽¹³⁾ بمعنى أدق كانط استبعد مذهب السعادة الشخصية، لأنه يرد الخير إلى اللذة والمنفعة. كما أنه يعجز عن استخراج قانون كلي ضروري من أنواع الحساسية الجزئية المتغيرة، ولا يضع تمييزاً بين بواعث الرذيلة ولم يوافق على مذهب العاطفة الأخلاقية مع اعترافه بالفضيلة أولاً وبالذات، ولكنه في الوقت نفسه استبدل بالمنفعة الحسية الرضا النفسي، ولجأ أنصاره إلى العاطفة ليأسهم من العقل، ولم يقدروا أن العاطفة متغيرة نسبية لاتصلح مقياساً للخير والشر لذلك "فإن الواجب أمر مطلق صادر عن إرادة خالصة إلى إرادة منفصلة بميول حسية"⁽¹⁴⁾ والواجب ليس ممكناً إلا بالحرية، فالحرية خاصة الموجودات العاقلة بالإجمال. إذن نحن أمام إشكالات ترتبط بعلاقة الواجب بالحرية والإرادة من جهة، وبشروط الوعي الأخلاقي وما يمارسه من سلطة القهر من جهة أخرى إضافة إلى ارتباط الواجب بسلطة المجتمع أيضاً. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل يصدر الواجب كأمر أخلاقي، عن إرادة الإنسان الحرة؟ أم أنه فعل خاضع للضرورة والإكراه؟

حيث ينقسم الأمر الأخلاقي المؤسس على العقل أوامر أخلاقية شرطية تتوخى بلوغ مقاصد ونتائج معينة، وأوامر أخلاقية قطعية غير مشروطة بأي ميول أو نتائج، فالواجب الأخلاقي عند كانط أمر قطعي يصدر عن الإرادة الحرة الخيرة⁽¹⁵⁾ التي لا تخضع

أخلاقيات المهنة بين التطبيق والإلزام

للاشترطات الخارجية والميولات الذاتية بشكل يجعل الواجب إكراهاً ذاتياً حراً، تلعب فيه الذات دور تشريع القاعدة الأخلاقية انطلاقاً من الأوامر القطعية المؤسسة على العقل، والتي تستدعي التصرف وفق قانون كوني تشرعه الذات الفاعلة في تعاملها مع ذاتها ومع الآخرين، كغاية لا كمجرد وسيلة لبلوغ أهداف أخرى. إذن فالأخلاق عند كانط تتبع من العقل. وما دامت تتبع من العقل فالواجب أخلاقي نبع من سلطة عظيمة، هذه السلطة هي العقل لا بأمر، أي سلطة منفية للواجب ولا ترتبط بشعور عاطفي، غير أن ديفيد هيوم يرى عكس ذلك فالأخلاق عنده لا تتبع من العقل، بل تتبع من الشعور. وهو يرى إن هناك رابطة وثيقة بين الشعور والعقل، حيث العقل وحده غير قادر على أن يكون سبباً مباشراً ووحيداً لانفعالنا، لذلك ميز هيوم بين صنفين من الأخلاق الصنف الأول عبارة عن واجبات أخلاقية، مصدرها العاطفة أو ما يسميه بالحاسة الخلقية التي تُعدّ قوة داخلية في الفرد تدفعه نحو فعل معين من خلال اللذة التي يحققها الشخص، أو أنها تتفوه منه بما يولده في الفرد من إحساس بالألم، وبالتالي فما يحقق اللذة فهو فضيلة، وما يحقق الألم فهو رذيلة. على هذا الأساس يصبح الواجب التزاماً ذاتياً عاطفياً، أما الصنف الثاني من الواجب فهو ما يصدر عن الإحساس بالإلزام تجاه الضرورات والواجبات الاجتماعية⁽¹⁶⁾. نستنتج من كل ذلك. أن الواجب عند كانط يجمع بين الإلزام والالتزام أو بمعنى آخر تقوم به الذات الإنسانية لأنه واجب يخضع للإرادة العقل وهكذا فإن الأفعال الإنسانية لا تكون خيراً إلا إذا صدرت عن واجب لاعن ميل مباشر أو رغبة في تحقيق مصلحة شخصية، فإذا أدى الإنسان واجباً، فإنه لكي يصبح تصرفه أخلاقياً ينبغي أن يكون باعث الواجب من بين عدة بواعث هو الكافي للإقدام على الفعل. وهذا ما ينبغي أن يحدث في أخلاقية المهنة، مع الإقرار بالعواطف النبيلة كعامل مساعد لإتيان الأفعال الخيرة فإن غرسها في النفس يعد واجباً أيضاً (فإن العالم يفتقد من اتخاذ السعادة غاية مباشرة لأفعالنا. أن علينا واجباً غير مباشر يقضي بالبحث عن سعادتنا)⁽¹⁷⁾.

ثانيا- الضمير وعلاقته بأخلاقية المهنة:

مادما قد تحدثنا عن الواجب انبثاقا من أخلاق المهنة فإننا نجد أنفسنا أمام الضمير . والسؤال القائم هنا هو ما علاقة الضمير بالوعي الأخلاقي ؟ إذا كان الواجب فعلاً إلزامياً، تقوم به الذات احتراماً للقانون الأخلاقي الذي شرعته لبصير وعباً أخلاقياً بناءً على إخضاع الإرادة للعقل. وبالنظر إلي الإنسان من بين سائر الموجودات، فإنه يمكن اعتباره فاعلاً عاقلاً حراً إذ تصدر أفعاله العقلية والإرادية لتحقيق غاية، أو بلوغ قيمة أو أداء واجب وباختصار فإنّ القوة المحركة للإنسان هو التوتر الذي يشعر به الإنسان بين ما يملكه وما يبغى الحصول عليه، إن هذا التوتر هو الذي أعطي للإنسان المعني الأخلاقي، إذ إنّه يراقب أهواءه ونزعاته وميوله ويدفعه إلى مجاهدة غرائزه وانفعالاته، ويتم ذلك بواسطة الضمير إذ إنّه في صميمه ضرب من الرقابة على نشاطنا العادي التلقائي⁽¹⁸⁾.

يري بطر بأنه لا بد من وجود قوة باطنة فطرية للإنسان دون الحيوان، هذه القوة تترك خيرية الأفعال وشريرتها. فوضع مذهباً جديداً ألا وهو الضمير. ولقد اتفق مع العديد من المذاهب واختلف مع أخرى حيث اختلف مع أتباع المذهب الأخلاقي في عصره المعروف بمذهب الحاسة الخلقية، ولكنه اتفق معهم في رد الأخلاقية إلى باطن الذات، كما شاركهم في معارضتهم لمذهب اللذة والمنفعة، إذ أن الإنسان كثيراً ما يتصرف بدوافع لا ترمي إلى تحقيق منفعة أو اللذة، بل أن الأفعال الإنسانية تقصد إلى غاية أسمى من سعادة الفرد فإننا نعجب عادة بل دائماً من أهل الغيرية والأريحية، وننفر من أولئك الذين يبالغون في القلق على سلامتهم⁽¹⁹⁾ لذلك فإن رده كان حاسماً علي {هوبز} صاحب التفسير الأناني في مشاركة المصابين بالكوارث فيما يتصل برأيه الإنساني عن معنى الشفقة، حيث أقر بطر بوجود النزعات الغيرية مؤكداً اتفاقها مع نوازع الأثرة حين جعل الشفقة تقترن بثلاث حالات عقلية وهي: 1- الشعور بالغبطة ناجم عن المقارنة بيننا وبين المصاب، 2- والقلق على أنفسنا، 3- ثم تعاطف يختلف عن الشعورين السابقين وهو عنصر فريد في التجربة الإنسانية⁽²⁰⁾ فالأفعال عند بطر لكي تكون صادقة ينبغي أن

أخلاقيات المهنة بين التطبيق والإلزام

تنبثق من داخلنا دون تأثر من الخارج. وهكذا تجده يواجه ضربات قاصمة لمذاهب اللذيين والأنانيين جميعا حيث أكد عن وجود دوافع طبيعية نزيهة لا تهدف إلى تحقيق لذة فردية أو منفعة شخصية. فالضمير يختار بين الخير والشر التي تتنازع داخله، ويستطيع ان يفهم تلك الدوافع، وبالتالي يساعده هذا الفهم علي القيام بدور إيجابي فعال في تحقيق مصيره، ولنقل مصير العالم. وإذا قرر بعض فلاسفة الأخلاق أنّ الإنسان هو الموجود الأوحده الذي يتمتع بحاسة أخلاقية، أو يملك الضمير فإنهم يقصدون بذلك إن لدى الإنسان صوتاً باطنياً يردّه إلى ذاته، فالضمير هو الذي يتيح للإنسان أن يظل على وعي بأهدافه في الحياة، وربما كان الدرس الأكبر الذي تعلمنا إياه الأخلاق هو إننا موجودات عاقلة حرة تملك باختيارها الانسياق وراء دوافع الهدم والكراهية، أو التقائي في خدمة أهداف البناء والحب، وتظهر هنا مهمة الفلسفة الأخلاقية العملية التي تساعد الإنسان علي التفكير ليس فقط في نفسه، بل وفي الآخرين أيضا وإذا كانت الفلسفة عموما تتشدد الحقيقة، فإنّ العالم مدعو الى أن يكون أخلاقيا؛ لأن الحقيقة التي تحيط بهذا العالم هي ضرورة كونه أخلاقيا. بل لا بد أن ننشد الأخلاق لأنها طوق النجاة، من خلال ما سبق نستنتج بأنّ هناك علاقة وثيقة بين الوعي الأخلاقي والضمير وحتى الواجب حيث إنّ الضمير ملكة مغروسة في طبع البشر، وملزم لهم إذ لا يهديهم فقط إلى الطريق السوي، بل يلزمهم على ذلك أيضا.

فالتروي والتبصر عند تقييم الأفعال الإنسانية، والتمييز بين الخير والشر والنافع والضار وكل من الواجب والضمير لهما نفوذ وسلطان على الإنسان فمع أنّهما ملكة تعقل وتأمل إلبا إنبهما مع كفالة حرية الإنسان في التصرف يميلان الي الخير ويغريان بفعله، ويضيفان بالشر وينفران منه، وفي طاعتها راحة وطمأنينة وفي عصيانها إثارة للقلق، والإنسان في الحالين حر فيما يأتي أو يتجنب من الأفعال والإنسان في كل زمان ومكان قد أعلي من شأن الخير، ودعا إلى احترام حقوق الغير، والإنسان ليس في حاجة إلي علم ولا فلسفة لكي يعرف ما ينبغي له أن يفعل لكي يكون أميناً وخيراً، وأنّ معظم أفعالنا

أخلاقيات المهنة بين التطبيق والإلزام

تتفق مع الواجب، ذلك لأنّ المبادئ الأخلاقية هي مبادئ قبلية بحتة خالصة من كل عنصر تجريبي، وأنه لا يمكن أن نجد أفلّ جزء منها في تصورات العقل الخالصة⁽²¹⁾. ونختم بقول ابن مسكويه في كتابه تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق "وأما محبة طالب الحكمة للحكيم والتلميذ الصالح للمعلم الخير، فإنّها من جنس المحبة الأولى وفي طريقها، وذلك لأجل الخير العظيم الذي يشرف عليه ويصل إليه، وللرجاء الكريم الذي لا يتحقق إلا بعنايته ولا يتم إلا بمطالعتة، ولأنه والد روحاني ورب بشري وإحسانه إحسان الهي. وذلك أنّه يربيّه بالفضيلة التامة ويغذوه بالحكمة البالغة، ويسوقه إلى الحياة الأبدية في النعيم السرمدى، وإذا كان هو السبب في كل وجودنا العقلي وهو المربي لنفوسنا الروحانية... فيحق أن يحب التلميذ معلم الحكمة محبة خالصة"⁽²²⁾ من هنا كانت أخلاقيات المهنة واجبة لما يترتب عليها من فضائل. إن أخلاق المهنة وآدابها موضوع له مذاق خاص فهو لا يتعلق بالجوانب الفنية، وإنما بالأساس الأخلاقي لهذا العمل، والتزام الأخلاق السامية لا يكون في الحياة الاجتماعية فقط، بل هو صفة الشخص المحترم في مواقع حياته كلها، وعمله يُعدّ جزءاً أساسياً من حياته، فاتصافه بالأخلاق الحميدة في العمل هو جزء من نجاحه في حياته كلها.

الخاتمة:

من خلال هذا البحث توصلنا إلى النتائج الآتية:

1- إنّ كل مهنة تلتزم بأخلاقيات يؤمن بها أصحابها الذين يعتزّون بها ويسلكون بمقتضاها ويعملون على ترسيخها وتعميقها لدى المنتمين إليها منطلقين من إيمانهم بأهداف المهنة وأدوارها التي تحقق طموحات في التطور والرقي وقد اختلفت المجتمعات في موقعها السائدة في المجتمع في ضوء فلسفتها الاجتماعية وأهدافها التي تجسد مبادئ المهن، ومنها تحديد الموقف من مهنة التعليم وأخلاقياتها وقيمتها. وبحدود أخلاقيات مهنة التعليم فقد تبني كل مجتمع قواعد ومعايير تعبر عن هذه الأخلاقيات وتوصيفها، وفي الوقت نفسه تعدّ معايير سلوك أفراد المهنة.

أخلاقيات المهنة بين التطبيق والإلزام

2- من خلال آراء بعض الفلاسفة يتضح لنا أن عضو هيئة التدريس يدرك أن نموه المهني واجب أساسي والثقافة الذاتية المستمرة منهج في حياته، يطور نفسه وينمي معارفه منتقعا بكل جديد في مجال تخصصه وفنون التدريس ومهاراته، يدرك ان الاستقامة وحسن المظهر، وبشاشة الوجه سمات رئيسة في تكوين شخصيته. ويدرك أيضا ان الرقيب على سلوكه بعد الله تعالى هو ضمير يقظ وحسن ناقد، وأن الرقابة الخارجية مهما تنوعت أساليبها لا ترقى إلى الرقابة الذاتية.

3- عندما ينتمي الإنسان إلى عالم الحقائق في ذاتها، وحينما يشعر بالإلزام الخلقي، إنما يستلهمه من مثل أعلى متحررا من آثار الوراثة وقبود البيئة ومواضعات الظروف عندئذ يتصرف الإنسان ككائن أخلاقي فيخضع سلوكه لمبدأ الواجب، ويزول أفعاله بإرادة حرة، ولا يتقيد بغير نفسه التي تعتق مبدأ أخلاقيا تدين له بالولاء.

4- يُعدّ الضمير بمثابة الحكم الصادر من العقل أي: أنه بمثابة التطبيق العقلي للمبادئ العامة الموجودة في الواقع العملي.

5- وأخلاق المهنة تكمن في تنفيذ أوامر الشارع ونواهيه، وهي التي تجعل المؤمن لا يذعن للواجب كفكرة أو ككائن عقلي، ولكنه يذعن له من حيث هو صادر عن الله تعالى الذي زودنا بالعقل، وأودع فيه الحقائق الأولى، بما في ذلك الحقيقة الأخلاقية في المقام الأول.

الهوامش.

(1) بول يكور: العادل ج2، ترجمة عبد العزيز العاوي، بيت الحكمة، قرطاج، 2003.

وانظر كذلك عصام عبد المحسن الحميدان: أخلاقيات المهنة في الإسلام.

(2) ماجد المحروقي: أخلاقيات المهنة مفهومها وأهميتها، سلطنة عمان، 2009، وللمزيد

من الاطلاع انظر أفراح أحمد محمد، مدى تمثل معلمي المرحلة الأساسية لأخلاق

مهنة عليهم، صنعاء، 2008، ص9.

(3) وهيب سمعان ومحمد مرسي: الإدارة المدرسية الحديثة، القاهرة، 1985، ص160.

أخلاقيات المهنة بين التطبيق والإلزام

- (4) محمد الصواف: أخلاقيات العامة والعوامل الإدارية المؤثرة في مخالفتها، 1994، ص13
- (5) أبو العينين: القيم الإسلامية والتربية، مكتبة الحلبي، 1988، ص221، 209.
- (6) أحمد محمود صبحي: الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، بيروت، 1992، ص17.
- (7) صديق محمد عفيفي: أخلاق المهنة لدي أستاذ الجامعة، القاهرة، 2003، ص33، 31.
- (8) أفكار أخرادلي: أخلاق المهنة، مجلة نصف الدنيا، 2011.
- (9) Blacing ton III and patter son,(1991)."School Society(and the professional Ed ucation"N.Y.Holt Rinehart and Winston Inc.p.6
- (10) محمد المصري: أخلاقيات المهنة، مكتبة الرسالة، 1986، ص50. وكذلك انظر رشيد عبد الحميد ومحمود الحيارى، أخلاقيات المهنة، عمان، 985، ص35.
- (11) ناج الدين السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، حققه محمد علي النجار، القاهرة، 1948، ص107.
- (12) المنتدى التربوي قوانين مهنة المعلم حقوقه وواجباته، 2005، موقع وزارة التربية والتعليم، سلطنة عمان www.moe.com.
- (13) مصطفى حلمي: فلسفة كانط، دار العقيدة، 2006، ص17.
- (14) يوسف كرم: الفلسفة الحديثة، مصر، دار المعارف، 1994، ص235
- (15) المرجع نفسه، ص259.
- (16) توفيق الطويل: الفلسفة الخلقية، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 1959، ص232.
- (17) المرجع نفسه، ص232.
- (18) زكريا إبراهيم: مبادئ الفلسفة والأخلاق، مكتبة مصر، ص112.
- (19) المرجع نفسه، ص179

د: سمية الطيب الطاهر عمران

أخلاقيات المهنة بين التطبيق والإلزام

(20) المرجع نفسه، ص198

(21) كانط: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة عبد الغفار مكاي، ص33،41،45،
24،25.

(22) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق، تحقيق عماد الهلالي، ص 136

المقدمات في العربية دراسة دلالية صرفية

د.خيرية بشير أحمد بشير

كلية التربية - جامعة الزاوية

المقدمة:

الحمد لله حقَّ حمده، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد نبيِّه وعبده، على آله وصحبه وجنَّده.

أما بعد، فإنني في هذه الدراسة أحاول إلقاء الضوء على دراسة المقدمات التي تعدّ إحدى الظواهر اللغوية والتي تعتمد على كثير من اللغات الإنسانية لتوليد ألفاظها، وتنمية ثروتها اللفظية، وتكمن أهمية هذه الدراسة في لفت انتباه الباحث اللغوي إلى هذه الموضوعات اللغوية والتي تعتمد على مهارة التطبيق، ودقة النظر مفهوماً ومصطلحاً، وأثر المقدمات في بنية الألفاظ ودراستها دراسة نحوية، وصرفية، إذ تتضافر هذه المقدمات مع السوابق واللاحق من أجل تأدية وظائف دلالية متعددة ومتنوعة والملاحظ أن المقدمات تأتي في العديد من المواضع، ويكون دخولها على اللفظة كخروجها، بمعنى يمكن الإستغناء عنها، وتأتي أحياناً على جهة اللزوم لا يمكن الاستغناء عنها، وهذه المقدمات قد تكون اسماً، أو فعلاً، أو حرفاً، وستقتصر هذه الدراسة على بعض المقدمات الحرفية كـ"الألف، والواو، والياء"، والتضعيف.

أولاً- مفهوم المقدمات:

أ. الإقحام في اللغة: يقول ابن فارس: "القاف والحاء والميم أصلٌ صحيح يدل على تورّد الشيء بأدنى جفاء وإقدم"⁽¹⁾، وقحم في الأمر: رمى بنفسه فيه من غير تفكيرٍ ولا روية⁽²⁾. وقال الزمخشري: "وهذا من المجاز"⁽³⁾، وقحم نفسه في النهر أو نحوه: رمى بنفسه فيه من غير درية⁽⁴⁾، وقحمته الفرس تحميماً: رمته على وجهه⁽⁵⁾، والقحمة بضم القاف المهلكة والقحط والسنة الشديدة⁽⁶⁾ والمقدمات: الذنوب العظام التي تقحم أصحابها في النار⁽⁷⁾، ولفظة مقحمة تدل على الزيادة⁽⁸⁾.

ب- الإقحام في الاصطلاح: عرف علماء اللغة مصطلح (الإقحام) تعريفات عدة، ولعل من أهم هذه التعريفات، تعريف الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) الذي قال إن استخدم مصطلح الإقحام بمعنى الحشو والزيادة⁽⁹⁾.

ويعد الخليل بن أحمد أول من ذكر كلمة (الإقحام) في التراكيب اللغوية وذكر أن هناك عدداً من الحروف المقحمة تدخل التراكيب ومنها إقحام الواو، ومن الأمثلة ذلك على قول امرئ القيس:

فلما أجرنا ساحة الحيّ وانتحى ***** ببابطنُ خبت ذي قفافٍ عَنقَلِ⁽¹⁰⁾

ومعناه: انتحى، إذ أدخل الواو حشواً وإقحاماً، وذكر الخليل لفظاً جديداً إضافة إلى الإقحام وهو (الحشو) ومثل له بالباء في قوله تعالى: ﴿وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عَيْنٍ﴾⁽¹¹⁾⁽¹²⁾.

ورأى سيبويه (ت180هـ) أن لفظة الإقحام تعني اللغو والتوكيد والزيادة⁽¹³⁾، وذكر ابن جني (ت392هـ) أن لفظة الإقحام - على الرغم من أنه لم يصرح به - بمعنى الاحتياط والتمكين⁽¹⁴⁾، واكتفى بالقول بأن اللام في (يابؤس للجهل)، (يا بؤس للحرب) جاء تمكيناً واحتياطاً لمعنى الإضافة⁽¹⁵⁾، وهذان الشاهدان وردا عند سيبويه⁽¹⁶⁾ وعرفه في العصر الحديث خالد بسندي بقوله هو (ما دخل التركيب ووقع بين متلازمين، وله معنى يمكن الاستغناء عنه من غير أن يتغير به أصل المعنى الذي يتضمنه التركيب)⁽¹⁷⁾، ويرى الهروي أن المقحم هو اللفظ الزائد في الكلام الذي لو لم يؤت به لكان الكلام تاماً، أو هو اللفظ المذكور على نية السقوط⁽¹⁸⁾.

ثانياً- المقحم ومواضع الإقحام: تحدث النحويون على اللفظ المقحم الذي يكون -أحياناً- حرفاً، أو اسماً أفعالاً، وسنتحدث في هذا البحث على ما يفهم في التراكيب العربية من حروف، ويسميتها بعض علماء النحو والصرف أحرف الزيادة التي يتم إدخالها بين ثنايا التراكيب العربية، فهي لا تغير شيئاً في الكلام، وحصرتها النحاة في الأحرف الآتية، وهي (أن، وإن، ولا، ومن، والباء، واللام وأضاف آخرون "الألف، والياء، والواو، والتضعيف"⁽¹⁹⁾، وأطلق بعض النحاة على هذه الحروف أحرف الزيادة، وسماها سيبويه "لغواً" إذ قال: "وتكون لغواً في قولك: ما إن يفعل"⁽²⁰⁾.

المقدمات في العربية دراسة دلالية صرفية

وهناك من يسميها بحروف الصلة، إذ يقول ابن حاجب: "ومن أصناف الحروف حروف الصلة...، ويعني بحروف الصلة حروف الزيادة، وسميت حروف الصلة؛ لأنه يتوصل بها إلى زنة أو إعراب لم يكن عند حذفها"⁽²¹⁾.

وأطلق عليها الكوفيون "حشواً أو صلة" إذ قال ابن يعيش: "والصلة والحشو من عبارات الكوفيين، والزيادة والإلغاء من عبارات البصريين"⁽²²⁾.

وأطلق الزركشي على هذه الحروف بـ"المقمة" إذ يقول: (أهل الصناعة يطلقون الزائد على وجوه، منها ما يتعلق به هنا وهو ما أقم تأكيداً، كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنتَ لَهُمْ﴾⁽²³⁾ وقوله أياً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ﴾⁽²⁴⁾ والإقحام لم يكن مقتصراً في العربية على الحرف السبعة المذكورة، إنما هناك أحرف أخرى مقمة كالكاف التي تحدث عنها ابن عقيل في شرحه، إذ قال: "تأتي زائدة للتوكيد، وجعل منه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾"⁽²⁵⁾⁽²⁶⁾، بمعنى ليس شيء مثله.

ويقول تمام حسان: "الحشو ما جاء في وسط الكلمة ليؤدي معنى صرفياً معيناً فيها، أي ليعبر عن مورفيم أو وحدة صرفية معينة هي وظيفته وأشهر الأحشاء في اللغة العربية تاء الافتعال، والتضعيف في مضعف العين من الثلاثي، وإلغاء المكررة في نحو: هَدَّهَدَ، وما يزيد زيادة حرة في وسط الكلمة في أفعال مثل دحرج من درج، ويعثر من بثر والأفعال العامية شغبط من شبط، وقرطح من قطح، وهردم من هدم، وفنجر من فجر، وطربق من طبق، ودفق من دفق، وخببط من خبط، وشرط الحشو أن يكون بين صرفين أصليين"⁽²⁷⁾، ومما سبق يتضح أن علماء اللغة والنحو لم يتفقوا، أو أن كلماتهم وعباراتهم لم تحدد مفهوم الإقحام تحديداً دقيقاً فهناك من قال إنه زيادة أو صلة، وآخرون قالوا إنه حشو أو إقحام وغيره من التسميات، والصواب إن المقم "المقدمات" لا تكون إلا بين ثنايا الكلمة أو اللفظة، وأحياناً يمكن الاستغناء عنه، وأحياناً أخرى لا يمكن الاستغناء عنه، أما الزائد فهو الذي يتم الاستغناء عنه من دون أن يحدث خلافاً.

ثانياً- المقحّم ومواقع الإقحام:

سنتقصر في هذا البحث على المقحّمات المتمثلة في المصوغات الطويلة، والتضعيف، والتي تضاف إلى البنية الهيكلية الجامدة باللواصق الاشتقاقية، وتقع اللواصق (المقحّمات) المذكورة داخل بنية الكلمة، وتبقى البنية مفتوحة لها القابلية على استيعاب اللواصق الاشتقاقية والتصرفية، نحو كلمتي (الرجال، وساطور، إذ لم تقفل الألف بنية الكلمة، وألتصقت بها لاصقة تصريفية وهي (أل) في الرجال، وأضيفت إلى الألف في (ساطور) لاصقة اشتقاقية ثانية وهي (الواو)⁽²⁸⁾، ولهذه الوظائف الاشتقاقية وظائف عديدة، لعل من أهمها: "تغير نوع الجذر "Root" على سبيل المثال "Man" اسم، "Manly" صفة⁽²⁹⁾.

وتحدث هنري فليس (Henri fleish) عن حقيقة اللواصق الاشتقاقية إذ قال في تعريفه للاشتقاق: "هو أن يؤخذ من الأصل المكون من أصوات صامتة فحسب، كلمات متميزة بإضافة المصوتات داخل هذا الأصل، وإضافة هذه المصوتات ليس اعتباطية، وإنما هي مقيدة بطابع المصوت وكميته ويطلق على هذا النظام "نظام تعاقب المصوتات"، أو بنظام التحول الداخلي"⁽³⁰⁾، وتتميز مجموعة من المقحّمات في لغتنا الأم بالسمة البنائية، والتي تتشكل عن طريقها بعض الأبنية الصرفية، والتي تؤدي وظائف دلالية متنوعة، ولعل من أهم هذه المقحّمات التي تؤدي وظائف دلالية وبنائية متعددة، وتدخل في بناء معظم الأبنية الصرفية، وتقع حشواً في بنية الكلمة، ومن هذه اللواصق "المقحّمات التي في بنية الكلمة "الألف، والواو، والياء، والياء، والياء، والتضعيف".

أولاً- الألف: تعدّ الألف من اللواصق الاشتقاقية، والتي تشكل كثيراً من الأبنية الصرفية⁽³¹⁾، وتضفي عليها بنية صرفية محددة، ومن أشهر الأبنية التي تشكلها "الألف" ما يأتي:

فَاعِل (ف/ع- ل): بزيادة ألف بين الفاء والعين نحو: "قاتل، ودافع، وناضل، وقاظر، ووالي، وناجي، وبيع، وقاوم"⁽³²⁾، وتشارك ولهذا البناء دلالات متعددة بفتح العين وكسرها، ومن أهم هذه الدلالات ما يأتي:

المقدمات في العربية دراسة دلالية صرفية

1- الدلالة على التكثر والمبالغة، وذلك نحو: "ضَاعَفْتُ أُجْرَهُ، وَكَاتَرْتُ إِحْسَانِي عَلَيْهِ" أي أكثرت أضعافه كضعفته، ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾⁽³³⁾. بمعنى ضعفته أو أبلغ منه⁽³⁴⁾، وقوله تعالى أيضاً- ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽³⁵⁾.

2- المفاعلة، وتعني نسبة حدث الفعل الثلاثي إلى الفاعل متعلقاً بالمفعول صراحة، وإلى المفعول متعلقاً بالفاعل ضمناً، ثم إن الفعل الثلاثي، نحو كَرُمَ وَحَسُنَ، ويصير بهذه الصيغة متعدياً، فنقول: "كَارَمْتُ عَلِيًّا، وَحَسَنْتُ مُحَمَّدًا" وإذا كان الثلاثي متعدياً إلى مفعول لا يصلح أن يقع فاعلاً، نحو: جَذِبْتُ ثُوبَهُ، تعدى بهذه الصيغة إلى مفعول آخر يحسن أن يقع فاعلاً، فنقول جاذبتُ علياً ثوبه.

وأما إذا كان الثلاثي متعدياً إلى مفعول صالح، نحو: شَتَمْتُ خَالِدًا، وضربتُ بكرًا، فهذه الصيغة لا تعدى إلى مفعول ثانٍ، نحو قولنا: شاتمتُ خالدًا، وضاربتُ بكرًا، وربما كانت المفاعلة بتنزيل غير الفاعل منزلة الفاعل، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾⁽³⁶⁾(37).

3- الموالاة: بمعنى أن يتكرر الفعل ينلو بعضه بعضاً، نحو: "وَالْيَتُّ الصُّومِ، وَتَابَعْتُ الْقِرَاءَةَ، وَقَدْ يَأْتِي "فَاعِلٌ" بِمَعْنَى "فَعَلٌ" أَوْ مَغْنِيًا عَنْهُ لِعَدَمِ وُرُودِ الْمَجْرَدِ، نَحْوُ: هَاجَرَ، وَجَاوَزَ، وَسَافَرَ"⁽³⁸⁾.

وقد تأتي (فاعل) بمعنى (أفعل)، وذلك نحو باعد بمعنى أبعد، أو بمعنى جعل الشيء ذا أصل كأفعل وفعل نحو: عافاك الله بمعنى جعلك ذا عافية⁽³⁹⁾، وتأتي أيضاً بمعنى (تفاعل) وذلك نحو قولنا: شاعرتُ مُشَاعِرَةً فَشَعْرَتُهُ بِمَعْنَى غَالِبَتُهُ فِي الشَّعْرِ فَكَنْتُ أَشْعُرُ مِنْهُ⁽⁴⁰⁾.

4- دلالة اسم الفاعل -فاعل- على المصدر، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿أَزْفَتِ الْأَرْفَةَ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾⁽⁴¹⁾، وقوله أيضاً ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾⁽⁴²⁾.

ويدل اسم الفاعل -أيضاً- على جميع الأزمنة، فقد يدل على الحال كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾⁽⁴³⁾، تدل معرضين في الآية الكريمة على الحال⁽⁴⁴⁾ ويدل اسم الفاعل على الاستقبال نحو قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ

المقدمات في العربية دراسة دلالية صرفية

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ⁽⁴⁵⁾، بمعنى سأخلق وقوله أيضاً ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾⁽⁴⁶⁾، وقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾⁽⁴⁷⁾ بمعنى أن الله سبحانه وتعالى سيجمع الناس يوم القيامة⁽⁴⁸⁾، وإلى جانب ذلك فإن (فاعل) يدل على النسبة في الصفات المختصة بالموثوث، من دون اتصاله بالتاء المربوطة نحو قولنا: حائض، وطامث، وطالق، ولعلماء البصرة في ذلك مذهبان: الأول: مذهب الخليل (ت175هـ) الذي أوله على النسبة كـ(لاين)، و(تامر) كأنه قيل: ذات حيض، وذات طمث، والثاني مذهب سيبويه، (ت180هـ) الذي فسره بإنسان أو بشيء أي أن الحائض وأشباهه في كلامهم على أنه صفة شيء، والشيء مذكر، فكأنهم قالوا: هذا شيء حائض للدلالة على الثبوت⁽⁴⁹⁾.

وقد يدل (فاعل) على المفعول، إذ قال ابن خالويه (ت370هـ) "ليس في كلام العرب فاعل بمعنى مفعول إلا قولهم: تراب سافٍ وإنما هو مسفي... وواضحة بمعنى مرضية"⁽⁵⁰⁾.

ثانياً- الواو: تعد الواو من المقدمات الاشتقاقية، والتي تدخل في تشكيل كثيراً من الأبنية الصرفية فلا تزداد أولاً البتة، وتزداد حشواً: أو غير ثنائية فإن صبحت أصلين فهي أصلٌ من غير شك، نحو "وقت، ووقت، ووعد، ووزن، وثوب، وسوط، وخوف، ويوم، وصوم، ودلو، وحقو"، وإن صحت ثلاثة أحرف فصاعداً فلا تكون إلا زائدة، سواء أكانت ثنائية نحو "عوسج، وجوهر، وكوتر" من الأسماء، ونحو "حوقل، وصومع"، ومن الأفعال، أم كانت ثالثة نحو: "جدول، وقسور، وعجوز، وعمود" من الأسماء، ونحو "رهوك، ودهور، وجهور"، من الأفعال، أم كانت رابعة نحو "ترقوة، وغنوان، وعرقوة" ونحو اغدون، اعلوط، وأخروط، واخلود" أم كانت خامسة نحو "قلنسوة، وعصر فوط، ومنجون" ونحو الواو الثانية في "اعلوط" وأخواته، أم كانت سادسة نحو "أربعاوي"⁽⁵¹⁾.

ومما سبق يتضح أن الواو تأتي للدلالة على معانٍ صرفية متنوعة منها: أن بناء فعول يأتي اسماً وصفةً، فالاسم نحو: خروف، والصفة نحو، عجوز⁽⁵²⁾، ويأتي (فعول) للدلالة على المبالغة، نحو: صبور، وشكور، وغفور⁽⁵³⁾ ويستوي فيه المذكر والمؤنث سواء أكان

بمعنى " فاعل" للدلالة على المبالغة، نحو: رجلٌ صبورٌ، وامرأةٌ صبورٌ⁽⁵⁴⁾ وتأتي بمعنى "مفعول" للدلالة على المبالغة، نحو: رسولٌ بمعنى مُرسلٌ، وتلتصق به لاصقة التاء المربوطة للأوصاف المؤنثة نحو: حلوبةٌ وركوبةٌ⁽⁵⁵⁾.

وذكر الثعالبي (ت429هـ) أن أكثر الأدوية تبنى على "فعل" كاللُعوق، والسَّعوط، والقَطور⁽⁵⁶⁾.

ثالثاً- الياء: تعدّ الواو من اللواصق الاشتقاقية والتي تدخل في تشكيل الأبنية الصرفية، ولهذه اللاصقة وظيفة خاصة، لا يمكن لأي لاصقة اشتقاقية أخرى أن تلتصق بحشو الجذر للقيام بتلك الوظيفة أو المهمة الاشتقاقية⁽⁵⁷⁾.

وتأتي "فَعِيل" للدلالة على ما يأتي:

1- تأتي "فَعِيل" في الاسم والصفة، إذ قال سيبويه: "وتُلحقُ ثالثةٌ فيكون الحرف على فعيل في الاسم والصفة، فالاسم يعيرٌ وقضيبٌ، والصفة سَعِيدٌ وشَدِيدٌ وظَرِيفٌ"⁽⁵⁸⁾.

2- تأتي صيغة "فَعِيل" في الصفة المشبهة للدلالة على أن الوصف ثابت في صاحبه، أو كالثابت، جاء في بدائع الفوائد أن "بناء فعيل من أبنية الأوصاف الثابتة اللازمة كطويل، وكريم، وعظيم، وحليم وجميل"⁽⁵⁹⁾.

3- وذكر سيبويه أمثلة كثيرة لهذه الصيغة منها: "وقالوا فَعِه وهو فَعِيَةٌ والمصدر فَعُهُ، كما قالوا: عَلِمَ علماً وهو عَلِيمٌ"⁽⁶⁰⁾ ويأتي فعيل بمعنى مفعول، نحو: قَتِيلٌ وجَرِيحٌ، وكَسِيرٌ، وجَرِيحٌ، وكَسِيرٌ، وسَعِيدٌ، إذ يستوي فيه المذكر والمؤنث فيقال: جَرِيحٌ وهي جَرِيحٌ⁽⁶¹⁾.

ويمكن التفريق بين صيغة مَفْعُولٍ وصيغة فَعِيلٍ بمعنى مفعول أن فعيل "تدل على الثبوت أو على معنى قريب من الثبوت بخلاف صيغة فعول الدالة على الحدوث، ثم إن صيغة مفعول تحتل الحال والاستقبال" أما صيغة فعيل فلا تطلق إلا إذا التصق صاحبه به فلا تقول: هو قَتِيلٌ لمن لم يُقْتَلْ"⁽⁶²⁾ ويقول سيبويه: "وتقول شاة رمي إذا أردت أن تُخبر أنها قد رُميت"⁽⁶³⁾.

المقدمات في العربية دراسة دلالية صرفية

4- تأتي "فعل" للدلالة على التصغير، إذ قال سيبويه: "اعلم أنّ التصغير إنما هو في الكلام على ثلاثة أمثلة: على فُعِل، وفُعِل، وفُعِيل" (64)، ومن الأمثلة على ذلك قول سيبويه: "فأما فُعِل فلما كان عدّة حروفه ثلاثة أحرف، وهو أدنى التصغير، ولا يكون مصغراً على أقل من فُعِل، وذلك نحو فُييس، وجُميل، وجُبيل... وأما فُعِيل فلما كان على أربعة أحرف وهو المثال الثاني، وذلك نحو جُعيفر ومُطيرف، وقولك في سبَطر: سبَطِر، وغلام، غلِيم، وعَلِطِط... وأما فُعِيل فلما كان على خمسة أحرف، وكان الرابع منه واواً أو ألفاً أو ياء، وذلك نحو قولك في مصباح: مُصبيح، وفي قنديل: قنديل، وفي كُرْدوس: كُرديس؛ وفي قُرْبوس: قُرْبيس، وفي حَميص: حَميص" (65).

5- وتأتي "فعل" مصدراً للدلالة على الأصوات، وذلك نحو: زئير، ونعيق، ونهيق، وصهيل، وهدير (66) ويأتي أيضاً - للدلالة على اقتران الصوت بالحركة، وذلك نحو: ضرير، وهزير (67).

6- وتأتي "فعل" للدلالة على زمن الماضي والمضارع، "ونقول: شاة رمي إذا أردت أن تخبر إنها قد رُميت" (68).

ويتضح مما سبق أن للياء المقامة دلالات مختلفة تفهم من خلال السياق الذي يقف الحدّ الفاصل عند الاختلاف وحدث الالتباس والتداخل في دلالة الأبنية السابقة الذكر.

رابعاً - التضعيف: يعدّ التضعيف من المقدمات التي تؤدي وظائف صرفية وبنائية في اللغة العربية، وهي لاصقة اشتقاقية تقع في حشو بنية الكلمة، ومن أهم وظائفها أنها تشكل بناء "فعل" في حالة الوقف (ف - ع / ع - ل) و"فعل"، (ف - ع / ع - ل) بدلالات صرفية متعددة (69)، وتعد لاصقة التضعيف "مورفيم يقوم على إطالة صوت من أصوات الكلمة، مثل "كذب، كذب" إذ لا فرق بين الفعلين إلا في أن دال الأول قصيرة، ودال الثانية طويلة" (70)، ومن صيغ صيغة "فعل" والتي شاع استعمالها في الدلالة ما يأتي:

1- الدلالة على التكثر والمبالغة، وهو إما في الفعل نحو قولك "جولت، وطوّقت" - أي أكثرت الطواف والجولان، ومن ذلك قول الخطيب:

أطوف ما أطوف ثم آوى ***** إلى بيت قعيدته لكاع⁽⁷¹⁾

هذا من باب تكثير الفعل، أما التكثير في الفاعل، نحو مؤتت الإبل، بركت بمعنى كثر الميت منها والبارك⁽⁷²⁾، ويقول سيبويه: "تقول: كسرتها وقطعتها، فإذا أردت كثرة العمل: قلة: كسرتها وقطعته ومزقته"⁽⁷³⁾، وورد في قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنِ أَيْدِيَهُنَّ﴾⁽⁷⁴⁾ أراد به التكثير:

ويقول الرضي: "وفعل للتكثير غالباً نحو غلقت وقطعت وجولت، وطوقت"⁽⁷⁵⁾، وأما في المفعول، نحو غلقت الأبواب، أي أغلقت أبواباً كثيرة⁽⁷⁶⁾.

2- التعدية: نحو، فرصته، ومنه فسفته، وخرجته، ونحو: علمته النحو، وفهمته المسألة⁽⁷⁷⁾، إذ يقول سيبويه: "وقد يجيء الشيء على فعلت فيشرك أفعلت، وذلك قولك: فرح: وفرحته، وإن شئت؛ قلت: أفرحته، وغرم وغرمته إن شئت أفرحته وغرمته، وأغرمته إن شئت؛ كما تقول: فرعته وأفرعته"⁽⁷⁸⁾.

3- نسبة المفعول إلى أصل الفعل، وذلك نحز: كذبت، وكفرت، وفسقت بمعنى نسبه إلى الكفر، والكذب، والفسوق، ويقال -أيضاً- جهلت فلاناً، أي نسبه إلى الجهل⁽⁷⁹⁾، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ﴾⁽⁸⁰⁾، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكذبونك ولكن الظالمين بآياتِ الله يجحدون﴾⁽⁸¹⁾.

4- الدلالة على السلب والإزالة: ومعناه أن يزيل الفاعل عن المفعول أصل الفعل وذلك نحو: أشكيت، وأذيت عينه، وأعجمت الكتاب بمعنى أزلت شكواه، وقذى عينه، وعجمة الكتاب بالنقط ونحوه، ونحو: قرئت البعير، وجلدته، وجربته بمعنى أزلت قراده وجلده وجربه، وكذا قشرت الفاكهة بمعنى أزلت قشرها⁽⁸²⁾ وقد يكون لسلب الفعل عن الفاعل، إذا كان أصل الفعل لازماً، نحو: أفسط محمد، بمعنى زال عنه القسط، وهو الجوز، ومن أسمائه تعالى قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾⁽⁸³⁾ وقوله: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾⁽⁸⁴⁾، وقوله: ﴿أَنْ تَبْرَهُمْ وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾⁽⁸⁵⁾⁽⁸⁶⁾.

5- ومن معانيها التوجه نحو الشيء: كشرّق وغرب أي توجه إلى الشرق والغرب، ويقال: أيضاً، شرّق خالد وغرب، بمعنى توجه نحو الشرق والغرب، وكذا: صوّب وصعد⁽⁸⁷⁾، ويقول الرضي: "ويجيء بمعنى المشي إلى الموضع المشتق هو منه، نحو: كوّف، مشى إلى الكوفة، وفوّز وغور، مشى إلى المفازة والغور"⁽⁸⁸⁾.

6- الصيرورة، وذلك نحو: ورق، أي أورك أي صار ذا أورك، وقيح الجرح، أي صار ذا قيح⁽⁸⁹⁾ فصيغة "فعل" تحول إلى "أفعل"، ثم تحول إلى "فعل"، ويمكن توضيح ذلك من خلال الجمل الآتية:

أ- ورق الشجر.

ب- أورك الشجر.

ج- صار الشجر ذا ورق، والجذر المعجمي الثلاثي هو "ورق"⁽⁹⁰⁾.

7- اختصار حكاية المركب، نحو: "هلّل إذا قال، لا إله إلا الله، وكبّر إذا قال الله أكبر، ولبّي" إذا قال: ليبيك، وتسبّح" إذا قال: سبحان الله، و"حمد" إذا قال: الحمد لله، و"أمن" إذا قال: "أمين" كقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁽⁹¹⁾⁽⁹²⁾.

8- الدلالة على أن الفاعل يشبه ما أخذ منه الفعل، وذلك نحو: قوس عليّ بمعنى: انحنى ظهره حتى أشبه القوس، ويقال أيضاً: حجر الطين، بمعنى أشبه الحجر في صلابته⁽⁹³⁾.

9- الدعاء على المفعول بأصل الفعل، وذلك نحو: جدعته وعقرته⁽⁹⁴⁾ وهكذا تتشكل صيغة "فعل" بتضعيف العين من الأصل الثلاثي "فعل" ويصبح تركيبها المقطعي كالآتي:

"ف/ع/ل:

أي: "ص ح ص + ص ح + ص ح

مقطع طويل + مقطعان قصيران

مقفل مفتوحان

إذا تتكون من ثلاثة مقاطع.

أما فيما يخص التحليل الصوتي للصيغة المذكورة، فإن تضعيف العين يقصد به: "تطويل مدة النطق بها من مخرجها، حتى يمكن أن يقال: إن الصامت المضعف هو صامت طويل"⁽⁹⁵⁾.

وأوضح سيبويه التضعيف بقوله: "وتلحق العين الزيادة من موضعها فيكون الحرف على فَعَلٍ، فيجرى في جميع الوجوه التي صُرِّفَ فيها فاعل مجراه، إلا أن الثاني من فاعل ألف والثاني من هذا في موضع العين، وذلك قولك: جَرَّبَ يُجَرَّبُ، وإذا قلت يُفَعِّلُ قلت يجَرَّبُ"⁽⁹⁶⁾ ويتضح مما سبق أن لاصقة التضعيف لاصقة اشتقاقية تقع حشواً كالألف والواو والياء، وتشير إلى دلالات معنوية متعددة ومتنوعة، ولا يمكن التمييز بين هذه المعاني إلا عن طريق السياق.

الخاتمة:

ومن خلال هذه الدراسة المتواضعة توصلت الباحثة إلى عدة نتائج من أهمها ما يأتي:

- 1- يُعدّ الخليل بن أحمد الفراهيدي أول من تحدث عن المقدمات في العربية وفصل فيها القول.
- 2- إن للمقدمات أثراً كبيراً في تقوية الصلة بين المستويين النحوي والصرفي، سواء أكانت هذه المقدمات حروف لين "الألف والواو والياء" أم تضعيف.
- 3- من أهم الأغراض اللفظية للإقحام صون اللفظ من الإكراه.
- 4- إن الإقحام لم يكن قاصراً على الألف والواو والياء والتضعيف، بل هناك أحرف أخرى تستعمل في الإقحام.
- 5- إن الإقحام لم يكن مقتصرًا على الحروف فقط، بل وقع في كل التراكيب العربية.
- 6- إن بنية الكلمة لا تتوقف عند حدود الأصول والحركات، بل تتألف من أصول حركات، وأحرف زيادة.

وآخر دعوانا الحمد لله ربّ العالمين

هوامش البحث:

- (1) معجم مقاييس اللغة، مادة (ق.ح.م) ، 387/2
- (2) ينظر العين، للخليل بن أحمد، مادة (ق.ح.م) ، 54/3.
- (3) أسس البلاغة للزمخشري، مادة (ق.ح.م) ، 55/2.
- (4) ينظر العين، للخليل، مادة (ق.ح.م) ، 54/3.
- (5) ينظر لسان العرب، لابن منظور، مادة (ق.ح.م) ، 25/5.
- (6) ينظر الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، مادة (ق.ح.م) ، 2006/5.
- (7) ينظر لسان العرب، لابن منظور، مادة (ق.ح.م) ، 25/5.
- (8) ينظر الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (ق.ح.م) ، 2006/5.
- (9) ينظر الجمل في النحو، للخليل بن أحمد الفراهيدي، ص263.
- (10) ورد هذا البيت في: الجمل في النحو، للخليل بن أحمد الفراهيدي، ص263.
- (11) سورة الدخان، الآية 51.
- (12) ينظر الجمل في النحو، للخليل بن أحمد، ص316.
- (13) ينظر الكتاب، لسيبويه، 140/3.
- (14) ينظر الخصائص، لابن جني، 101/3.
- (15) ينظر الكتاب ، لسيبويه، 207/2.
- (16) ينظر الخصائص، لابن جني، 103/1.
- (17) ظاهرة الإقحام في التراكيب اللغوية، خالد بسندي، 12.
- (18) ينظر الأزهية، للهروي، ص236-238.
- (19) ينظر الكتاب، لسيبويه، 220/4، وشرح المفصل، لابن يعيش، 128/8.
- (20) الكتاب، لسيبويه، 220/2.
- (21) الإيضاح في شرح المفصل، لابن يعيش، 227/2.
- (22) شرح المفصل، لابن يعيش، 128/8.
- (23) سورة آل عمران، الآية 26.

- (24) سورة البقرة، الآية 26.
- (25) سورة الشورى، الآية 11.
- (26) شرح ابن عقيل، 27/2.
- (27) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص222.
- (28) ينظر دلالة اللواحق التصريفية في اللغة العربية، أشواق محمد، ص111.
- (29) نقلاً عن اللواحق التصريفية 45 Acourse in modem English في اللغة العربية، ص111.
- (30) العربية الفصحى، هنري فليش، ص56.
- (31) ينظر دلالة اللواحق التصريفية، أشواق محمد، ص112.
- (32) ينظر دروس في التعريف، محي محي البيان عبد الحميد، ص70.
- (33) سورة الحديد، الآية 57.
- (34) ينظر الكتاب، لسبويه، 68/4، ودروس في التعريف، محمد محي الدين عبد الحميد، ص79، ودلالة اللواحق التصريفية في اللغة العربية، أشواق محمد، ص112.
- (35) سورة النساء، الآية 40.
- (36) سورة البقرة، الآية 9.
- (37) ينظر دروس في التصريف، محمد محي الدين عبد الحميد، ص75.
- (38) ينظر المصدر السابق، ص75.
- (39) ينظر الصاحبى، ص369، ودلالة اللواحق التصريفية، أشواق محمد، ص112.
- (40) ينظر نزهة الطرف في علم الصرف، للميداني، ص15، ودلالة اللواحق التصريفية، أشواق محمد، ص112.
- (41) سورة النجم، الآية 57-58.
- (42) سورة الحاقة، الآية 5.
- (43) سورة المدثر، الآية 14.
- (44) ينظر إعراب القرآن، للزجاج، ص14/1.

- (45) سورة البقرة، الآية 31.
- (46) سورة البقرة، الآية 3.
- (47) سورة آل عمران، الآية 9.
- (48) تفسير ابن كثير، 1/349.
- (49) ينظر الكتاب، لسبويه، 3/383، ودلالة اللواحق التصريفية، أشواق محمد، ص113.
- (50) ليس في كلام العرب، لابن خالويه، ص371.
- (51) دروس التصريف، محمد محي الدين عبد الحميد، ص54.
- (52) ينظر الكتاب، لسبويه، 1/110.
- (53) ينظر الكتاب، لسبويه 1/110، والمقتضب، للمبرد، 3/165.
- (54) ينظر المقتضب، 3/163.
- (55) ينظر نزعة الطرف في علم الصرف، للميداني، ص16، ودلالة اللواحق التصريفية ، أشواق محمد، 120.
- (56) ينظر فقه اللغة، للثعالبي، ص343، ودلالة اللواحق التصريفية، ص112.
- (57) ينظر دلالة اللواحق التصريفية، أسواق محمد، ص117.
- (58) الكتاب، لسبويه، 4/267.
- (59) بدائع الفوائد، 2/88.
- (60) الكتاب، لسبويه، 4/35.
- (61) معاني الأبنية، إبراهيم السامرائي، ص60.
- (62) المصدر السابق، ص161.
- (63) الكتاب، لسبويه، 3/648.
- (64) المصدر السابق، 3/415.
- (65) المصدر نفسه، 3/415، 416.
- (66) المصدر نفسه، 4/14.

- (67) ينظر الكتاب، لسيبويه، 14/4، والصاحبي، لابن فارس، ص375.
- (68) الكتاب، لسيبويه، 648/3.
- (69) ينظر دلالة اللواحق التصريفية، أشواق محمد، ص198.
- (70) الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، ص304.
- (71) ديوان الحطيئة، ص75.
- (72) ينظر دروس في التصريف، محمد محي الدين عبدالحميد، ص73.
- (73) الكتاب، لسيبويه، 64/4.
- (74) سورة يوسف، الآية 12.
- (75) شرح الشافية، 92/1.
- (76) ينظر دروس في التصريف، محمد محي الدين عبدالحميد، ص73.
- (77) ينظر، شرح الشافية، 92/1، المصدر السابق، ص73.
- (78) الكتاب، لسيبويه، 55/4.
- (79) ينظر شرح الشافية، 94/1، ونزهة الطرف في فن الصرف، للميداني، ص15.
- (80) سورة آل عمران، الآية 184.
- (81) سورة الأنعام، الآية 33.
- (82) ينظر دروس في التصريف، محمد محي الدين عبدالحميد، ص74، وظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية، محمد سليمان ياقوت، 100.
- (83) سورة النساء، الآية 3.
- (84) سورة الحجرات، الآية 9.
- (85) سورة الممتحنة، الآية 8.
- (86) ينظر دروس في التصريف، محمد محي الدين عبدالحميد، ص72.
- (87) ينظر المصدر السابق، ص74، وتصريف الأفعال، أحمد محمد الشيخ، ص86.
- (88) شرح الشافية، 95/1.
- (89) ينظر المصدر السابق، 95/1.

- (90) ينظر ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية، محمد سليمان ياقوت، ص102.
(91) سورة الممتحنة، الآية 8.
(92) ينظر دروس في التصريف، محمد محي الدين محمد، ص74.
(93) ينظر المصدر السابق، ص74.
(94) ينظر تصريف الأفعال، أحمد ممد الشيخ، ص86.
(95) المنهج الصوتي للبنية العربية، عبدالصبور شاهين، ص7.
(96) الكتاب، لسيبويه، 281/4.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً- القرآن الكريم برواية قالون عن نافع:
ثانياً- الكتب المطبوعة:

- 1- الأزهية في علم الحروف، للهروي، تحقيق عبدالمعين الملوحى، مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة 1401هـ-1981م.
2- أساس البلاغة، للزمخشري، الطبعة الثالثة، بيروت، سنة 1985م.
3- الإيضاح في شرح المفصل، لابن حاجب، تحقيق أحمد عبدالغفور عطاء، مطبعة العاني، بغداد، د.ت.
4- بدائع الفوائد، أبوعبيد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق أحمد عبدالسلام، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1414هـ-1984م.
5- تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، تحقيق موسى بنائى العليلي، مطبعة العاني، بغداد، د.ت.
6- تصريف الأفعال، أحمد محمد الشيخ، دار المورد، لبنان، الطبعة الأولى، سنة 1987م.
7- الجمل في النحو، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق أحمد عبدالغفور عطاء، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة سنة 1407هـ.

- 8- الخصائص ، لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى ، الطبعة الثانية، بيروت، د.ت.
- 9- دروس في التصريف، محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، سنة 1411هـ-1990م.
- 10- دلالة اللواحق التصريفية في اللغة العربية، أشواق محمد النجار، دار دجلة - عمان، الطبعة الأولى، سنة 2006م.
- 11- شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبدالله بن عقيل المصري، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار مصر للطباعة ، القاهرة، سنة 1400هـ-1980م.
- 12- شرح المفصل، لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
- 13- شرح شافية بن حاجب، للاسترابادي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد وآخرين، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1395هـ-1975م.
- 14- الصحابي، لابن فارس، تحقيق أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، سنة 1977م.
- 15- ظاهرة الإقحام في التراكيب اللغوية، خالد بسندي، دار كنوز المعرفة العلمية، الطبعة الأولى، سنة 2015م.
- 16- ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية، محمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، سنة 1985م.
- 17- العربية الفصحى، هنري فليش، ترجمة عبدالصبور شاهين، الطبعة الثانية، منشورات دار المشرق، بيروت، سنة 1983م.
- 18- العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، وتصميم أسعد الطيب، الطبعة الأولى، سنة 1414هـ.
- 19- فقه اللغة، للثعالبي، تحقيق خالد فهمي، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة 1418هـ-1998م.

- 20- الكتاب، لسيوييه، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية 1402هـ-1982م.
- 21- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، سنة 1388هـ-1968م.
- 22- ليس في كلام العرب، لابن خالويه، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الثانية، سنة 1399هـ-1979م.
- 23- معاني الأبنية في العربية، السامرائي، الطبعة الأولى، عمان، دار عمّار، د.ت.
- 24- مقاييس اللغة، لابن فارس، لابن فارس، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- 25- المقتضب، للمبرد، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث، القاهرة، سنة 1415هـ-1994م.
- 26- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، سنة 1406هـ-1985م.
- 27- المنهج الصوتي للبنية العربية، عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة 1980.
- 28- نزهة الطرف في علم الصرف، للميداني، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت، سنة 1981م.
- 29- الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، الطبعة الثالثة، دار الشرق، بيروت، د.ت.

تأثير العولمة على البناء الاجتماعي للمجتمع العربي: دراسة تحليلية

د. ابوحرارة محمد عبد السلام

كلية التربية - جامعة الزاوية

مقدمة:

إن مخاطر العولمة في مجالها الاجتماعي لا يقل خطورة عن تأثيرها على باقي الجوانب الأخرى، بل إنه يستهدف ويهدد نسيجها الاجتماعي من خلال تغول المنظومة الرأسمالية المسيطرة على العالم اليوم ليس في إطار استغلال مقدرات المجتمعات فقط بل دورها في تمكين الحكومات من إدارة هذه الشركات التي تسعى وراء الربح من خلال الأسواق العالمية لكل المجتمعات ومنها المجتمع العربي الواقع ضمن دائرة الاستهلاك الناتج لهذه الشركات كذلك تعمل على تهديد البناء الاجتماعي بين فئاته، وما يترتب عن ذلك من ضغوط نفسية كالتوتر، والقلق، وحالة الاكتئاب كذلك تتعرض البنية الاجتماعية وبخاصة الأسرة إلى تغيرات كالأضطرابات العاطفية والنفسية ويقل الترابط الاجتماعي الأسري نتيجة لعدم قدرة الأسرة على توفير احتياجاتها مع تعدد تلك الاحتياجات نتيجة لتوسع نمط الاستهلاك في صور عديدة منها الخدمية والترفيهية والعلاجية.

إن التحدي التي تواجهه المجتمعات وبخاصة المجتمع العربي في كيفية التنشئة التي يجب أن ننتهجها في تربية الأجيال القادمة وتوجيهها نحو التعامل مع العولمة بكل أبعادها وضمنها البعد الاجتماعي فرضت عليها تعزيز الترابط الأسري بين أفرادها وبخاصة دور الاب والام في التربية مع استيعاب الواقع الجديد الذي فرضته العولمة على واقعا الاجتماعي ومساهمة كل المؤسسات الاجتماعية والتعليمية في اعداد الخطط والدراسات لتخفيف أعباء الضغوط التي تنتج عن سلبيات العولمة على الشباب العربي مع الاستفادة من تجارب المجتمعات الأخرى في مواجهة اخطار العولمة ومنها الاجتماعية فالبناء الاجتماعي في الوطن العربي بناء مترابط تحكمه الوحدة الاجتماعية ويمتاز بالتماسك ابتداء من الأسرة إلى العشيرة إلى القبيلة، غير أنه ليس بمعزل عن تيارات العولمة مثل بقية المجتمعات من خلال إزالة الحدود والمواقع بين الدول والمجتمعات، ودخول عصر

تأثير العولمة على البناء الاجتماعي للمجتمع العربي: دراسة تحليلية

الفضاءات والتكتلات والتجمعات الدولية الكبرى، حيث تنتقل الأفكار والثقافات، وتتساب حركة السلع والأموال، وتضعف دور الدولة القومية والوطنية، والمجتمعات العربية كغيرها من المجتمعات الإنسانية الأخرى تأثرت بتيار العولمة الذي كرس نظرية التفوق لبعض المجتمعات على حساب الأخرى، والتعرض إلى إشكالات تستهدف النسيج الاجتماعي بكل شرائحه وانتماياته وفئاته، إلا أن البناء الاجتماعي العربي لا يزال تراثه التاريخي الذي يقاوم بإرثه الاجتماعي تيار العولمة، من حيث التماسك الأسري والعشائري والقبلي كمظلة اجتماعية لأبناء المجتمع.

من هنا تكمن الإشكالية التي تطرحها الورقة البحثية في خطر العولمة على التراث الثقافي للشعوب ومنها المجتمع العربي، والوقوف على أهم مداخل العولمة في المساس بالهوية الثقافية والوطنية والارث الحضاري لتلك المجتمعات مع تطور المجتمعات من عصر لآخر وتعمل ظاهرة العولمة على استيعاب هذه المكونات الاجتماعية والتأثير عليها بوسائطها المختلفة تمهيداً لدمجها ضمن العولمة الثقافية العالمية.

تكمن أهمية الورقة البحثية في عرض وتحليل أبعاد العولمة الاجتماعية وتأثيرها على النسيج الاجتماعي من الأسرة إلى مختلف شرائح المجتمع بكل مكوناته الاجتماعية وكيف تستهدف العولمة الاجتماعية ذلك النسيج من خلال محاولة ضرب النسيج الاجتماعي باستخدام وسائل العولمة الثقافية عبر أدواتها المختلفة.

حيث تسعى هذه الورقة البحثية إلى محاولة التعرف على المخاطر التي تتطوي عليها آثار العولمة على البناء الاجتماعي وما تروج له، من أنماط جديدة لثقافة عالمية، بديلة عن الهوية الثقافية والأخلاقية والدينية والفكرية في إطار قومي أو وطني إلى إطار عالمي جديد يحتوي تلك الثقافات ويؤسس لعولمة جديدة ينتهي فيها دور الدولة الوطنية والقومية ويحل محلها الفضاءات الكونية بما يصحبها من تأثيرات عميقة للأفراد والمجتمعات والمؤسسات والشركات والدول، وكيف يتم التعامل مع تيار العولمة بالاستفادة من إيجابيات العولمة مع المحافظة على الهوية الوطنية التي تشكل تراث لكل الأجيال ويحتاج ذلك إلى تضافر كل الجهود من خلال برامج محددة مخطط لها من ذوي الاختصاص والخبرة.

من خلال ما سبق تحتوي هذه الورقة البحثية على المحاور التالية:

1- ماهية العولمة.

2- اخطار العولمة على الفرد والمجتمع.

3- العولمة والقيم الاجتماعية للبناء الاجتماعي.

المحور الأول: ماهية العولمة .

ظهر مصطلح العولمة بمفهومه الراهن وذلك مع بداية العقد الأخير من القرن العشرين، وبرزت كلمة العولمة متجاوزة مع أي ظاهرة اجتماعية أخرى وأصبحت حديث كل المجتمعات بمختلف شرائحها حيث اعتبرها البعض نقلة هائلة في المعلومات والتكنولوجيا ، وتميزت بالتقدم العلمي والابتكارات في كل العلوم ومؤثرة على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبعض الآخر يراها تطويراً وإصلاحاً لهياكل الاقتصاد العالمي، تمهيداً لإدماج المجتمعات في السوق العالمية، فالعولمة مفهوم يشمل سلسلة من الوقائع التي تقوم على التغير الجذري لطرق الحياة، والعلاقات بين الفضاءات العامة⁽¹⁾.

وتبدو العولمة الاقتصادية أكثر وضوحاً لأنها تشير إلى بروز عالم بلا حدود اقتصادياً فهي التدفق الحر للبضائع والسلع ومختلف أوجه النشاط الاقتصادي وتقسيم العمل وما أنتجه الثورة الصناعية والعلمية والاختراعات الحديثة بفعل توفر رأس المال والعمالة الفنية المتخصصة ووجود أسواق لها في كل مكان مع تسهيل عمليات النقل لتلك السلع وانتقال الأفكار والمعلومات والاتصالات دون قيود.

وتعدد صور العولمة فمنها العولمة الثقافية حيث بروز عالم بلا حدود ثقافية إذا تمكنت بعض المجتمعات المتقدمة من فرض نموذج ثقافي اتسم بالعالمية بأساليب انتشار العولمة السريع والمذهل عبر كل الوسائط سريعة الانتشار.

"العولمة / مرادف للأمركة وأن تقنعت بأقنعة العلم والتكنولوجيا، فتمودج الثقافة الأمريكي يتسلل عبر الشركات عابرة القارات إلى كل مكان في العالم، وينتشر بسرعة مذهلة ليس لأنه بالضرورة أصلح النماذج⁽²⁾. وهذا الاتجاه نحو أمركة جميع مظاهر الحياة أو جلها في الاقتصاد والعلوم والفنون والألعاب.

حيث ساهمت العولمة الثقافية في نقل الأفكار والمعلومات والأخبار بحرية كاملة على الصعيد الدولي.

كما توحى لفظة العولمة في مجال الثقافة بمعناها الأنثروبولوجي بأن هناك خصائص ثقافية ذات طابع عالمي، خصائص ثقافية متحررة من تأثير ثقافة بعينها وتصلح لأن تأخذ بها الأفراد المنتمون إلى ثقافات ومجتمعات متباينة لكل ثقافة نسق من القيم والمعايير وأن هذا النسق متأثر بالدين السائد ويفترض في الخصائص الثقافية التي تناسب العولمة مع عدم تعارضها مع الأنساق المحلية للقيم⁽³⁾.

كذلك عرفها العالمان هانس بيتر مارتين، وهارالد ثومان "أن العولمة هي عملية الوصول بالبشرية الى نمط واحد، في التغيير والاكل والملبس والعادات والتقاليد"⁽⁴⁾. حيث وصل تأثيرها الى مظاهر الحياة اليومية والتغيير في كثير من العادات والقيم لدى الأفراد والمجتمعات وبخاصة الذين حاكوا تلك المجتمعات بصور عديدة منها طبيعة العمل، الدراسة، الهجرة، السياحة وغيرها.

وهناك العولمة السياسية والتي تعتبر من أكثر مجالات العولمة إثارة للجدل حيث (تشير العولمة السياسية الى تراجع أهمية الدولة، وبروز مراكز قرار جديدة للقرارات السياسية العالمية، في الوقت الذي تنتج فيه الدولة للتخلي الطوعي او الاضطراري عن مظاهر السيادة التقليدية)⁽⁵⁾.

ونظراً لتغير مفهوم السيادة التقليدي فقد أصبحت معظم الدول رهينة لاتفاقيات مقيدة لها وتعرض عليها القرارات وبخاصة الدول ذات الاقتصاديات المحددة ومنها بعض الدول العربية فوقعت بين أعباء القروض وشروط الاملاءات، أو تهديد الوحدة الوطنية والنسيج الاجتماعي، وبذلك تطرق العديد من المفكرين الى تنوع التعريفات لتواكب كل أوجه العولمة، ومنها تعريف الجابري الذي عرفها بأنها: (العمل على تصميم نمط حضاري معين يخص بلداً بعينه هي الولايات المتحدة الأمريكية بالذات وبلدان العالم أجمع، وهي أيضاً أيديولوجيا تعبر بصورة مباشرة عن إدارة الهيمنة على العالم وأمركتة، أي محاولة أمريكا، إعادة تشكيل العالم وفق مصالحها الاقتصادية والسياسية ويعتمد على تحليل

وتركيب للكيانات السياسية العالمية وإعادة صياغتها سياسياً واقتصادياً وثقافياً وبشرياً وبالطريقة التي تستجيب للمصالح الاستراتيجية لأمريكا⁽⁶⁾.

ولكي نصل لتعريف شامل لماهية العولمة نعرض لمحة تاريخية عن ظاهرة العولمة، قبل القرن التاسع عشر الميلادي تطور مجال المعرفة لدى الإنسان والعلاقات بين الشعوب من خلال التبادل الاقتصادي والتكنولوجي والثقافي، اذ بان مرحلة توسع الدولة البيزنطية والرومانية ثم مرحلة توسع الدولة العربية الإسلامية بين قارتي أفريقيا وآسيا وأجزاء من أوروبا، تلتها مرحلة الاكتشافات الجغرافية ونشاط حركة التجارة، ساهمت الثورة الصناعية والنهضة الفكرية في توسيع دائرة العلاقات الإنسانية وما صاحبها من ظهور حركة الاستعمار. وعند منتصف القرن التاسع عشر حققت العولمة دفعة قوية بسبب التحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي عرفتها أوروبا وخاصة الهجرات نحو المدن والى العالم الجديدة مع ظهور العلاقات الثقافية بين الشعوب.

وخلال القرن العشرين يمكن التمييز بين مرحلة الانحسار ومرحلة الصعود فقد تراجعت العولمة إلى حدود نهاية الحرب العالمية الثانية نظراً لتراجع المبادلات العالمية بسبب سياسة رفع الحواجز الجمركية والعزلة الدولية للثورة الروسية، وانهايار عصابة الأمم، وظهور فكرة رفض الثقافات الأخرى.

وبعد الحرب العالمية الثانية حققت العولمة حركة جديدة من خلال ظهور مؤسسات دولية كالأمم المتحدة والبنك الدولي، وبعض المنظمات الدولية الأخرى.

ثم أعقب ذلك تصميم المنتج الثقافي الأمريكي، وخاصة في مجال السينما ونمط الحياة على الطريقة الأمريكية، كذلك تدفق التبادل الحر للسلع والبضائع مع انخفاض تكلفة ثمن النقل عالمياً وظهور دول صناعية منافسة لسابقتها وكان توحيد الألمانيتين، وسقوط الاتحاد السوفيتي، قفزة كبيرة لتطور العولمة، فأصبحت العولمة والرأسمالية وجهان لعملة واحدة.

وفي القرن الواحد والعشرين تسارعت ونيرة العولمة بشكل كبير، نتيجة لتقسيم العمل على الصعيد الدولي وتخفيض التعريفات الجمركية، وإدخال تقنيات الإعلام اذ أدت إلى

الوعي بتنوع الثقافات وأحداث ووعي بالمشكلات التي يواجهها الفرد والجماعة مع ظهور دور المنظمات غير الحكومية وانتشارها في العالم وبخاصة في مناطق التوتر. وبذلك تستطيع أن تقترب من مفهوم شامل عن ماهية العولمة ويرى الباحث أن العولمة، ظاهرة انتظمت معالمها وتوافرت شروطها بشكل واضح. بعد انتهاء الحرب الباردة بين قطبي العالم وسيادة القطب الواحد، واتجه العالم نحو الاندماج في جميع المجالات والأنشطة والميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والإعلامية والتعليمية والاتصالات، وكذلك سيطرة إرادة الدولة الواحدة على دول العالم، مع ظهور قوى أخرى لها إمكانات المنافسة تسعى لتقاسم النفوذ في كل المجالات المذكورة سابقاً، وهذه المنافسة سوف تقلل من اخطار العولمة وما تحمله من قيم وأفكار أحادية القطب، على الهوية الوطنية والقومية للشعوب والمجتمعات ومنها المجتمع العربي.

المحور الثاني - أخطار العولمة على الفرد والمجتمع:

إن ظاهرة العولمة التي تجتاح العالم اليوم في كل المجالات والميادين وتؤثر في الأفراد والمجتمعات، ولا شك أن لها أخطار ليست هينة خصوصاً وقدرتنا ضعيفة على التعامل معها، يتم تهيئة المجتمع للتعامل مع هذه الظاهرة بإيجابية، والوعي بسلبياتها التي لا تتماشى مع ثقافة وقيم مجتمعاتنا، وتستوعب ما يدفع بمجتمعاتنا على مواكبة التطور، والتعامل مع التقنية الحديثة، وضرورة تشكيل رؤية واضحة عن العولمة وتداعياتها "حتى يكون تصورنا لها دقيقاً تميز بين منافعها وإضرارها، ونبتعد عن التطرف في الحكم عليها، ونتعامل معها بذكاء وحكمة"⁽⁷⁾.

إن العولمة ليس خطرها في مجرد السيطرة والتحكم بالسياسة والاقتصاد حيث أنها "تمتد لتطال ثقافات الشعوب والهوية الوطنية والقومية، وتهدف إلى تعميم نموذج من السلوك وأنماط أو منظومات من القيم، وطرائق العيش والتدبير"⁽⁸⁾ حيث العولمة تعمل على قطع صلة الأجيال بترائثها وما فيها، وتعمل على انهاء الهوية الثقافية والحضارية بوسائل متعددة، وفي الغالب إشعال الحروب والصراعات القبلية والطائفية، وتذهب هذه المجتمعات إلى مزيد من الفوضى والتهميش وانتشار البطالة والفقر وتردي الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية واضعاف البعد الفلسفي للتربية وتوجيه المعرفة العلمية،

بحسب القوى التي تمتلكها، والتأثير في اتخاذ القرار التربوي، وربط العلماء والباحثين بولاءات معينة للشركات المستغلة ونشر مفاهيم برجماتية⁽⁹⁾.

ومن مخاطر مظاهر العولمة "إشاعة ما يسمى بأدب الجنس، وثقافة العنف التي من شأنها تنشئة الأجيال كاملة تؤمن بالعنف أسلوباً للحياة، واعتبارها ظاهرة عادية وطبيعية"⁽¹⁰⁾.

مما يؤدي إلى انتشار الرذيلة والجريمة والعنف في المجتمعات العربية والإسلامية وتضييع الشباب للوقت فيما لا ينفعه.

حيث أدركت العديد من الدول خطر عولمة الثقافة بما في ذلك الدول الأوروبية، ومنها فرنسا حيث يقول وزير العدل الفرنسي (جاك كويون) "إن الانترنت بالوضع الحالي شكل من أشكال الاستعمار، إذا لم نتحرك فأسلوب حياتنا في خطر، وهناك اجماع فرنسي لاتخاذ كل الإجراءات الكفيلة بحماية اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية"⁽¹¹⁾.

أن العولمة سلاح ذو حدين إذ أن الوعي بأهمية العولمة يجعلنا نستفيد من إيجابياتها "ونحن المسلمين لسنا بدعا بين الأمم، إذا عملنا على تجنب سلبيات العولمة الثقافية، وبخاصة أن لها تأثير على هويتنا وخصوصيتنا الثقافية، فالدول الكبرى تعمل على حماية هويتها الثقافية والمحافظة عليها من تيار المصطلحات والمفاهيم الأجنبية الوافدة من الخارج"⁽¹²⁾.

كذلك من أخطار العولمة أنها تعمل على اختراق ثقافات الشعوب حيث اختراق البنية الثقافية المحلية، وتفاقم مخاطر الاستلاب والغزو الثقافي، الذي يؤدي بدوره إضعاف الهوية الثقافية والحضارية للمجتمع العربي والإسلامي.

"إن أخطر ما في العولمة أنها تنتشر أفكار وسلوكيات من شأنها إضعاف الولاء للقيم التراثية والدينية الأصلية، والولاء للوطن والأمة، وإحلال أفكار وولاءات جديدة محلها"⁽¹³⁾ بذلك تهدف العولمة إلى أحداث عملية استلاب ثقافي وذلك بإزالة كل العوارض المتمثلة في العادات والقيم وغيرها، لتقبل ما يأتي من الخارج أن للعولمة إيجابيات كما لها سلبيات، إن الجماعات أو الشعوب المدركة والواعية لخطر العولمة تكون قد حصنت

تأثير العولمة على البناء الاجتماعي للمجتمع العربي: دراسة تحليلية

نفسها ضد سلبياتها، وتعمل بكل جهد على الاستفادة من إيجابياتها، وذلك لتجاوز أوضاعها المختلفة إلى أحداث نمو وتطور مجتمعي يمكنها من بناء أساس لعملية استيعاب العولمة، حيث إن "العولمة بأشكالها ومنها الثقافية في ظاهرها، ولكن في باطنها أنها هي نقمة علينا وعلى ثوابتنا الثقافية وخصوصيتنا الحضارية، ومنها العقيدة الدينية واللغة والتاريخ والعادات والتقاليد والأعراف القبلية، ولكن يجب علينا نحن المسلمين أن نحسن توظيف العولمة الثقافية واستخدامها لصالحنا، وتحويلها من نقمة إلى نعمة"⁽¹⁴⁾.

كما أن العديد من المثقفين العرب يعتبر "أن العولمة أفرزت اختراعات جديدة خصوصا في مجال المواصلات والاتصالات والإعلام يمكن للعالم العربي توظيفها لاكتساب المعرفة والنهوض بمجتمعاتها"⁽¹⁵⁾.

إن أخطار العولمة على مختلف المستويات الفردية أو الأسرة أو المجموعات وبخاصة تلك المنضوية تحت الجمعيات أو الهيئات أو التكتلات أو المجتمع المدني بكل اتجاهاته واهتماماته كذلك مؤسسات الدولة وبخاصة التعليمية والبحثية والمؤسسات الاجتماعية، قد لا يتم ادراك المخاطر الناجمة عن العولمة الشاملة. حيث يتم التركيز على الجوانب الإيجابية للعولمة وتوظيفها كل حسب مجاله واهتمامه، وتهمل المخاطر السلبية التي يتعرض لها الفرد أو الأسرة أو بقية شرائح المجتمع ومؤسساته، والتي تهدد النسيج الاجتماعي بالتفكك، وترهقه مؤسسات الدولة بالفساد وبكل أشكاله وعلى كل المستويات عليه يجب الاستفادة في نشر المعلومات الهادفة في كل المجالات، والكل مستمع أو مشاهد، والحفاظ على الهوية الوطنية والدينية من خلال الاستعمال الأمثل لهذه الوسائل.

المحور الثالث: العولمة والقيم الاجتماعية للبناء الاجتماعي:

لاشك أن للقيم واتساقها ووظائفها اتصالاتها الوثيقة بسائر النظم السائدة في البناء الاجتماعي بكل ضوابطه وميكانيزماته ومؤسساته"⁽¹⁶⁾.

فالقيم متعددة ومتأصلة بالفرد والجماعات، فهناك القيم السياسية والقيم الاقتصادية، وقيم أخرى أخلاقية ودينية، فهي وثيقة الصلة ببنية النظم الاجتماعية المكونة للمجتمع.

إن العولمة وهي تعمل على إيجاد نمطا حياتي ثقافي عالمي تطغى عليه ثقافة الاستهلاك للمنتوجات والسلع والبضائع أو الانتقال فيها الإنسانية انتاجا واستهلاكاً من

مناطق التصنيع إلى مناطق الاستهلاك والإنتاج قد يكون مادي أو معرفي أو تقني أو معلومات ومدى تأثير ذلك على البناء الاجتماعي ومكوناته وبخاصة السياق الثقافي والقيمي لتلك المكونات.

فالنظم هي الأعمدة أو الأسس أو القواعد الأساسية التي يقوم بفضلها بناء المجتمع، وللنظم ووظائفها التي تعمل من أجل البناء فهي التي تدعمه وتحميه، وهي الأسباب أو العلل التي تتعامد وظائفها وتتساند أدوارها من أجل بقاء البيئة الاجتماعية ووجودها وخلودها مع تغير الأزمنة وتوارث المجتمعات لذلك، حيث تعتبر الأسرة أول وأقدم النظم الاجتماعية فهي دعامة أساسية للبناء الاجتماعي بحكم الوظائف التكاملية التي تقوم بها في جوانب عدة.

فالبناء الاجتماعي ليس ثابتاً أو جامداً لا يقبل التغير ولا يخضع له بل يتغير مع تغير حجم المجتمعات أو المدن أو الانتقال من مرحلة لأخرى عبر الزمن.
أ- ماهية البناء الاجتماعي ومكوناته:

إن دراسة خصائص التركيب الطبقي للبلدان النامية ومنها الدول العربية، تعد مدخلا لا بد منه لفهم بنياتها الاجتماعية والاقتصادية المعقدة".

ويعرف البناء الاجتماعي، بأنه مجموعة الأطر التنظيمية التي تنظم في اطاره مجموع العلاقات الإنسانية سواء تلك العلاقات البينية بين الأفراد أو الأشخاص داخل مجتمع ما، أو تلك العلاقات التبادلية بين الأفراد في مجتمع ما، وغيره من المجتمعات، ويمكن القول ببناء المجتمع هو نظام المجتمع العام، هو عبارة عن مجموعة من النظام الاجتماعي الرئيسية والفرعية داخل المحيط البيئي ومفهومه: بما يتضمنه من نظم اجتماعية رئيسية وفرعية وهو مفهوم يرتبط بالسلوك الإنساني وبتلك الظواهر التي تتأثر بالسلوك الإنساني، والنظام الاجتماعي الذي تشكل في مجمله البناء الاجتماعي هو في حد ذاتها عبارة عن مجموعة مترابطة من الظواهر الاجتماعية المرتبطة بالسلوك الإنساني.

يتكون البناء الاجتماعي من مجموعة من الأنساق الاجتماعية، هي بمثابة النظام الاجتماعي، الرئيسي يندرج تحته كل نسق أو نظام اجتماعي رئيسي مجموعة من النظم السياسية الفرعية.

النظم الاجتماعية الرئيسية نظام العائلة، القرابة، نظام سياسي، نظام معتقدات، نظام اقتصادي، نظام شفافي تتألف النظم الاجتماعية الرئيسية بدورها من مجموعة نظم فرعية. وينتقل الفرد من مرحلة يعيش فيها داخل الأسرة، أي ضمن جماعة اجتماعية مصغرة اذ يتحول عبر أدوار تقوم بها الأسرة إلى فرد مؤسس، ثم يمر عبر جماعات منها الرسمية كالمدرسة، وغير الرسمية كالنادي ثم يندرج إلى أن يصبح منتمي إلى نادي رياضي أو جمعية ترفيهية أو غيرها من الجماعات متعددة الهويات والاتجاهات، ومع اكتسابه للخبرات من خلال انتمائه لتلك التصميمات الرسمية والعرفية يصبح مسؤولاً متمثل وصاحب قرار وممثل للضوابط الرسمية والعرفية وبذلك يصل إلى مرحلة الفاعل الاجتماعي.

أن علاقة الفرد بالبناء الاجتماعي من خلال تعامله مع التنظيمات الرسمية بشكل مباشر مثل (المدرسة، المعمل، المصنع، المستشفى، الشركة، الجامعة، الكلية، مؤسسات أخرى كالشرطة والجيش، حرس بلدي)، تمارس على الفرد قوانينها ونظمها من تنظيم نشاطه اليومي وذلك بغية تحقيق أهدافه وطموحاته على صعيد الحياة الوظيفية المهنية داخل هذه التنظيمات الرسمية وأما على صعيد التنظيمات غير الرسمية مثل (الأسرة، النوادي، المقاهي، جماعة الأصدقاء، حيث يتعامل معها بأقل دقة والتزاماً، أي بحرية نسبية، ويعاقب الشخص على عدم التزامه وامتثاله لأداب الجماعة وعرفها، وإزاء حاجة الفرد للتعامل اليومي والدوري مع التنظيمات الرسمية وغير الرسمية، يلجأ إلى الارتباط بفروع اتساق البناء الاجتماعي ويخضع لضوابطها السلبية والإيجابية والرسمية والعرفية اذ كلما زاد الفرد من نشاطه مع التنظيمات الرسمية زاد عدد عضوياته/ وأخذ يقترب من حالة التحضر والتمدين وترشيد سلوكه. لذلك لا يستطيع الفرد أن يستغنى عن اشباع حاجاته اليومية والحياتية.

وإذا تعرضنا إلى العلاقة بينهما الفرد والبناء الاجتماعي فالعلاقة لا تتم إلا بعد تحويله إلى عنصر من عناصر تكوين أحد اتساق البناء الاجتماعي، في حين يحتاج الطرف الأول إلى اشباع حاجاته، يحتاج الطرف الثاني خضوع الطرف الأول لآلياته الضبطية النسقية والبنائية (قيم معتقدات، معايير، قواعد، قوانين، لتمرار، تأثيراتها على أعضاء الجماعات والتنظيمات التي تمثل أحد الاتساق، بحيث تصبح تصرفات ومواقف وخبرات العضو موجهة ومقننة.

يولد التغيير الاجتماعي تغييراً في أحد أنساق البناء أو أحد فروعها والذي يؤدي بدوره إلى تغيير وظيفة النسق البنائي، فالبناء الاجتماعي متغير بتغيير حجم المجتمع أو انهيار النسق الاقتصادي، أو عندما يحصل تحول في نمط التفاعلات الاجتماعية والفعل الاجتماعي. وما ينجم عنها من أثار تتعكس على ثقافة وقيم ومعايير المجتمع، وفي حالة الهجرات الكبرى أو الحروب، ليس بالضرورة أن يتغير البناء الاجتماعي، بل يتم امتصاص تلك القيم والموروثات ويؤسسون لعلاقات اجتماعية جديدة، أو لا يمكن لبناء اجتماعي أن يبتلع الآخر، وبالتالي فإن البناء الاجتماعي يشير إلى وجود عدة أنساق اجتماعية، وشفافية، واقتصادية، وسياسية، ويحتوي كل نسق على نظام داخلها متضمناً آليات ضبطية يقرها البناء نفسه لكي تعمل على انجاز عملياته البنائية، أي " لا يوجد إنسان خارج أنساق البناء الاجتماعي وبالوقت ذاته لا يوجد بناء اجتماعي دون وجود أحدهم مكمل للآخر وغياب أحدهم يعني نفي وجود الآخر الحاصل هو قيام علاقة تبادلية بين الفرد والبناء الاجتماعي" (17).

ب- العولمة والتغير في القيم الاجتماعية للبناء الاجتماعي العربي:

1- مفهوم القيم: "ارتبط تعريف القيم بالفلسفة، حيث كانت تدرس في إطار مبحث خاص أطلقه عليه الفلاسفة (مبحث الايكولوجيا) وأشار الفلاسفة في العديد من المشاكل التي تتعلق بالقيم، ومن أهمها هل القيم مطلقة أم نسبية، موضوعية أم ذاتية، ثابتة أم متغيرة" (18).

وحسب الاتجاه المادي التاريخي يتخذ عدة أبعاد: نسبة القيم، وصراع القيم، وتغيير القيم، وطبقة القيم، حيث عرفها، أسيوف "بأنها ظواهر الطبيعة والمجتمع، وهي حياة الناس وثقافتهم في مجتمع أو طبقة ما بوصفها حقيقة واقعة، وأما القيم فتحدد وتنظم سلوك كل أعضاء المجتمع أو أنشطتهم الاجتماعية، وحتى تصطمح المتطلبات الاقتصادية للنمو الاجتماعي بهذه القيم وتؤدي حتماً إلى ظهور نظام جديد من القيم تعكس المصالح الأساسية للطبقات المتقدمة والمنتصرة"⁽¹⁹⁾.

لاشك أن للقيم ووظائفها اتصالاتها الوثيقة بسائر النظم السائدة في البناء الاجتماعي، بكل ضوابطه وكأزمياته ومؤسساته فهناك القيم الاقتصادية والسياسية وقيم أخرى أخلاقية ودينية، كلها وثيقة الصلة ببنية النظم الاجتماعية المكونة للمجتمع.

فإذا كانت القيم الاقتصادية تدور حول (النادر) "وغير المتوفر" من السلع والخدمات فإن القيمة الاجتماعية تتسم بالقبول الاجتماعي وتزداد القيمة الاجتماعية وتقص مع ازدياد أو نقصان درجة القبول الاجتماعي. وبخاصة فيما هو مرغوب فيه اجتماعياً كما تدور القيمة الدينية حول موضوع مقدس، تقام حوله طقوس وشعائر أما القيمة الفنية فهي تدور ما هو جميل، وما هو قبيح كذلك قيم الأخلاق حول ما هو (مستحسن) وما هو (مستهجن) وتقاس القيمة السياسية بدرجة استقطاب الناس والالتفاف حول ماله جاذبية اجتماعية، هذه بعض أشكال من القيم الأمر الذي يتعرض علينا أن نعالج مفهوم القيم وأثارها على السلوك.

لقد أكد ماكس شيلر على مبدأ الموضوعية في دراسة القيم حيث أن الوعي بقيمة الأشياء بمثابة "رد فعل إنساني" أو حركة تبادلية بين عالم الأشياء، ووجودها الواقعي من جهة، ومن عالم الذات وظروفها الاجتماعية من جهة أخرى"⁽²⁰⁾ حيث أن الوعي الموضوعي بالقيم هو بمثابة حركة مؤيدة لأشياء اجتماعية، وتلك هي الدعوة الخاصة بموضوعية القيم التي تمثل رأي العديد من العلماء ومنهم ماكس شيلر كما يؤكد على الأساس الموضوعي للقيم بالنظر إلى محتوياتها الثقافية أو مضامينها التاريخية ومصادرها الاجتماعية والاقتصادية.

ولقد اتجهت الدراسات المعاصرة في علم الاجتماع بعد الحرب العالمية الثانية نحو دراسة "علاقات التفاعل في ضوء ما يسوء بنية المجتمع من تطورات وأفكار ومثل عليا، ذلك التي تؤلف ما يسمى في علم الاجتماع (بنسق القيم) كذلك طرحت مسألة (سوسيولوجية القيم) والكشف عن أبعاد سيكولوجية وثقافية لفكرة القيمة وتفسيرها في ضوء تلك الخلفية السوسيولوجية وربطها بالوجود الثقافي وعلم الاجتماع المعاصر مسألة طبيعية القيم وتوزيعها وما يطرأ عليها من تغيرات استناداً إلى رصد اتجاهات الرأي العام وقياس الميول والاهتمامات الجمعية، مع دراسة مفهوم القيمة ونسبية هذا المفهوم في سائر المجتمعات والثقافات والتركيز على البعد الثقافي للقيم باعتبار أن القيمة هي منتجات ثقافية تصدر عن بنية الواقع الاجتماعي فهناك تلازم ضروري بين القيمة والسلوك. كما أن القيمة مشروطة وجودياً بأصول تاريخية واقتصادية كذلك تمتاز القيم بمشاركة أو قبول أكبر عدد من الناس، حيث معروفة عندهم ومألوفة لدى الناس بدرجة كبيرة من الوضوح، وتلقى قبول اجتماعي من الأفراد وتستند القيم في الغالب إلى صفة الالتزام، مع وجود الجزاءات لمن يخرج عليها نظراً للضرورة الثقافية، داخل الجماعة وانتشارها بينهم وتأثيرها المباشر على سلوك الفرد ومشاركتها في العديد من العمليات الاجتماعية كالضبط والتكيف والتربية⁽²¹⁾.

2-تأثيرات القيم: للقيم تأثير أساسي في ثقافة الشعوب وتوجيه مسارها الاجتماعي في كثير من الاهتمامات، حيث نجد أن الاهتمامات في الجانب الاقتصادي تدور حول كل ما هو نادر وغير متوافر من السلع الضرورية والمهمة التي يحتاجها الأفراد في استهلاكهم اليومي، وتختلف الأهمية من فرد لآخر ومن جماعة لأخرى داخل المجتمع الواحد، نظر لطبيعتها، الاستهلاك المختلفة، والأهمية التي تختلف بدورها نتيجة لعدة أسباب منها: المستوى الثقافي، والمستوى المعيشي، والمجتمعات السكنية الكبرى، فالقيمة الاجتماعية، تتغير مع مرور الزمن وتغير المجتمعات، وتختلف القيمة الاجتماعية من مجتمع لآخر، بحسب الموروث الثقافي الذي يدخل في تشكيله الجانب الديني، والتراث الاجتماعي من عادات وتقاليده وغير ذلك ما يساهم في تشكيل المجتمع "ولا شك أن للقيم في انساقها

وظائفها الوثيق بسائر النظم السائدة في البناء الاجتماعي، بكل جوانبه وميكانيزماته ومؤسساته، فهناك القيم الاقتصادية، والسياسية، وقيم أخرى أخلاقية ودينية، كلها وثيقة الصلة ببيئة النظم الاجتماعية المكونة للمجتمع⁽²²⁾.

كما تؤثر العولمة في الجوانب الاجتماعية للفرد والجماعة والمؤسسات الاجتماعية كل مختلف شرائحها، وبخاصة الشبابية منها، فهي تكاد تؤسسها أوضاع اجتماعية متقاربة ومتشابهة لدى المجتمعات، وبحكم ما أنتجته من وسائل تساعد على تقارب الأفراد والجماعات على اختلاف أصلها ومنحدرها الاجتماعي، إن عدم الاستقرار لفترات طويلة قد ميز حياة المجتمعات، فهي تتعرض من فترة لأخرى لهزات اجتماعية تتغير على أثرها نظم وتقوم دول وتختفي أخرى، وما ينتج عن ذلك من إعادة رسم لطرق الحياة بشكل مختلف في العادات والقيم والعلاقات متأثرة بالوضع السائد وعادة يكون هو الأقوى في فرض إراداته "ويمكن أن ينتج عن ذلك إباحة المحظورات لأهداف غير أخلاقية، أو الفجوة الاجتماعية، لأن التواصل لا يتم وجها لوجه وبالتالي يتعرض الإنسان لسلسلة من الأزمات والانهيارات النفسية وتصعد العلاقات الاجتماعية"⁽²³⁾.

إن هذا التفكير الاجتماعي المتسارع يسبب التطور التقني، والذي يعتمد على المعرفة والعلم هو سمة العولمة، إلا أن سرعة الاختراعات والابتكارات التي تحدث بشكل مستمر، حيث يبدأ تأثير العولمة عندما تتحول هذه المنظومات العلمية إلى سلوك اجتماعي، نفسي، اقتصادي فالتقدم في العلوم في ظل العولمة "سوف يكشف أسرار السلوك الإنساني بمجرد التفكير ببعض الحثيات، أو التلاعب بالتركيب الجيني الإنساني، إن قوى العولمة تغير أمام أعينا المؤسسات والعلاقات الاجتماعية بطرائق وأشكال عميقة لا تستطيع تمييزها بوضوح في الوقت الحاضر"⁽²⁴⁾.

ويمكن تحديد عدة مؤشرات في الدور الذي تخلقه قوى العولمة على المجتمع سواء كان ذلك في المجال الاجتماعي، السياسي، أو الاجتماعي البيئي، أو الاجتماعي الاقتصادي، أو الاجتماعي الثقافي، وبذلك التغير الحاصل في الاتجاهات والقيم هو التحول الملموس من الاهتمام بالسياسة التي تركز الاهتمام بالأمور الحياتية، مما أضعف الولاءات والانتماءات الأيديولوجية، حيث يلاحظ دوره الصراع بين التيارات الفكرية للجماعات

المتضررة من قوى العولمة، والتي منها الدعوة إلى التيار المحافظ على الدين والقومية والشعبوية، مقابل التيار الليبرالي المنادي بالعولمة والتعددية الثقافية وفتح آفاق من الحرية بأشكالها المختلفة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، "إن ما يهدد بلدان العالم الثالث والمجتمع العربي الآن هو أن الرأسمالية العالمية سوف تقوض بعض هذه البلدان التي يجب أن تتوفر بها بعض الشروط الأساسية، التي يتطلبها الغرب الرأسمالي ويصر عليها، أي الشركات الكبرى والعقلية الحاكمة اليوم هي عقلية الشركات ذات الميول الخاصة والاتجاهات الاستقلالية"⁽²⁵⁾ وهذا بدوره يجعل المجتمع العربي ضمن مجتمعات الاستهلاك الناتج عن الشركات الكبرى سعياً وراء الربح، كذلك تعمل قوى العولمة من خلال واقع الحياة المتسارع والضغط النفسية إلى إيجاد بيئة اجتماعية تساعد على انتشار الأمراض مثل التوتر والقلق، والأمراض الاجتماعية، تأثرت القيم بالعولمة تبعاً لتأثر انساق البناء الاجتماعي التي تشكل كافة الجوانب الحياتية للفرد المساهم في تشكيل القيم ضمن إطاره الاجتماعي ومورثه الثقافي مع قبوله للاندماج الثقافي العالمي وما يترتب عنه من تغير وتبدل وتطور ورفض للقيم ضمن تأثيرات العولمة.

نستخلص من خلال العرض السابق للورقة البحثية مجموعة من الاستنتاجات النظرية

أهمها:

- 1- ساهمت ثقافة العولمة في تغير القيم والموروث الثقافي للمجتمعات ، ومنها المجتمع العربي باعتبارها قيم قديمة ولا تواكب ثقافة عصر العولمة.
- 2- ضعف العلاقات والروابط الاجتماعية بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع الواحد.
- 3- سرعة انتشار المعلومات والأخبار بين الأفراد والجماعات .
- 4- ضعف السلطة الأبوية داخل الأسرة .
- 5- ساهمت العولمة في غياب دور القدوة كالمعلم ودور الجد في التربية.
- 6- انتهاء عصر الدولة الوطنية وبداية عصر التكتلات الكبرى.
- 7- انتهاء عصر العزلة والانغلاق على الذات.
- 8- ظهور الشركات العالمية وسيطرتها على معظم ثروات الشعوب.

تجنب الآثار السلبية للعولمة وجب علينا اتباع مجموعة من التدابير أهمها :

- 1- اتباع سياسات ضمن مجموعة من البرامج عبر وسائل الإعلام المختلفة تتماشى وقيم المجتمع العربي ومورثة ومعتقدات الثقافية والدينية
- 2- الاهتمام بالنوادي بمختلف توجهاتها الثقافية والاجتماعية والترفيهية ودعمها لتساهم في ترسيخ القيم الاجتماعية لدى مختلف الشرائح الشبابية.
- 3- العمل على نزع المخاوف من تأثيرات العولمة على الشباب والتفاعل الإيجابي مع ما هو جديد في العلوم والتقنيات والخدمات السريعة مستفيدين من التقدم والتطور الذي أفرزته العولمة.
- 4- التمسك بالقيم والموروث الثقافي والأخلاق الاجتماعية، والتكافل الاجتماعي الذي ميز المجتمع العربي، وهو لا يتعارض مع الأخذ بأسباب العلم والتقنية.
- 5- مساهمة المؤسسات التعليمية على اختلاف مراحلها نحو أعاد جيل تهيء له كل السبل التي تساهم على مواجهة الأفكار والمفاهيم التي تشكل نتاج ما أفرزته العولمة من قيم وأفكار ومفاهيم جديدة، يغلب عليها ثقافة السوق والحرية الفردية بدون حدود ولا رادع أخلاقي أو ديني.
- 6- إشراك المواطن في المجتمع العربي في التخطيط لبرامج التنمية والمساهمة في تنفيذها ومنحه مزيداً من الديمقراطية والحرية والعدالة الاجتماعية.
- 7- التنبيه إلى استغلال وسائل الإعلام والتقنيات الحديثة في الاتصالات في الترويج لقيم وأفكار تهدد النسيج الاجتماعي من خلال الصراعات الاجتماعية والحروب الأهلية والطائفية واجتماعياً من الدعوة إلى المساواة في الميراث، بين الرجل والمرأة، وقانون الأحوال الشخصية، وظاهرة التنصير باسم حرية المعتقد، والكثير من القضايا التي وجب علينا أن تقي أنفسنا والأجيال القادمة منها.

المراجع :

- (1) غازي الصوان، المجتمع والاقتصاد أمام العولمة، المستقبل العربي، 2003، ص47.
- (2) نعيمة تومان، العولمة بين النظم التكنولوجية الحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م، ص40.
- (3) عمر مصطفى التير، الهوية الثقافية العربية والتعليم في الوطن العربي في ظل العولمة، بحث منشور في مجلة الفكر العربي، بيروت، العدد 97، صيف 1999، ص13.
- (4) محمد سعيد أبوزعرور، العولمة ، دار البيارق، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1998م، ص13.
- (5) عبد الخالق عبدالله، العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، مجلة عالم الفكر، العدد 2، أكتوبر 1999م، الكويت ، ص ص54، 55.
- (6) محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية عشر أطروحات، دار المستقبل العربي، بيروت، العدد 222، 1992م، ص137.
- (7) زكريا محمد عبد الوهاب طاحون، بينات ترهقها العولمة، دار النشر جمعية المكتب العربي للبحوث والبيئة، الطبعة الأولى، 2003م، ص72.
- (8) برهان غليون، الوطن العربي أمام تحديات القرن الواحد والعشرين تحديات كبيرة وهم صغيرة، مجلة المستقبل العربي، العدد 232 يونيو، 1998م، ص12.
- (9) فؤاد زكريا، نزعة إنسانية تتخطى الحدود السياسية، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 27، العدد 4 ، 1999م، ص156.
- (10) حكمة عبدالله اليزاز، العولمة والتربية ، جريدة البيان، دولة الامارات العربية المتحدة، دبي، 16 يونيو 2001، ص5.
- (11) حسين عادل بهاء الدين، الوطنية في عالم بلا هوية، دار المعارف، مصر، 2003م، ص ص62، 63.

- (12) ظاهر مسعود، الثقافة العربية في مواجهة التغيرات الدولية الراهنة، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 100 ، 101، بيروت، 1993م، ص20.
- (13) غازي الصوان، العولمة وطبيعة الأزمات في الوطن العربي وآفاق المستقبل، المستقبل العربي ، عدد 93، 2 يونيو 2003م، ص3.
- (14) زكي الميلاد، الفكر الإسلامي وقضايا العصر، العدد 20 ، السنة الخامسة، 1998م، ص8.
- (15) محمود حمدي زقزوق، الإسلام في عصر العولمة، مكتبة الشروق ، الطبعة الأولى، 2001م، ص ص18، 19.
- (16) برهان غليون، رهانات العولمة، سلسلة مقالات نشرت في جريدة الاتحاد الظبانية، 1991م، ص25.
- (17) منعم خليل عمر، البناء الاجتماعي أنساق ونظم، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1992م، ص7.
- (18) أحمد أنور ، الآثار الاجتماعية للعولمة الاقتصادية، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، الطبعة الأولى، 2003، ص273.
- (19) أوسيو ف ، قضايا علم الاجتماع ، دراسة سوفيتية لعلم الاجتماع الرأسمالي، ترجمة: أحمد سمير نعيم، وفرج أحمد، دار المعارف، القاهرة، 1970م، ص ص123، 134.
- (20) cureh. Georges. Wentietcom cuty socio bogy . ph. Losophicaleibrury new work 1945. 376.
- (21) قباري محمد اسماعيل، أسس البناء الاجتماعي، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1990، ص148.
- (22) قباري محمد اسماعيل، أسس البناء الاجتماعي، مرجع سابق، ص137.
- (23) زكريا محمد عبد الوهاب طاحون، بيانات ترهقها العولمة، مرجع سابق، ص45.

د. ابوحرارة محمد عبد السلام

تأثير العولمة على البناء الاجتماعي للمجتمع العربي: دراسة تحليلية

(24) خلدون حسن النقيب ، العولمة تنسيقات على جسد مهشى، صحيفة الخليج،
1999/11/15م، العدد 7480 ، ص16.

(25) محمد توهيل عبدالسعيد، هذه هي العولمة، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت،
2002م، ص457.

الضوابط الطبوغرافية والمناخية لنمو النبات الطبيعي في الجبل الغربي

د. رمضان محمد رمضان

كلية التربية يفرن - جامعة الزنتان

مقدمة:

يعد النبات الطبيعي من الدعائم الأساسية لتحقيق التوازن البيئي في الطبيعة، إذ يساعد على إستمرار الأنظمة البيئية في القيام بوظائفها وتنظيم نفسها، وتعتبر عناصر المناخ الأكثر أهمية في التأثير على النبات الطبيعي ومظهره العام، ويمكن أن يطلق عليها عوامل الحياة النباتية، كما تؤدي مظاهر السطح المتمثلة في إختلاف التضاريس، ودرجة الإنحدار، واتجاه السفوح الجبلية دوراً مهماً في التأثير على نمو النبات الطبيعي وتوزيعه الجغرافي، وعليه فإن الحياة النباتية التي تنمو طبيعياً في أي إقليم ما هي إلا نتيجة لتفاعل مجموعة من العوامل الطبيعية التي تتعلق في مجملها بالمناخ السائد والسطح.

تقع منطقة البحث في شمال غرب ليبيا وتمتد ضمن نطاق مرتفعات الجبل الغربي الذي يمتد على هيئة سلسلة جبلية يتراوح إرتفاعها ما بين (600-884) متراً فوق مستوى سطح البحر، هذا وتتميز منطقة البحث الجبل الغربي بالتنوع النباتي نتيجة لإختلاف الظروف الطبيعية حيث تختلف طبيعتها الجيومورفولوجية من حيث الارتفاع والانخفاض، الأمر الذي أدى إلى وجود نباتات دائمة الخضرة، وأخرى فصلية تنمو في موسم سقوط الأمطار، إلا أنه نتيجة للتغيرات المناخية والمتمثلة في إرتفاع الحرارة، وقلة سقوط الأمطار، وتذبذبها وتدهور الغطاء النباتي الطبيعي بالمنطقة، مما قلل من دوره في حماية التربة من عوامل التعرية وأثر ذلك على التوازن البيئي، الأمر الذي استوجب دراسته لمعرفة التوزيع الجغرافي لنبات الطبيعي بالمنطقة، وبيان مدى أهميته، والعوامل المؤثرة فيه.

مشكلة البحث:

تتعرض منطقة البحث لتغيرات مناخية ساهمت مع بعض الأنشطة البشرية في ظهور مشاكل أثرت على البيئة ومواردها، فلقد أدت هذه الظروف الى تدهور الغطاء النباتي

د. رمضان محمد رمضان.

الضوابط الطبوغرافية والمناخية لنمو النبات الطبيعي في الجبل الغربي

الطبيعي بالمنطقة، وكأثر لأهمية النبات الطبيعي في الحفاظ على توازن البيئة كان لزاماً دراسته ومحاولة توضيح أسباب تدهوره، وإقتراح الحلول المناسبة له، ولتحقيق ذلك تم وضع مجموعة من التساؤلات التالية:-

- هل هناك توازن في التوزيع الجغرافي للنباتات الطبيعية؟
- ما أثر المناخ ومظاهر السطح على نمو النبات الطبيعي؟
- ما هي البرامج المعتمدة في تنمية الغطاء النباتي؟

أهدافه:

1. دراسة توزيع الأنواع النباتية الطبيعية وأهميتها في التوازن البيئي.
2. التعرف على العوامل الطبيعية المؤثرة في نمو النبات الطبيعي.
3. عرض الأسباب التي تؤدي إلى تدهور النبات الطبيعي.
4. تقديم بعض المقترحات والحلول التي تساهم في تنمية وحماية النبات الطبيعي.

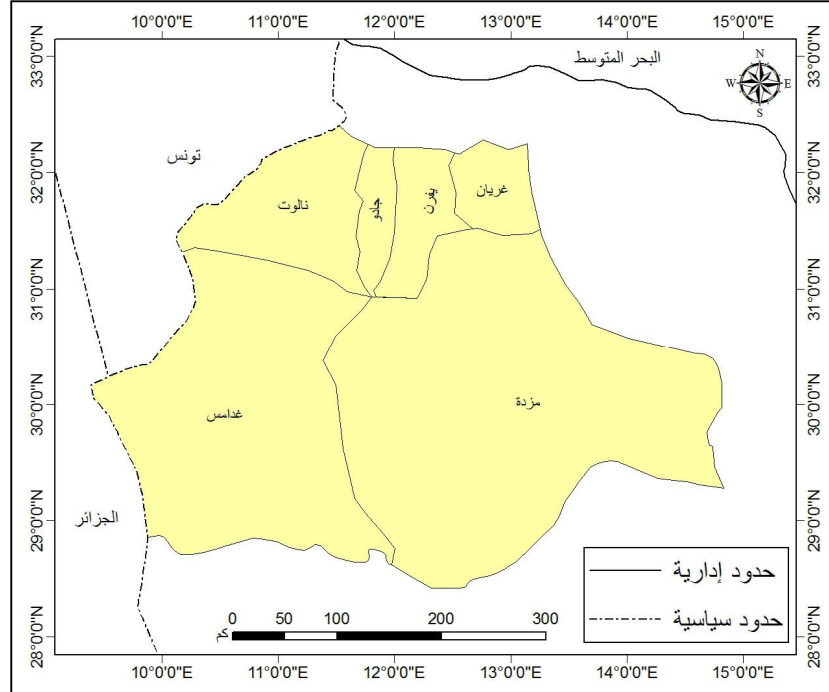
أهميته:

تكمن أهمية هذا البحث في كونه تعطي صورة واضحة عن أهمية النبات الطبيعي في المنطقة، وإبراز الضوابط المتحكمة به، وتحديد أنسب الوسائل، والطرق التي تساعد على حمايته من التدهور.

حدوده:

تقع منطقة الدراسة في الجزء الشمالي الغربي من ليبيا على طول إمتداد سلسلة الجبل الغربي، والذي يشار إليه بجبل نفوسة، على إرتفاع يتراوح ما بين (600-884) متراً فوق مستوى سطح البحر، أما إحداثياتها الجغرافية فهي تقع بين خطي طول (9-15) شرقاً وبين دائرتي عرض (29.5 - 32.45) شمالاً⁽¹⁾ الشكل(1).

شكل (1) موقع منطقة الدراسة.



المصدر: مصلحة التخطيط العمراني، الأطلس الوطني، طرابلس، 1978.

المنهج المتبع في البحث:

1. المنهج الوصفي: يهدف إلى تجميع البيانات والمعلومات التي تساعد على فهم المشكلة وتحديد أبعادها ومعرفة توزيعها ومدى ارتباطها بغيرها من الظواهر.
2. المنهج الموضوعي: يهتم بدراسة الظاهرة موضوع البحث والتعرف على أبعادها والعوامل المؤثرة فيها.

الدراسات السابقة:

تعد دراسة النبات الطبيعي من الدراسات التي تناولتها العديد من الأبحاث سواء على المستوى الإقليمي، أو المحلي، إلا أن منطقة الدراسة تعاني من قلة هذه الدراسات، ومن هنا يتم عرض بعض الدراسات ذات العلاقة بموضوع البحث.

د. رمضان محمد رمضان.

الضوابط الطبوغرافية والمناخية لنمو النبات الطبيعي في الجبل الغربي

1. دراسة مفتاح الأديوش (2000): التي تناولت "التدهور البيئي في شمال غرب سهل الجفارة"، وقد خلصت إلى أن النباتات الطبيعية في المنطقة تعد في حالة تقهقر، حيث أشار إلى اختفاء بعض الفصائل النباتية بسبب الظروف المناخية وبعض الأنشطة البشرية.

2. دراسة عبد الهادي (2009): تناولت "دراسة النبات الطبيعي في بني وليد"، وتوصل إلى مجموعة من النتائج منها: أن للعوامل الطبيعية والأنشطة البشرية دور كبير في تدهور وتناقص النباتات الطبيعية بالمنطقة.

أولاً- العوامل المؤثرة في نمو النبات الطبيعي في الجبل الغربي.

1- مظاهر السطح:

تختلف مظاهر السطح في منطقة الدراسة من جهة لأخرى ومن مكان لآخر، فطوبوغرافية المنطقة تتفاوت في الارتفاع على مناسيب مختلفة تحتوي على العديد من المظاهر التضاريسية، منها ما يحمل الطابع الجبلي، والآخر يحمل الطابع السهلي، حيث ينتوع شكل المنطقة بدرجة كبيرة فمن جهة الشمال يرتفع الجبل إلى الجنوب من سهل جفارة بجروف مرتفعة جداً ومنحدرات حادة للغاية، أما من ناحية الجنوب فهي على العكس تنحدر تدريجياً للتداخل مع إقليم القبلة⁽²⁾.

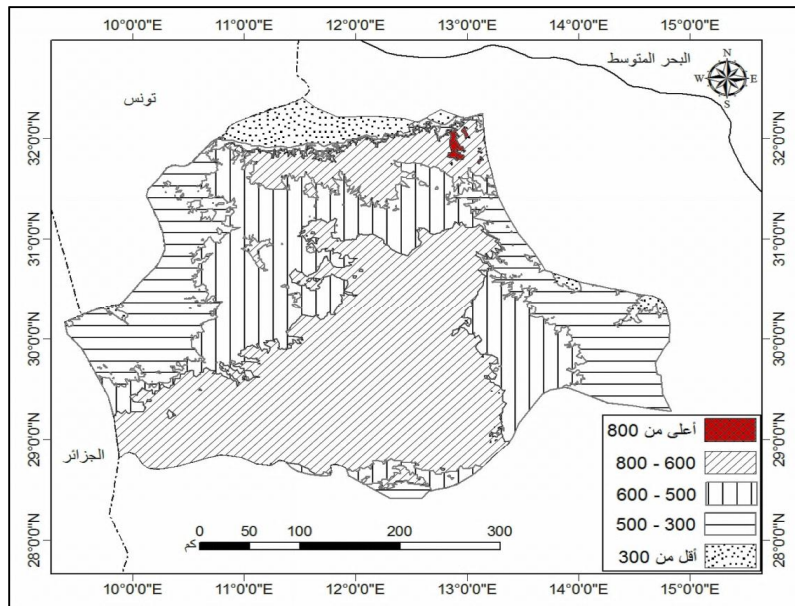
أما المرتفعات فهي السمة السائدة في نطاق الجبل الغربي والمتكونة خلال الزمن الجيولوجي الثاني، والتمتيزة بالإنحدار الشديد من جهة الشمال، والإنحدار التدريجي جنوباً، وقد ساهم هذا الإنحدار في وجود أنماط متعددة من الأودية، كما تظهر في المنطقة آثار التجوية بنوعها الميكانيكية والكيميائية ونظراً لجفاف المنطقة نجد أن التجوية الميكانيكية هي السائدة في المنطقة، كما أن للتعرية المائية دور كبير وفعال في تشكيل السطح خلال العصور المطيرة إذ ساعدت على تكوين المجاري المائية والعديد من الأشكال الجيومورفولوجية الأخرى، ومع حلول فترة الجفاف الحالية نشطت التعرية الهوائية في المنطقة ونتاج عنها إرسابات في المناطق المنخفضة.

د. رمضان محمد رمضان.

الضوابط الطبوغرافية والمناخية لنمو النبات الطبيعي في الجبل الغربي

تعتبر منطقة الدراسة ظاهرة جيولوجية وبيومورفولوجية مميزة في شمال غرب ليبيا، فهي تقع ضمن نطاقين تضاريسيين متباينين في مظاهرها هما: نطاق مرتفعات الجبل الغربي الذي يمتد على هيئة سلسلة جبلية تتراوح في إرتفاعها ما بين (600-884) متراً فوق مستوى سطح البحر، في حين يأخذ شكل الانحدار التدريجي في الغرب والجنوب حتى يلتحم مع حدود الحمادة الحمراء، كما هو مبين في الشكل (2)، كما يلاحظ أيضاً أن الحافة الشمالية لهذا الجبل مقطعة بواسطة العديد من الممرات الجبلية والأودية القصيرة التي تأخذ شكل التصريف المتوازي في مظهرها العام، ومن أهمها وادي المحروقة، ووادي الأثل، وتنتشر الإرسابات الفيضية على إمتداد الأودية في الأماكن المنخفضة من سطح الجبل، أما النطاق الصحراوي فهو عبارة عن أراضي صحراوية تشكل جزءاً من هضبة الحمادة الحمراء بإرتفاع يتراوح ما بين (450-650) متراً وتتميز بسطحها المستوي نسبياً، وتقطعها مجموعة من الأودية التي يتجه بعضها شرقاً والبعض الآخر غرباً⁽³⁾.

شكل (2) تضاريس إقليم الجبل الغربي.



المصدر: مصلحة التخطيط العمراني، الأطلس الوطني، طرابلس، 1978.

إن تأثير المرتفعات على الأحوال المناخية وعلى الفصائل النباتية في منطقة الدراسة يظهر بوضوح من خلال إنخفاض درجات الحرارة اليومية، وزيادة كمية التساقط، وهن اتجدر الإشارة إلى أن الأمطار لا تزداد تبعاً لعامل الإرتفاع فحسب، بل وتتأثر بعوامل أخرى مثل القرب والبعد من البحر، وكمية بخار الماء الذي يحمله الهواء، وسرعة الرياح، ودرجة إنحدار المرتفعات التي تتعرض لهبوب الرياح، وهذه العوامل لها دور في زيادة الأمطار غير أنه يبقى للإرتفاع الدور الأكبر في التساقط⁽⁴⁾، إذ تزداد كمية الأمطار على المرتفعات الشمالية الشرقية المواجهة لهبوب الرياح في المنطقة، ويقل تأثيرها على السفوح الغربية، والجنوبية نتيجة لقلة الإرتفاع ووقوعها في ضل المطر، وأثر هذا يبدو واضحاً على الحياة النباتية في المنطقة، كما تؤثر خصائص السطح كثيراً في كمية الماء المتاح للنبات، وبذلك تؤثر في نموها كما تؤثر مظاهر السطح في تكوين التربة بطرق مختلفة فهي تساعد على إنجراف التربة، وترسبها في الأحواض المنخفضة والأودية التي تنتوع بها الحياة النباتية حيث عملت طبوغرافيتها على خلق بيئة محمية من الرياح القوية والحرارة العالية، كما تتوافر بها التربة المترسبة من التلال المجاورة، أما التلال شديدة الإنحدار التي تجاورها في الغرب والشرق فهي تكاد تخلو من الحياة النباتية بسبب شدة الإنحدارات التي تسرع من جريان المياه فوق السطح، وانجراف التربة التي تمثل الأساس لنمو النبات، أن تأثير العامل الطبوغرافي يظهر بوضوح في الأجزاء الشمالية والغربية حيث يشد الإنحدار، كما يؤثر إتجاه السفوح الجبلية على النبات إذ تنعدم الحياة النباتية في الأجزاء المواجهة للتعرية الريحية، كما هو الحال في شمال غرب منطقة البحث، كما يظهر أثر الإرتفاع في الجنوب الغربي من منطقة الدراسة حيث تنتوع الحياة النباتية في الأودية والأماكن المنخفضة وتقل على السفوح شديدة الإنحدار وخاصة في الأجزاء الجنوبية والغربية نتيجة لتضافر عوامل السطح وضحالة التربة والمناخ شبه الجاف.

2- المناخ:

تعد عناصر المناخ أهم العوامل الطبيعية التي تؤثر تأثيراً فعالاً في الحياة النباتية، ويعتبر عامل المناخ وعناصره المختلفة العامل الحاسم في تحديد أنماط الغطاء النباتي،

د. رمضان محمد رمضان.

الضوابط الطبوغرافية والمناخية لنمو النبات الطبيعي في الجبل الغربي

فالنمو الطبيعي والتطور لجميع أنواع النباتات ما هو إلا نتاج لإرتباط العوامل البيئية، مع عناصر المناخ ومكونات التربة، فنقص إحدى هذه العناصر يؤدي إلى حدوث خلل في التوازن البيئي، ويعد الغطاء النباتي إنعكاساً للظروف المناخية السائدة، وتعتبر الحرارة، والأمطار من أهم عناصر المناخ تأثيراً على الحياة النباتية بصورة مباشرة. وفيما يلي عرض لأهم عناصر المناخ تأثيراً على النبات الطبيعي:

أ- الحرارة :

تؤثر الحرارة ولحد كبير في وجود النباتات ونموها، إذ أنها تؤثر في جميع التفاعلات الكيميائية سواء كانت عضوية أم غير عضوية، كما أنها تؤثر بشكل مباشر على مختلف العمليات الحيوية للنبات، فلكل نوع نباتي درجة حرارة معينة يعيش فيها حياة طبيعية، فإذا تجاوزت مدى معين سواء كان ارتفاعاً أو انخفاضاً تأثر نشاط النبات⁽⁵⁾.

ونظراً لوقوع منطقة الدراسة في شمال غرب ليبيا وضمن المناطق الداخلية بعيداً عن المؤثرات البحرية فإن الحرارة تعتبر مرتفعة نسبياً، وحرارة المنطقة تعد من أهم العوامل المناخية المؤثرة في نمو وتوزيع النبات الطبيعي ولا تقل أهمية عن الماء لأنها تؤثر على العمليات الحيوية في النبات.

تختلف درجة الحرارة في منطقة الدراسة من مكان لآخر ومن وقت لآخر، وذلك تبعاً لاختلاف العديد من العوامل المؤثرة في مناخ المنطقة، ومن خلال دراسة درجات الحرارة في منطقة الدراسة نلاحظ أنها تتأثر في المقام الأول بإحداثياتها الجغرافية فموقع المنطقة شمال خط عرض (29.05°-32.45°) يدل على وقوعها ضمن الأقاليم شبه الجافة إلا أن للظروف المحلية أثراً واضحاً على بعض خصائص الحرارة الناتجة عن إرتفاع الجبل الغربي وتعقد مظاهر سطحه، واختلاف إتجاه منحدراته⁽⁶⁾.

ومن خلال تتبع أرقام المتوسطات الشهرية والسنوية لدرجة الحرارة المبينة في الجدول (1) يتضح الآتي:

1. يوجد تباين في المعدلات السنوية لدرجة الحرارة من منطقة لأخرى، وذلك لتعدد العوامل المؤثرة فيه.

د. رمضان محمد رمضان.

الضوابط الطبوغرافية والمناخية لنمو النبات الطبيعي في الجبل الغربي

2. يقل المعدل السنوي لدرجات الحرارة في محطتي غريان ويفرن ليصل إلى (17.9-19.4) على التوالي ثم يزداد هذا المعدل بالإتجاه جنوباً وغرباً، حيث تسجل محطة غدامس (22.7) ومزدة (22.6)، ومن هنا يتضح دور الإرتفاع في التأثير على المتوسطات السنوية لدرجات الحرارة.
3. تنخفض درجات الحرارة إلى أدنى مستوياتها خلال فصل الشتاء في كل محطات منطقة الدراسة ولا سيما محطة غريان التي تعد أكثر المناطق إرتفاعاً، بينما تصل هذه الدرجة إلى أعلى معدلاتها خلال فصل الصيف، ويظهر هذا الإرتفاع بشكل أكثر وضوحاً في الجهات الجنوبية الغربية من منطقة الدراسة .
4. وبشكل عام يتضح وجود فترات حرجة تتمكن فيها درجات الحرارة من كسر حاجز الإعتدال النسبي والتطرف الحاد في بعض الفترات وانعكاس ذلك على مظاهر الجفاف، وهذا يؤثر على الغطاء النباتي في المنطقة.

جدول (1) المتوسطات السنوية والشهرية لدرجة الحرارة في منطقة الدراسة للفترة من (79-2010)م.

المحطة	غريان	يفرن	نالت	مزدة	ظاه
يناير	8.8	9.7	10.1	14.6	11.2
فبراير	10.4	11.6	11.7	16	13.9
مارس	12.6	14.5	15.3	19.3	18.1
أبريل	16.2	17.9	18.1	22	22.2
مايو	20.7	22.3	22.5	25.6	25
يونيو	23.1	26.3	26.4	29	28.4
يوليو	26.4	28.1	28.5	29.3	29.3
أغسطس	26.7	28.2	28.5	29.4	29.4
تفمبر	24	25	25.7	28	27
أكتوبر	19.6	21.6	21.8	23.7	24.3
نوفمبر	14.4	16.2	16.3	19.8	17.4
ديسمبر	10.2	10.9	11.2	14.8	12.3
المجمو	17.4	19.4	14.7	22.6	22.7

المصدر : المركز الوطني للأرصاد الجوية ، طرابلس، بيانات غير منشورة، 2010.

د. رمضان محمد رمضان.

الضوابط الطبوغرافية والمناخية لنمو النبات الطبيعي في الجبل الغربي

يبدو مما سبق أن هناك تبايناً ظاهراً في درجات الحرارة في منطقة الدراسة الأمر الذي يؤثر بشكل سلباً في حجم وإختلاف كثافة الغطاء النباتي، إذ توجد علاقة قوية بين درجة الحرارة وزيادة نمو النبات الطبيعي، وحاجة النباتات للحرارة وفقاً للنوع ومراحل النمو، كما أن لكل نبات حد أدنى وأقصى من درجة الحرارة يمكن من خلاله أن يواصل دورة حياته، فالغالبية العظمى من النباتات في منطقة الدراسة تحتاج إلى درجة حرارة معتدلة تتراوح ما بين (10-20) درجة مئوية، وهي تمثل المتوسط الحراري في فصل الربيع (فصل النمو والإزهار للنباتات الطبيعية الفصليّة والحولية) وتعتبر الحرارة أيضاً المصدر الأساس لكميات الطاقة اللازمة لجميع العمليات الضرورية لنمو النبات، والتي يحتاج إليها بشكل متفاوت بإختلاف مراحل نموه، ويظهر تأثيره واضحاً على لونه، وشكله، وتكوين أوراقه، علماً إن سرعة نمو الأحياء النباتية تبلغ أقصاها في درجة حرارة معينة تسمى درجة الحرارة الأنسب، وهي ليست درجة حرارة واحدة لجميع النباتات⁽⁷⁾، كما تؤثر درجة الحرارة على عملية النتج في النبات، وفي فكلما ارتفعت درجة الحرارة زاد معدل النتج في النبات وفي المقابل فقدانه للماء عن طريق النتج، ويبدأ النبات في الذبول عندما يصبح التوازن المائي سالباً وتنتهي هذه العملية غالباً بموت النبات، بسبب توقف العمليات الحيوية التي تعتمد على الماء، ويظهر هذا جلياً في جنوب وجنوب غرب منطقة الدراسة، وفي نفس الوقت يمكن ملاحظة حياة شبه طبيعية في الأجزاء الشمالية الشرقية ولفترة أطول نتيجة لإعتدال درجة الحرارة، وهنا لا ننسى تأثير الحرارة على عمليات التلقيح والإزهار، باعتبار حساسية حبوب اللقاح للحرارة المرتفعة⁽⁸⁾، كما تؤثر الحرارة على جذور النباتات فهي معرضة للحرارة في الأجزاء الجنوبية أكثر من الأجزاء الشمالية مثلما هو الحال في الجزء الشمال الشرقي والتي تظهر على هيئة مجموعات، خلافاً لما هو الحال جنوباً.

ب- الأمطار:

تعد الأمطار من أهم العناصر المناخية تأثيراً على جوانب البيئة الطبيعية في المناطق الجافة وشبه الجافة بإعتبارها العامل الرئيس الذي يحدد مختلف أنماط الحياة النباتية،

د. رمضان محمد رمضان.

الضوابط الطبوغرافية والمناخية لنمو النبات الطبيعي في الجبل الغربي

وخصوصاً إذا كانت الأمطار تمثل المصدر الأساس لمعظم المياه المستغلة كما هو الحال في منطقة الدراسة.

هذا ويعتبر الماء من أهم العوامل المؤثرة في نمو الأحياء النباتية، وكتافتها إذ يمثل الماء ما نسبته 80% من وزن النبات⁽⁹⁾ فحاجة النبات للماء تختلف من نبات إلى آخر وفي نفس النبات من مرحلة لأخرى، فالماء عنصر مهم للنبات لأن العناصر الغذائية لا يمكن أن تصله إلا مذابة في الماء .

تتأثر الأمطار في توزيعها المكاني بقرب وبعد المنطقة من المؤثرات البحرية فهي تتناقص في معدلاتها كلما إتجهنا جنوباً وغرباً بعيداً عن الحافة الشمالية، ومن خلال دراسة توزيع الأمطار المبينة في الجدول (2) نلاحظ التفاوت والاختلاف في المعدلات السنوية بين محطات منطقة الدراسة، وأن المعدل السنوي للأمطار في الأجزاء الشمالية منها يفوق المعدلات في الأجزاء الجنوبية والغربية، وهذا الاختلاف في معدلات الأمطار أدى إلى اختلاف الأنواع النباتية في المنطقة، إذ تتباين الأمطار من مكان لآخر داخل منطقة الدراسة تبعاً للظروف المحلية السائدة، ففي منطقة غريان يبلغ المعدل السنوي للأمطار (355) ملم، وتقل هذه الكمية بالابتعاد عن الحافة الشمالية عند الإتجاه جنوباً وغرباً، حيث ينخفض المعدل السنوي للأمطار إلى (274) ملم في يفرن، ويستمر الانخفاض حتى يصل إلى (165) ملم في نالوت و(59.9) ملم في غدامس، بينما تسجل محطة أرساد مزدة الواقعة جنوب منطقة الدراسة أقل كمية لا تتعدى (31.9) ملم، وهذا التباين راجع إلى تناقص الإرتفاع والابتعاد عن المؤثرات البحرية، كما يلاحظ من خلال الجدول(2) أن معظم الأمطار تسقط في فصل الشتاء، بينما تسقط كميات أقل في فصلي الخريف والربيع، أما فصل الصيف فيكاد يكون جافاً، ويبدأ المطر عادة في شهر أكتوبر بكميات قليلة حتى تبلغ أعلى معدلاتها في شهري ديسمبر ويناير، ثم يبدأ معدل سقوط الأمطار في التناقص حتى نهاية شهر أبريل، علماً بأن معدلات الأمطار الفصلية والسنوية تتعرض إلى تبدلات فصلية وسنوية وكثيراً ما تنخفض عن المعدل العام بين فترة وأخرى، وهذه التبدلات السنوية تؤثر على النبات الطبيعي في المنطقة.

د. رمضان محمد رمضان.

الضوابط الطبوغرافية والمناخية لنمو النبات الطبيعي في الجبل الغربي

جدول (2) المتوسطات الشهرية والسنوية لسقوط الأمطار في منطقة الدراسة للفترة (79-)

(2010)

المحطة	غريان	بفرن	نالوت	مزدة	ظاه
يناير	65.9	47.2	15.8	8.5	5.2
فبراير	53.3	30.7	17.7	4.3	5.4
مارس	58.6	41.8	33.7	9.3	6.0
أبريل	30.3	16.8	16.2	4.2	3.2
مايو	12.9	11.4	16.6	5.9	1.7
يونيو	3.1	2.8	1.8	1.4	0.5
يوليو	0.0	0.0	0.1	0.1	0.0
أغسطس	0.5	3.7	0.2	0.2	0.1
سبتمبر	10.7	4.4	7.0	5.5	0.6
أكتوبر	43.6	31.1	25.1	7.2	2.8
نوفمبر	41.7	27.8	15.4	6.2	1.7
ديسمبر	51.3	54.2	15.8	7.1	3.6
المجموع	359	24	2	59.9	31.9

المصدر: المركز الوطني للرصد الجوي، طرابلس، بيانات غير منشورة، 2010.

يعد المطر العامل الأساس المحدد لكثافة وعدد الأنواع النباتية المكونة للغطاء النباتي الطبيعي، فرغم قلة المطر في منطقة الدراسة إلا أن الكميات المتاحة تلعب دوراً مهماً في ظهور حيائية نباتية متنوعة فتتذبذب هطول الأمطار من سنة لأخرى أو سقوطها في وقت غير مناسب لمراحل نمو النباتات يقلل من أهميتها إذ تمثل طريقة توزيع المطر على مدار السنة أهم العوامل المؤثرة في كثافة الغطاء النباتي إضافة إلى مرور المنطقة بفصل جفاف طويل يبدأ من نهاية شهر إبريل وحتى شهر سبتمبر، الأمر الذي جعل المنطقة تتميز بمظهرين من الغطاء النباتي الأول كثيف خلال موسم سقوط الأمطار، والثاني خلال فصل الجفاف، وفي هذا الموسم تتناقص الكثافة النباتية، وتختفي الحوليات، وتحاليل النباتات المعمرة على الجفاف بطرق عدة للتقليل من عملية التبخر والنتح فبعض النباتات تقوم

د. رمضان محمد رمضان.

الضوابط الطبوغرافية والمناخية لنمو النبات الطبيعي في الجبل الغربي

بنفض أوراقها في فصل الجفاف، وبعضها الآخر يقوم بتخزين الماء في الأوراق أو في الجذور، ومنها ما تكون أوراقه شوكية أو صغيرة، كما تختلف أيضاً كمية المياه اللازمة لنمو أنواع النباتات المختلفة، فنجد مثلاً بعض المجاميع النباتية مثل الحلفاء تنتشر في الجزء الشمالي الشرقي من منطقة الدراسة، وهي عادةً في المناطق التي تزيد فيها معدلات الأمطار عن (175) ملم/السنة، وهذه الفصيلة النباتية جيدة النمو في سفوح المرتفعات والمنحدرات، كما نلاحظ نبات الشيح الذي يمتد من الشرق إلى الغرب في خط متوسط أمطاره تتراوح ما بين (175) ملم في الشمال إلى (35) ملم، في الجنوب، في حين تنتشر فصيلة الرمث في الجنوب، والجنوب الغربي في معدلات أمطار تقل عن (125) ملم/سنة⁽¹⁰⁾، أما في المناطق المنخفضة من قيعان الأودية التي يتجمع بها أكبر قدر من الرطوبة نلاحظ تركيز أشجار السرول، والبطوم، والخروب، وخصوصاً في الأجزاء الشمالية والشرقية، بينما تتركز شجيرات الزعتر، والكليل، والشقارة على المصاطب، والمنحدرات الجبلية، كما يؤثر المطر سلباً على البيئة عن طريق فقد العناصر الغذائية اللازمة لنمو النباتات خاصة فوق السفوح الجبلية التي تتعرض للانجراف، والغسيل المستمرين حيث تبدو الجذور واضحة في المنحدرات التي تزيد فيها درجة الانجراف عن (5%) كما هو الحال في الأجزاء الشمالية الشرقية من منطقة الدراسة⁽¹¹⁾.

ثانياً- النبات الطبيعي وتوزيعه الجغرافي:

النبات الطبيعي هو ذلك النبات الذي ينمو من تلقاء نفسه دون أن يكون للإنسان أي دخل في عملية نموه، وهو محصلة لعوامل المناخ المختلفة، وتفاعلها مع بعضها، والتي من أهمها الأمطار والحرارة وتفاعلها مع العوامل البيئية كالتربة، والتضاريس، إذ يؤدي اختلاف طبيعة، وخصائص هذه العوامل، ودرجة تفاعلها إلى اختلاف الصور، والأشكال النباتية على سطح الأرض، ولنبات الطبيعي أهمية كبيرة في منطقة الدراسة يمكن إنجازها في النقاط التالية:

الضوابط الطبوغرافية والمناخية لنمو النبات الطبيعي في الجبل الغربي

- النباتات الطبيعي يعتمد عليه السكان في تربية الحيوانات التي تعتبر مصدراً مهماً للغذاء، والكساء، كما أنه يمد السكان بما يحتاجونه من مواد، ومنتجات أولية لأغراض البناء، والوقود، والصناعات التقليدية.
 - يمثل النبات الطبيعي القاعدة الأساسية في الهرم الغذائي لكافة الكائنات الحية.
 - يعتبر النبات الطبيعي مورداً مكملاً للثروة الزراعية ومساعداً على تنميتها، وذلك لما له من تأثير على عناصر المناخ المحلي، والمحافظة على التربة، وتوفير الموارد اللازمة للنشاط الزراعي والحيواني.
 - يساعد الغطاء النباتي على خفض درجة الحرارة بقيم تتراوح ما بين (1.4-2.1)°، وفي الوقت ذاته يساعد على ارتفاع الرطوبة النسبية بقيم تتراوح ما بين (1.2-3%)⁽¹²⁾.
 - بعض النباتات لها استخدامات طبية ويمكن أن يكون لها مستقبل في الصناعات الدوائية كنبات الزعتر، والحرمل، والشيح، والكليل، والروبيا.
 - النبات الطبيعي عامل مهم في تكوين التربة لأنه يزودها بالموارد العضوية ويجعل منها تربة أكثر ملائمة للإنبات والاستزراع.
 - يعمل النبات الطبيعي على تنظيم الموازنة المائية داخل التربة ويحول دون ضياع كمية كبيرة من مياه الأمطار، إضافة إلى أنه يقلل من مخاطر تعرضها للتعرية، والانجراف، لأنه يساعد على تثبيت التربة.
 - يمتص النبات الطبيعي ثاني أكسيد الكربون من الجو ويحوّله إلى أكسجين لتستفيد منه كافة الكائنات الحية، أي أنه يعمل على إحداث توازن بيئي.
 - بعض مناطق الغطاء النباتي كالغابات والأحراش يمكن إستغلالها بصفقتها أماكن سياحية وترفيهية، أو أماكن لتربية الأحياء البرية، كما هو الحال في محمية أبو غيلان في منطقة غريان، التي يقصدها السكان كمنتفس في أوقات الراحة.
- هذا يرتبط توزيع النبات الطبيعي في منطقة الدراسة بالظروف المناخية القاسية، إذ أنه عبارة عن غطاء نباتي فقير يكاد يندم في أقصى الأجزاء الجنوبية والغربية للمنطقة،

د. رمضان محمد رمضان.

الضوابط الطبوغرافية والمناخية لنمو النبات الطبيعي في الجبل الغربي

وتتنوع الحياة النباتية داخل منطقة الدراسة، تبعاً لاختلاف العوامل المؤثرة فيها، وتصنف إلى الآتي:-

أ. نباتات المناطق شبه الرطبة:

تعتبر هذه المنطقة من أغنى مناطق الجبل الغربي من حيث نمو وازدهار النبات الطبيعي، وهي تشمل الأجزاء الشمالية الشرقية منه، وأهم ما يميزها هو الارتفاع الذي يصل إلى أكثر من (884) متراً فوق مستوى سطح البحر، كما أن سفوحها الجبلية مواجهة لهبوب الرياح الممطرة، وهذه الخصائص الطبوغرافية ساعدت على زيادة كمية التساقط التي تصل إلى (359) ملم/السنة، مما ساعد على تنوع الحياة النباتية والتي أغلبها نباتات حولية، ودائمة الخضرة تقاوم ظروف الجفاف بطرق مختلفة كنبات العرعار، والسرول، والاكليل، والزيتون البري وحشائش الاستبس الغنية نسبياً يضاف إلى ذلك نبات الحلفا.

ب. نباتات المناطق شبه الجافة:

تمتد هذه المنطقة في الأجزاء الشمالية الغربية من منطقة الدراسة التي فيها نقل كمية التساقط نتيجة لوقوعها في نطاق ظل المطر، ولو أنها تحظى بكميات مناسبة من المياه بواسطة جريان الأودية الجافة، ونتيجة لقلة التساقط تأثر توزيع النبات الطبيعي في هذه المناطق مقارنة بالأجزاء الشمالية الشرقية، حيث يلاحظ أن الغطاء النباتي يبدأ في الإنحسار، والتخلخل الواضح كلما إتجهنا جنوباً، وغرباً حتى يكاد ينعدم في الأطراف الجنوبية الغربية المتاخمة للصحراء، والنبات الطبيعي في هذه المناطق لا يعدو عن كونه حشائش حولية متوسطة إلى فقيرة وشجيرات قزمية متباعدة تنتشر في مجموعات منها: الحلفا، ونبات الجداري والقندول، والرتم، والسبط، والشيح وتعتبر هذه الفصائل النباتية ذات أهمية كبيرة لسكان المنطقة بالإعتماد عليها في حرفة الرعي وتربية الحيوانات.

ج. نباتات المناطق الجافة:

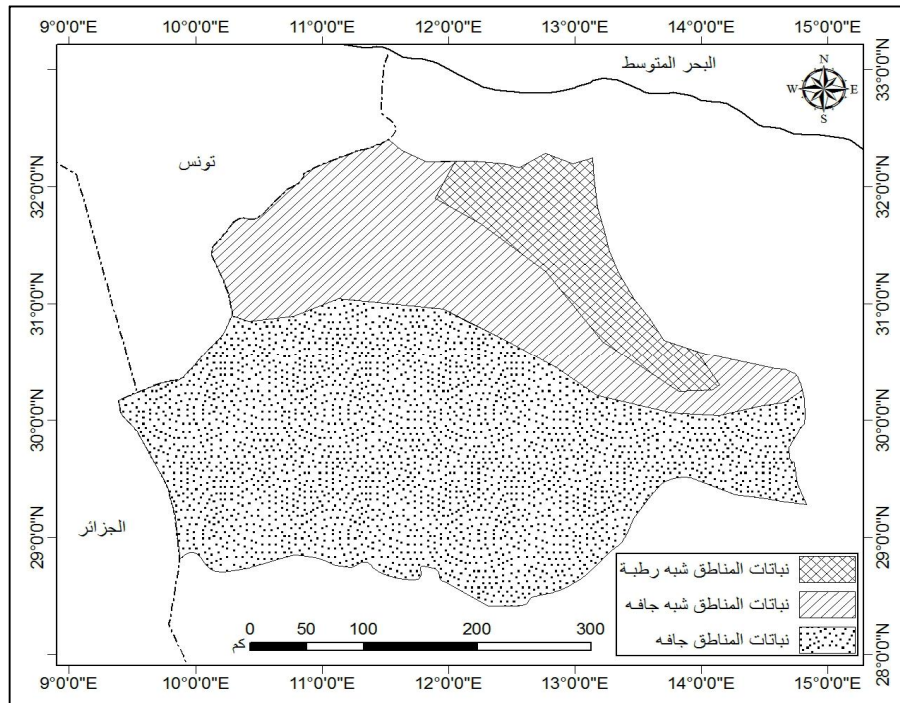
وهي تنتشر في أقصى الأجزاء الجنوبية والغربية من منطقة الدراسة، وهي عبارة عن أشجار وشجيرات أغلبها شوكية تظهر في بطون وجوانب الأودية الجافة التي تجري بها

د. رمضان محمد رمضان.

الضوابط الطبوغرافية والمناخية لنمو النبات الطبيعي في الجبل الغربي

المياه عقب سقوط الأمطار، ولقد كيفت هذه النباتات نفسها لتقاوم ظروف الجفاف بطرق متعددة وهي تشمل نبات البطوم، والسدر، والأثل، والعوسج، وفي الغالب يقتصر وجودها في بطون الأودية، وأخيراً يجب الإشارة إلى أن هذا التصنيف تقريبياً لأن نباتات المنطقة تنتشر بصورة مبعثرة ومنتاخلة، فقد تشتمل المناطق شبه الرطبة على نباتات المناطق شبه الجافة والعكس، شكل (3).

شكل (3) التوزيع الجغرافي للنبات الطبيعي بالجبل الغربي.



المصدر: المركز الليبي للاستشعار عن بعد، مشروع التخریط الزراعي.

ثالثاً- تدهور الغطاء النباتي أسبابه وكيفية المحافظة عليه:

يتعرض الغطاء النباتي في منطقة الدراسة للتدهور نتيجة للظروف المناخية السائدة والمتمثلة في إرتفاع الحرارة، وقلة الأمطار، إضافة إلى بعض الأنشطة البشرية، ونتيجة لهذه الأسباب يتضائل الغطاء النباتي، ويتعرض للتدهور، والنتائج المباشرة لهذا التدهور

د. رمضان محمد رمضان.

الضوابط الطبوغرافية والمناخية لنمو النبات الطبيعي في الجبل الغربي

زوال الغطاء النباتي الأصلي والإستعاضة عنه بتجمعات نباتية تتصف بتباعدها، وقلة كثافتها، وضعف قدرتها على حماية التربة من التعرية، وبالتالي ضعف تأثيرها في الحفاظ على التوازن البيئي.

وبإختصار يمكن توضيح أسباب ذلك التدهور فيما يلي:

أ. الجفاف وقلة الأمطار:

يعتبر الجفاف وقلة الأمطار من السمات المناخية المميزة لمنطقة الدراسة، إذ أثرت الظروف المناخية القاسية في تدهور النظام البيئي في المنطقة ومن ثم تأثر الغطاء النباتي الطبيعي بهذا التدهور، فنتيجة للجفاف وقلة الأمطار تقلصت مساحة الغطاء النباتي الطبيعي وتحولت إلى أراضي جرداء، تتميز بغطاء نباتي ضعيف، حيث أوضحت الدراسة أن الأجزاء الغربية والجنوبية تعاني من حالة تناقص مستمرة واختفاء عدد كبير من المجموعات النباتية مثل (الرم، والديس، والحلفا) هذا إلى جانب اختفاء بعض النباتات العطرية.

ب. السيول الجارفة:

تتعرض منطقة الدراسة لتساقط الأمطار التصاعدية، ونتيجة لطبوغرافية المنطقة، وشدة الإنحدار في بعض المناطق فإن الأمطار تسبب سيولاً جارفة تتحدر مع الأودية بشكل ظاهر مما يؤدي إلى إزالة النباتات التي تنمو فيها.

ج. التوسع الزراعي:

تشهد منطقة الدراسة توسعاً زراعياً على حساب أراضي النبات الطبيعي حيث يقوم السكان بإستغلال الأراضي التي تسقط عليها كميات من الأمطار في زراعة الحبوب بالمنحدرات الجنوبية لمنطقة الدراسة، وأراضي القبلة، ولقد تطلب هذا التوسع إستخدام الآت زراعية حديثة، وجرارات لغرض تسوية الأرض، والحراثة العميقة، مما أدى إلى إزالة النباتات الطبيعية الحولية التي كانت تحمي التربة الأمر الذي جعلها عرضة للتعرية، ولقد كان لإقامة بعض المشاريع التنموية دور كبير في إزالة مساحة واسعة من أراضي النباتات الطبيعية، ومنها مشروع غابات جبل نفوسه بمساحة 59600 هكتار، ومشروع

د. رمضان محمد رمضان.

الضوابط الطبوغرافية والمناخية لنمو النبات الطبيعي في الجبل الغربي

جنوب شرق غريان بمساحة 10000 هكتار، ومشروع مراعي جبل نفوسة بمساحة 59068 هكتار، حيث كانت هذه المساحة تزخر بحياة نباتية طبيعية، الأمر الذي ساعد على تقلصها بصورة واضحة وانقراض بعضها⁽¹³⁾.

د. الرعي الجائر:

تنتشر حرفة الرعي في معظم أرجاء منطقة الدراسة، حيث تعتبر من المهن الرئيسة في المنطقة، وذلك نتيجة لتوفر مساحات شاسعة من الأراضي الفضاء، والتي تعد كمراعي طبيعية خاصة في موسم سقوط الأمطار إلا أن هذه المساحات تعرضت لتدهور نتيجة الرعي الجائر، إذ تقوم الحيوانات بأكل أوراق النباتات، مما يجعلها غير قادرة على القيام بعملية البناء الضوئي وتكوين البذور، كما تقوم الحيوانات بتناول النباتات ذات القيمة الغذائية العالية، لذلك فهي أولى النباتات التي تتعرض للتدهور، ومع استمرار عملية الرعي في فصل الجفاف تزداد عملية تناقص كثافة الغطاء النباتي، مما يؤدي إلى زيادة تعرية التربة، وتبدأ بذلك عملية التدهور التي تزيد من المساحات شبه الجرداء.

هـ. نشوب الحرائق:

تتعرض بعض النباتات للحرائق بسبب الإهمال أو عن طريق الحرق المتعمد من قبل بعض الرعاة كنبات الحلفاء، إعتقاداً بأن ذلك يساعد على تجديد نموها، ولو أن ذلك يقضى عليها خصوصاً إذا كان الحرق في فصل الجفاف، كما يتم القضاء على نباتات وبذور أخرى تتخلل نبات الحلفاء، علاوة على تدهور خصوبة التربة.

ونتيجة لأهمية النبات الطبيعي في المحافظة على التوازن البيئي يجب أن تؤخذ كافة

الإجراءات الكفيلة بالمحافظة على النبات الطبيعي ومنها:

- إجراء مسح شامل لحصر النباتات الطبيعية بالمنطقة وتقييمها، وزراعة بعض النباتات الهامة التي تتلائم ومناخ المنطقة، مثل شجرة البطوم، وبعض الفصائل الأخرى المهتدة بالإنقراض، مثل النباتات العطرية التي تستخدم لأغراض طبية.
- الحد من إنتشار ظاهرة الإستغلال الجائر للنباتات الطبيعية كتعرضها للرعي الجائر، أو التوسع الزراعي، وتحديد إستخدامات الأراضي من قبل الجهات المختصة بناءً على دراسات شاملة ودقيقة.

النتائج:

- توجد علاقة عكسية بين توزيع درجة الحرارة، والنبات الطبيعي بالمنطقة وتكون هذه العلاقة قوية في المناطق الغربية، والجنوبية، مما يدخلهما ضمن المناخ الصحراوي الحار، في حين تقل هذه العلاقة نسبياً في نطاق المرتفعات الشمالية الشرقية، نظراً لعامل الارتفاع مما يجعلها تصنف ضمن المناخ شبه الجاف، لذلك تكثر النباتات الطبيعية سواء أكانت من حيث عدد الفصائل، والكثافة النباتية.
- يعتبر عامل المطر من أهم العناصر المناخية تأثيراً على نمو، وتوزيع النبات الطبيعي، إذ أنه يزداد في نطاق المرتفعات الشمالية الشرقية، فيساعد على نمو وكثافة النبات الطبيعي ويقل كلما اتجهنا غرباً، وجنوباً.
- أظهرت الدراسة أن التوزيع الجغرافي للنبات الطبيعي يتركز في الأجزاء الشمالية الشرقية، وتتنوع فصائله، وخاصة الحولية منها، إلا أنه يقل كلما اتجهنا جنوباً، وغرباً حيث يغلب عليه الأشكال النباتية الفقيرة من حشائش، وشجيرات ذات قدرة على تحمل الجفاف.
- يتعرض الغطاء النباتي في المنطقة إلى تدهور مستمر في عناصره الحيوية من سنة لأخرى كأثر للعوامل الطبيعية والبشرية.

التوصيات:

- التوسع في إنشاء السدود على الأودية في منطقة الدراسة لغرض حجز مياه السيول وإعطائها فرصة أطول لتسرب نحو باطن الأرض، ليستفيد منها النبات الطبيعي.
- توعية المواطنين بأهمية البيئة الطبيعية، وتعريفهم بالمشاكل البيئية الناجمة عن إزالة الغطاء النباتي الطبيعي.
- ضرورة إعداد برامج لإقامة مشاتل لتنمية الفصائل النباتية الطبيعية، والمحافظة عليها من خلال إنشاء المحميات المحلية.
- الحد من ظاهرة تحويل أراضي النباتات الطبيعية، والغابات إلى أراضي لزراعة محاصيل الحبوب من أجل إعادة التوازن البيئي بالمنطقة.

د. رمضان محمد رمضان.

الضوابط الطبوغرافية والمناخية لنمو النبات الطبيعي في الجبل الغربي

- يجب تنمية الغطاء النباتي الرعوي، وحمايته من الرعي الجائر، وإعطائه فرصة لنمو، وذلك بإصدار تشريعات لتنظيم الرعي، بهدف إيجاد توازن بين أعداد الحيوانات، وكثافة الغطاء النباتي، واستزراع نباتات مراعي جديدة.

المراجع والمصادر:

1. أمانة التخطيط، مصلحة المساحة، الأطلس الوطني، طرابلس، 1978، ص25.
2. سالم علي الحجاجي، ليبيا الجديدة دراسة في الجغرافيا، طرابلس، 1989، ص42.
3. فتحي أحمد الهرام، "التضاريس والجيومورفولوجيا"، الدار الليبية للنشر، سرت، 1995، ص117.
4. طارق زكريا سالم، "الضوابط المناخية لتوزيع النبات الطبيعي في منطقة عسير بالمملكة السعودية"، المجلة الجغرافية المصرية، القاهرة، 2006، ص110.
5. محمد أحمد مجاهد، "علم البيئة النباتية"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990، ص56.
6. عبد العزيز طريح شرف، "جغرافية ليبيا الطبيعية"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص94.
7. فتحي عبد العزيز أيوراضي، "الجغرافيا الحيوية"، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2008، ص74.
8. عفاف المبروك النقاز، "التحليل الجغرافي للنباتات الطبيعية في شمال غرب ليبيا"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزاوية، 2006، ص74.
9. علي البناء، "أسس الجغرافيا المناخية والنباتية"، دار النهضة العربية، بيروت، 1970، ص25.
10. الأمم المتحدة، "تقرير دار منظمة الأغذية الزراعية"، 1992، ص50.
11. إبراهيم سليمان الأحيدب، "أثر الغطاء النباتي على المناخ"، الندوة السابعة، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 2002، ص15.
12. أمانة الزراعة، منطقة جبل نفوسة للتنمية الزراعية، تقرير صادر عن إدارة التخطيط والمتابعة، 1985، ص5.

الرعاية الصحية في إثيوبيا (1899 – 1913)

د. خديجة أحمد الطناشي

كلية الآداب - جامعة طرابلس

المقدمة :

تشمل الرعاية الصحية* مجموعة من الخدمات الأساسية التي توفر علاجاً للمشاكل الصحية، فضلاً عن الوقاية من الأمراض، وتحسين السلوك الصحي تقدم الدولة الرعاية الصحية من خلال مؤسساتها الصحية في المستشفيات العامة والخاصة والصيدليات والمراكز الصحية، والطواقم الطبية إضافة إلى تهيئة بيئة صحية للسكان وتثقيفهم صحياً ضد الأمراض وأسبابها والإجراءات الوقائية لرفع المستوى الصحي مثل سلامة المياه من التلوث والمحافظة على البيئة ونوعية التغذية، والمسكن الملائم والوقاية من الأمراض بتوفير التطعيمات اللازم.

حاولت الباحثة دراسة الرعاية الصحية في إثيوبيا في الفترة 1889 – 1913 باعتبارها هدفاً من أهداف التنمية والتطور الاجتماعي الذي شهدته البلاد آنذاك، ولدراسة الرعاية الصحية في المجتمع الإثيوبي تبرز عدة أسئلة منها: ما هي الأمراض السائدة في المجتمع الإثيوبي؟ وما هي أسبابها؟ وما هي سياسة الملك منليك الثاني (Menlik II) (1889 – 1913) لتوفير الرعاية الصحية؟ وما دور المساعدات الدولية في دعم الرعاية الصحية في إثيوبيا؟ اعتمدت الدراسة على كتاب تاريخ إثيوبيا الاقتصادي Economic History of Ethiopia 1800 – 1935 لمؤلفه Richard Pankhurst خاصة الفصل الثالث عشر المعنون بـ (HEALTHY) من الصفحة 615 – 665. وكتاب رحلة الحبشة لمؤلفه مؤيد العظم – مبعوث السلطان العثماني عبدالحميد الثاني (1876 – 1909) إلى الملك منليك في 12 يونيو 1904، تحدث المؤرخ العظم في كتابه عن العوامل البيئية في إثيوبيا كالأمطار والرطوبة والحرارة كذلك الغابات والحيوانات والحشرات، فضلاً عن وصفه لأحوال المعيشية للمجتمع الإثيوبي كالمسكن والمأكل ومياه الشرب، إضافة إلى ذكره للمجاعات والعديد من الأمراض والعلاج الشعبي

الرعاية الصحية في إثيوبيا (1899 - 1913)

لبعضها* انتشر هذا المصطلح عالمياً في مطلع القرن العشرين بهدف منع حدوث الأمراض وانتشارها فضلاً على الارتقاء بالخدمات الصحية للأفراد، وللإحاطة بموضوع هذه الدراسة، اعتمدت الباحثة على المنهج التاريخي الوصفي من خلال التسلسل التاريخي في سرد الأحداث وللوصول إلى الغاية المرجوة والإلمام بتفاصيل الموضوع فقد تم تقسيم الدراسة إلى مقدمة وعرض لأسباب انتشار الأمراض وأنواعها، والطب الشعبي الإثيوبي لعلاج بعضها. وتطرق لسياسة الملك منليك الثاني في المجال الصحي، إضافة إلى المساعدات التي قدمتها الهيئات الدولية للمساهمة في رفع مستوى الرعاية الصحية في المجتمع الإثيوبي. واختتمت بخاتمة لخصت محتواها.

أسباب انتشار الأمراض:

تمثل العوامل البيئية سبباً في انتشار الأمراض من أهمها حركة الهواء حيث تساهم في بعثرة وانتشار الملوثات في الجو والرياح ليست ثابتة الاتجاه والسرعة فاتجاهها وترددتها على منطقة ما يخضع لمجموعة من العوامل، وكذلك سرعتها التي تتدرج من العاصفة إلى السكون تلعب هي الأخرى دورها في نقل الملوثات أو بقائها⁽¹⁾ ويعتقد أن مرض الكوليرا Cholera الذي انتشر في الأجزاء الجنوبية والشرقية الإثيوبية 1891 – 1892 كان من خلال الرياح الشرقية حتى عُرف بمرض الرياح⁽²⁾ كذلك ساعد المناخ في المناطق الحارة الرطبة على انتشار مرض الجذام Leprosy⁽³⁾ ووصف العظم المناخ الإثيوبي بأنه كثير الرطوبة وأن كثرة الأغصان وأوراق الشجر منعت نفوذ أشعة الشمس⁽⁴⁾ ووصف الإثيوبيين بأنهم كالمرضى من كثرة الرطوبة الناشئة الراكدة على أطراف هذه الأرض⁽⁵⁾ وكان للحشرات دوراً في انتشار الأمراض فقد أحدث الجراد ضرراً كبيراً في حقول منطقتي تجري Tigre و جوجام Gojam عام 1892 حيث قضى على الأشجار وأوراق النبات مما أدى إلى حدوث مجاعة⁽⁶⁾ ساعدت على انتشار بعض الأمراض مثل الكوليرا وربما يرجع السبب إلى ضراوة وشدة المجاعة⁽⁷⁾ كذلك أدى كثرة البعوض إلى انتشار مرض الملاريا Malaria لكثرة المستنقعات في المناطق ذات المناخ الاستوائي وشبه الاستوائي، إضافة إلى انتشار مرض الطاعون Plague الذي يصيب الفئران وينتقل إلى الإنسان من خلال البراغيث⁽⁸⁾ تعرضت إثيوبيا في تاريخها

الرعاية الصحية في إثيوبيا (1899 - 1913)

الحديث للعديد من المجاعات وتحدث الرحالة وفي مقدمتهم الدكتور بونسيه D.Charles Ponce – الذي وصل إلى العاصمة جوندار Gonder لمداداة الملك ياسو الأول yasso I (1682 – 1706) واحد أبنائه المصابين بمرض جلدي خطير من شدة المجاعة و ضراوتها⁽⁹⁾.

كذلك أشار جيمس بروس James Bruce الذي أقام في إثيوبيا (1768 – 1773) إلى انتشار الجراد في جوندار عام 1770 مما أدى إلى حدوث مجاعة كبيرة وانتشار مرض الجدري Smallpox⁽¹⁰⁾ وشهدت إثيوبيا عدة مجاعات في الفترة ما بين 1889 – 1913، ففي عام 1890 حدثت مجاعة في العاصمة أديس أبابا Addis Ababa انتقلت إلى إقليم هرر Harar ومنطقة كافا Kaffa وميناء مصوع Massawa، كذلك انتشرت في الجزء الأوسط والغربي من البلاد ووصفت الأوضاع بالموحشة في تلك المناطق⁽¹¹⁾ وفي عام 1892 حدثت مجاعة أخرى لم يقتصر تأثيرها على الداخل الإثيوبي بل تعداه إلى السودان وشرق إفريقيا، وعرفت تلك المجاعة بالأيام المشئومة، نتيجة لحدثها حتى بعد انتهاء أثارها المباشرة وأصبحت مقياس ومقارنة لحدة المجاعات التالية لها. ولعل السبب في تلك المجاعة نفشي وباء طاعون الماشية المستوردة عبر ميناء مصوع ، مما أدى إلى ارتفاع نسبة هلاك الماشية في كثير من المناطق والتي وصلت نسبتها إلى 90 ٪ وكان نتيجة ذلك زيادة ضخمة في الأسعار خاصة أسعار الحبوب والماشية وصاحب المجاعة ظهور أمراض الكوليرا وحمى التيفود Typhoid Fever⁽¹²⁾ تأتي التغذية في مقدمة العوامل البشرية المسببة للأمراض فاعلبي الإثيوبيين يصابون بالدودة الشريطية Tope Worm وغيرها من الديدان في الأحشاء الداخلية وربما تعود كثرة إصابتهم بهذه الأمراض لتناولهم اللحم النية⁽¹³⁾. كما أن الطعام اليومي للإثيوبيين (السيرو) عبارة عن عجين يطبخ بالماء و يضاف إليه الفلفل الأحمر، ويعتبر (التيف) طعام معظم سكان إثيوبيا. وهذه الأطعمة غير صحية لقللة خواصها الغذائية⁽¹⁴⁾ تحدث المؤرخ العظم خلال جولته الإثيوبية عن عدة أنواع من المساكن فبعض القرى ذات مساكن متقاربة مبنية بانتظام في أراضي واسعة وأخرى عبارة على أكواخ بسيطة صنعت من أغصان الأشجار "يغرزون أسفلها في الأرض على شكل دائرة صغيرة ثم يوصلون

الرعاية الصحية في إثيوبيا (1899 - 1913)

القسم الأعلى من الأغصان مع بعضها فيربطونها معا ثم يغطون أطراف الكوخ وأعلىه بالنباتات المجففة⁽¹⁵⁾ وبعض الأكواخ عبارة عن أغصان مغطاة بالحشائش الجافة فقط، وهناك فرق صغير في بناء أكواخ المناطق السهلية المنخفضة شديدة الحرارة حيث يبيضون الجدران المصنوعة من العليق والنباتات بالكلس (الجير) على قدر قامته الإنسان ويتكون ما بقي على حاله استجاباً لتيار الهواء، وأما أكواخ المناطق الباردة فيتكون بعض تقوب بنسبة شدة البرد فقط⁽¹⁶⁾ ووصف ابن سينا مساكن المناطق الحارة بأنها "مسودة مقلقة للشعور ومضعفة للهضم وإن قلت الرطوبة أسرع الهرم إلى أهلها كما في الحبشة، فإن أهلها يهرمون في بلادهم في ثلاثين سنة⁽¹⁷⁾ تعتبر تربية الماشية الحرفة الرئيسية في إثيوبيا ويتم تربية الماشية و الأغنام والماعز بغرض الحصول على لحومها، إلا أن انتشار وباء طاعون الماشية (البقر) عام 1890 امتد إلى كل الأقاليم، وقضى على أعداد كثيرة منها، فلم يجد السكان المواشي اللازمة لحرث حقولهم وزراعتها فانتشر الجوع وتفشت أمراض التيفود والجدي والكوليرا. الأمر الذي أدى إلى وفاة أعداد كثيرة من السكان وأصيب من سلم من تلك الأمراض بالهزال والضعف الشديد⁽¹⁸⁾ إضافة إلى تربية الماشية كان الإثيوبيون يعملون بتطرية ودبغ الجلود مما أدى إلى انتشار الأمراض التي إصابة حيواناتهم⁽¹⁹⁾.

استخدم الإثيوبيون أوراق الأشجار في علاج بعض الأمراض وخاصة مرض الدودة الشريطية، حيث يجففون ورق الشجر (القوسو الكوسو) Kosso ويسحقونه ويضيفون عليه الماء ويشربونه كعلاج مسكن⁽²⁰⁾ إضافة إلى علاجهم لبعض الأمراض بغلي الحشائش والأعشاب، واستخدمت الحجاماة في علاج بعض الأمراض مثل الحمى، والصداع وسوء الهضم، واستخدام الكي لعلاج الزكام الحاد وأوجاع المفاصل⁽²¹⁾.

الأمراض:

انتشرت في إثيوبيا العديد من الأمراض خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، منذ حكم الملك تيودروس الثاني (Tewodros II) (1855 – 1868) واستمرت بعض هذه الأمراض مستوطنة خلال فترة حكم الملك يوحنا الرابع John VI (1872-1899) وفترة حكم الملك منليك الثاني نتيجة لاستمرار أسبابها، رغم محاولات

الرعاية الصحية في إثيوبيا (1899 - 1913)

الملوك الحد من انتشارها ومكافحتها. ومن ابرز هذه الأمراض، الجدري، الكوليرا، الملاريا، الجذام، حمى التيفود، الدودة الشريطية، الطاعون والجرب Scabies وأمراض العيون.

الجدري: يعتبر مرض الجدري من الأوبئة الخطيرة سريعة الانتشار، فقد أودى بحياة الكثير من الناس وخاصة في إقليم هرر فترة حكم الملك تيودروس، وانتشر في مناطق الجالا Galla جنوب النيل الأزرق وأدى إلى انخفاض عدد السكان بشكل ملحوظ⁽²²⁾ وتحديث بعض الرحالة عن مرض الجدري، ففي عام 1878 ذكر سيش Cecch انتشاره في منطقة شو Show التي كانت تحت سيطرة منليك الثاني (1868-1889) قبل توليه العرش الإثيوبي 1889. وذكر سيش موت مابين عشرين إلى ثلاثين شخص يومياً من إجمالي عدد السكان البالغ 15,000 ألف وارتفعت حالات الوفاة خاصة أثناء فترة المجاعة 1889 – 1890 وقدرت الخسائر البشرية في جيش الملك منليك الثاني بـ 15% نتيجة المرض⁽²³⁾ وفي الفترة مابين 1896 – 1898 انتشر مرض الجدري بشكل كبير مما دفع الحكومة إلى البدء في حملة تطعيم واسعة، فقد مات في منطقة عدوه Adawa البالغ عدد سكانها سبعة آلاف نسمة حوالي خمسمائة شخص، ثلاثمائة منهم أطفال دون سن الرابعة عشر. وانتشر الجدري في إقليم أمهرة Amahara وجوجام وشوا واروسي Arussi وديسي Dessie و سُمي عام 1898 بعام الجدري⁽²⁴⁾ واستمر مرض الجدري لعدة عقود فقد تكرر انتشاره في الفترة مابين 1911 – 1913 وتسبب في ارتفاع نسبة الوفيات في معظم أقاليم الدولة وخاصة في مناطق ديسي، وديراوه Dabarwa وهرر ومدبنتي أديس أبابا وانكوبار Ankobar⁽²⁵⁾.

الكوليرا: ظهر مرض الكوليرا بشكل وبائي شديد عام 1865 خاصة في مدينة مصوع، وانتشر بشكل واسع في معظم الأجزاء الجنوبية والشرقية الإثيوبية عام 1891⁽²⁶⁾ وتفشى المرض في إقليم هرر عام 1900 فأباد ثلثي سكانه⁽²⁷⁾.

الجذام: مرض مزمن يصيب أساساً الجلد والأعصاب والأنسجة، وهو من الأمراض التي انتشرت عام 1902 بشكل واضح في بعض الأقاليم الإثيوبية مثل جوجام وجوندار وكان الأشد في إقليم التجري والداموت Damot⁽²⁸⁾ وأشار الدكتور ميراب Merab إلى

الرعاية الصحية في إثيوبيا (1899 - 1913)

أن ما بين 10,000 – 20,000 الف من سكان إثيوبيا البالغ عددهم عشرة ملايين مصابون بالجذام⁽²⁹⁾.

الدودة الشريطية: انتشر مرض الدودة الشريطية على نطاق واسع في معظم الأراضي الإثيوبية، وخاصة بين الأطفال وهو مرض مستوطن، وصف بأنه مرض وطني لا يستثنى منه واحد من كل مائة⁽³⁰⁾.

حمى التيفود: عُرف مرض حمى التيفود⁽³¹⁾ للمرة الأولى في إثيوبيا عام 1866 بإصابة بعض الحالات في معسكر لجنود الملك تيودروس الثاني، وانتشر المرض عام 1889 في شمال إثيوبيا وخاصة بين سكان إقليم التجري، كذلك عاد للظهور عام 1896 في نفس الإقليم، انتشر في إقليم هرر عام 1906 واستمر لعدة شهور وأدى لوفاة العديد من السكان نتيجة العدوى⁽³²⁾.

سياسة الملك منليك في المجال الصحي:

أولى ملوك إثيوبيا منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر اهتماماً كبيراً بالطب الحديث، فقد حرص الملك تيودروس الثاني على استخدام التطعيم الأوروبي في إثيوبيا، فأمر الطبيبين الأوروبيين في قصره وهما الدكتور الفرنسي لوجارد Dr.Legard والطبيب البريطاني بلانك Dr. Blanc بتطعيم الإثيوبيين ضد مرض الجذري كذلك اهتم الملك يوحنا الرابع بالتطعيم الأوروبي وأدرك أهميته وأفضليته على كل الأساليب القديمة التي يمارسها الإثيوبيون لعلاج بعض الأمراض، فأصدر عام 1886 أوامره إلى طبيب قصره اليوناني الدكتور باريسيس Dr.Parisis بتطعيم رجال الدولة والقس تكلاهيمانوت Takla Haymanot، إضافة إلى العديد من الضباط والجنود⁽³³⁾.

حرص الملك منليك على استخدام التطعيم الأوروبي كثيراً، فقد حضر انطلاق حملة التطعيم التي قامت بها البعثة الفرنسية في العاصمة ضد مرض الجذري عام 1890 بعدما تم علاج أربعين شخص، مما دفع الملك إلى منح الإذن للبعثة بتنظيم حملات مماثلة لمكافحة المرض في مناطق أخرى، وأذيع مرسوم ملكي بالخصوص في الأسواق⁽³⁴⁾ وأصدر في 2 مايو 1892 مرسوم بالتطعيم العام الإجمالي في العاصمة ضد مرض الجذري، وأمر بتطعيم كل تابعيه⁽³⁵⁾ وفي عام 1904 أصدر مرسوم آخر حث فيه

الرعاية الصحية في إثيوبيا (1899 - 1913)

المواطنين على ضرورة التطعيم وتولى حملة التطعيم العام وزير التجارة والشؤون الخارجية ناداروس هيللا جيرجس Nadadars Hayla Gyorgis الذي وجه نداء إلى المواطنين حثهم فيه على ضرورة التطعيم ضد الجدري معلناً عن مجانية الحملة، محذراً من فشلها بعدم تعاونهم⁽³⁶⁾ وفي الثاني عشر من ديسمبر عام 1905 صدر مرسوم وصف بأنه شديد اللهجة محذراً المواطنين من مغبة عدم المشاركة في التطعيم ضد مرض الجدري المنتشر بشدة بين السكان، وأشار المرسوم بان هذه الحملة لا تقتصر على العاصمة بل تشمل مدن أخرى وخاصة هرر وديراداو DireDawa⁽³⁷⁾ واهتمت السياسة الإثيوبية في مجال الرعاية الصحية ببناء قرى ومدن مزودة ببعض الخدمات الصحية وكانت مدينة ديراواوه نموذجاً، حيث ساهم وقوعها على خط سكة حديد جيبوتي - أديس أبابا إلى الاهتمام بها وتخطيطها وبنائها ضمن خطة مشروع سكة الحديد ووصفت بأنها مدينة منظمة وأنيقة، فقد توفرت فيها أنابيب المياه لتوصيل المياه الصالحة للشرب، والإنارة الكهربائية والطرق الجيدة، إضافة إلى إنشاء مدينة أديس أبابا التي تعتبر نقلة في تاريخ إثيوبيا في نهاية فترة الثمانينات من القرن الثامن عشر ووصفت بأنها الأكثر نقاء من الناحية الصحية، وامتازت بعدم ازدحامها بالمساكن كل منزل في ناحية تدور الرياح حوله بسهولة مما يجعل المكان مليئاً بالهواء النقي. وقد شهدت منازل الطبقة العليا في المجتمع الإثيوبي تطوراً كبيراً، فقد تم تزويدها بالمراحيض الصحية وتميرير المياه عبر المواسير لأول مرة عام 1894. وتم إنشاء خزان في منطقة دجيني Digginy على منطقة مرتفعة في الشمال الغربي من المدينة إلا أن المدينة عانت من نقص المياه على مدار السنة لوقوعها على منحدرات مرتفعة واستخدم بعض سكانها الحمالين لإحضار علب المياه الساخنة من ينابيع منطقة فلواها Felwaha إلى منازلهم⁽³⁸⁾ انشأت الدولة بعض الحمامات العامة بالأجرة، خاصة في منطقة فلواها، تولى إدارتها جساما سشيت Jassam Cshete، والتي ارتفع العائد منها من خمسمائة أو ستمائة دولار إثيوبي إلى ألفي دولار في السنة، وكان رسم الدخول دولار واحد أسبوعياً للطبقة الراقية وربع دولار للطبقة المتوسطة ومجاناً لعامة الشعب، واستخدم الماء الساخن في الحمامات كعلاج تقليدي لمرض الزهري والنقرس⁽³⁹⁾ وأشار المؤرخ العظم إلى وجود الحمامات "رابنا في طريقنا

الرعاية الصحية في إثيوبيا (1899 - 1913)

حمامات حارة معدنية، أقيمت عليها أكواخ خشبية فالذي يريد أن يدخل إليها ويستحم بأجرة زهيدة جداً⁽⁴⁰⁾ حرصت الدولة على بناء مستشفى حكومي في مدينة هرر وقد كلف الأمير ماكونن Makonnen (1847-1906) بطلب المساعدة البريطانية في المجال الطبي خلال حضوره مراسم تتصيب الملك ادوارد السابع Edward VII عام 1901 إلا أن طلبه قوبل بالرفض، فانشأ مستشفى على نفقته الخاصة عام 1903، بنى بالأحجار وضم تسعة أجنحة، وكلف الدكتور فيتالين Dr.Vitaliun مديراً له⁽⁴¹⁾.

وقد جذب المستشفى انتباه الحكومة الفرنسية خاصة وأن مديره كان طبيب محطة سكة حديد جيبوتي - أديس أبابا. فعرضت على الحكومة الاثيوبية شراؤه بـ 50,000 بخمسين ألف فرنك، وإدارات المستشفى باعتباره مؤسسة فرنسية تهتم بصحة السكان المحليين، إضافة إلى سكان مستعمرة جيبوتي Djbouti، وفي أغسطس عام 1904 أفتتح الملك منليك الثاني مستشفى حكومي بإشراف الدكتور فيتالين وتولى إدارته بعد ذلك ثلاثة أطباء فرنسيين، وتأتي أهمية هذا المستشفى كونه بديلاً عن مستشفى البعثة الروسية التي غادرت العاصمة و تركتها بدون مستشفى⁽⁴²⁾.

المساعدات الأوروبية في مجال الرعاية الصحية: تنوعت المساعدات الطبية الأوروبية لإثيوبيا منها البعثات الطبية، وبناء المستشفيات والعيادات الخاصة، إضافة إلى الصيدليات.

1 - البعثات الطبية الأوروبية:

كان للعديد من البعثات الطبية الأوروبية نشاطاً ملحوظاً في إثيوبيا خلال فترة حكم الملك يوحنا الرابع والتي أشهرها البعثة التبشيرية لمسايا Massaia، وقد اشتهر الدكتور المجري اندريه Andre الذي قضى خمسة وثلاثون عاماً في منطقتي شوا وكافا Kaffa بتطعيم المئات من المواطنين ضد مرض الجدري. واستمر نشاط البعثات خلال الفترة 1899 - 1913، فقد أرسلت الحكومة الإيطالية بعد معركة عدوه 1896 بعثة طبية بإشراف الدكتور أنجلو دو ماريتيني Dr.Angelo de Martini لمعالجة السجناء الإيطاليين، واتخذت البعثة مدينة هرر مقراً لها و قدمت العلاج للمواطنين الإثيوبيين في الفترة ما بين يناير - مايو 1897 وتم علاج 3,432 ألف شخص، وأرسلت منظمة الصليب الأحمر الروسية بعثة إغاثة وصلت إلى العاصمة أديس أبابا في يوليو 1896

الرعاية الصحية في إثيوبيا (1899 - 1913)

برئاسة الضابط شفيدوف Shvedov، ضمت سبعة أطباء متخصصين وممرض وصيدلي اقتصر عملهم في مدينتي أديس أبابا وهرر، واصطحبت البعثة عند عودتها خمسة شباب إثيوبيين لتلقي تعليمهم في روسيا⁽⁴³⁾ أرسلت فرنسا بعثة طبية إلى إثيوبيا عام 1890 بقيادة الطبيب وارتر Wurtz كان هدفها دراسة الأمراض الوبائية، وغادرت الأراضي الإثيوبية أواخر عام 1898، بعدما ساهمت في تقديم خدمات علاجية للمواطنين وسلمت السلطات الإثيوبية 259,000 ألف لقاح، وصلت البعثة البريطانية الأراضي الإثيوبية عام 1897 بقيادة رينيل رود Rennell Rodd وكان الدكتور وكمن Dr.Wakeman مسؤولاً طبي في البعثة حيث ساهم في علاج الدودة الشريطية ووزعت البعثة 5,000 كبسولة سنوياً كعلاج ضد هذا المرض⁽⁴⁴⁾.

2 – مستشفيات البعثات الأوروبية:

أسست البعثة الروسية في 16 مارس 1898 مستشفى لها، تكون من عيادة خارجية للمرضى وغرفة للعمليات الجراحية، وانضم إليه عام 1902 ثلاثة أطباء واثنين من مساعديهم وصيدلي، واستمر المستشفى في تقديم خدماته حتى 31 أكتوبر 1906 . والجدول رقم (1) يوضح خدمات المستشفى خلال السنوات الأولى من القرن العشرين وتناقصها بشكل واضح خلال العام 1906، حيث تم إغلاقه بسبب الصراع السياسي الدولي على إثيوبيا.

جدول (1)

السنة	المعالجون	استشارة	عملية جراحية
1900	8,049	16,778	270
1902	8,505	16,246	216
1904	11,566	29,666	351
1905	11,055	30,277	112
1906	5,033	10,162	73

Pankhurst . Economic History op.cit p 645

الرعاية الصحية في إثيوبيا (1899 - 1913)

أظهر الأمير ماکونن حاکم إقليم هرر تشجيعه للبعثة التبشيرية الفرنسية لكابسون Capuchin و جارسيو Jarosseau وقدم لها قطعة ارض عام 1901 لإنشاء مستشفى مجاني عليها، تكون من مبنى حجري كبير ضم تسعة وأربعون غرفة وحرص الأمير على زيارة المستشفى و متابعة خدماته⁽⁴⁵⁾.

3 – العيادات:

انشأ الايطاليون أول عيادة في أديس أبابا عام 1901 يديرها الدكتور بيريلي Dr.Brielli، وانتشرت العيادات في بعض الأقاليم والمدن الإثيوبية، وارتبط إنشاؤها بالوكالات التجارية حيث انشأ الايطاليون عيادات في وكالاتهم في إقليمي جوندار وديسي، وقدم الدكتور كالدو Dr. calo في عيادة جوندار 11,006 إحدى عشرة ألف وستة استشارة في الفترة بين الأول من يونيو 1909 والثلاثين من نوفمبر 1910⁽⁴⁶⁾.

4 – الصيدليات:

تعتبر صيدلية جورجيا Georgie أول صيدلية افتتحت في مدينة أديس أبابا عام 1910 بإشراف الدكتور ميراب Dr. Merab، وفي عام 1913 افتتحت صيدلية سان جورج St George بإشراف الدكتور والتيرزان Dr.Walter Zahn وتبنت هذه الصيدلية التشخيص إضافة إلى صرف الأدوية⁽⁴⁷⁾.

الخاتمة:

من خلال العرض السابق، يتضح مدى حرص واهتمام الدولة الإثيوبية في الفترة 1889 – 1913 بالرعاية الصحية واتخاذها سياسات داخلية لدعمها، فضلاً عن تعاونها دولياً وحصولها على المساعدات رغم الضغوط والصراعات الدولية للسيطرة عليها من أجل تطوير الخدمات الصحية وإنجاحها لتحقيق الرعاية الصحية لأفراد المجتمع الإثيوبي.

الهوامش:

1 – عبدالاله الحسين الصطوف، التلوث البيئي. جامعة سبها. سبها 1995 ص 343

2 – Richard Pankhurst . Economic History of Ethiopia 1800 – 1935 Addis Ababa 1968 P626

الرعاية الصحية في إثيوبيا (1899 - 1913)

- 3 – الجذام، عبارة عن بقع حمراء. تظهر على الجسم وتنتشر على اليدين والقدمين، وقد يظهر المرض على شكل حبيبات مختلفة الأحجام خاصة في الوجه. لمعرفة المزيد، انظر: محمد بشير بن راشد، أمراض الديدان والطفيليات الأخرى الخطيرة: القاهرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية 2000 ص 213 – 216 .
- 4 – العظم، صادق المؤيد، رحلة الحبشة، تعريب رفيق العظم، حقي العظم، القاهرة: مطبعة الجريدة 1908 ص 83 ، 97 ، 86 ، 102 .
- 5 – المصدر نفسه ص 125 .
- 6 – " عُرِفَت المجاعة لغوياً بأنها نقيض الشبع، والفعل جاع، يجوع، جوعاً وجوعه، ومجاعة، والمجاعة بتسكين الجيم: عام الجوع " أبي الفضل جمال الدين محمد مكرم ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر 1956 مج 8 ص 61 .
- 7 – Economic Richard . Pankhurst . An introduction to The History of Ethiopia from early tiems to 1800 (London 1961) p 234 .
- 8 – Ibid . p 254 . p 247 .
- 9 – Ibid p 101 .
- 10 – الجدري: مرض حاد عالي العدوى سببه فيروس الجدري، يتصف بسرعة حدوث الحمى وبظهور طفح جلدي يتطور خلال مراحل إلى بقع على الجسم. لمعرفة المزيد انظر، J.E. Park وآخرون، الموجز في طب المجتمع، ترجمة الزروق الهوني، سالم الحضيري. ليبيا، طرابلس 1989 ص 147 – 158 .
- 11 – Pankhurst . Econonic History op. cit . p 214 .
- 12 – Zewd . Bahru . A History of Modern Ethiopia 1855 – 1974 . (Adis Ababa 1991) p 72 .
- 13 – العظم، المصدر السابق ص 190 .
- 14 – المصدر نفسه، ص 161 .

- 15 – نفسه ص 96 ، 124
- 16 – نفسه ص 133 .
- 17 – أبو علي الحسين بن علي بن سينا، القانون، بيروت: دار صادر (د.ت) ج 1 ،
- 18 – العظم، المصدر السابق ص 91 .
- 19 – نفسه، ص 155 .
- 20 – Jonos . H. M. and monnre Ellzabeta A History of Ethiopia (oxford 1955) p 128 .
- 21 – العظم، المصدر السابق، ص 190 – 191 .
- 22 – Pankhurst . Economic History . op . cit p 623. –
- 23 – Ibid . 624 . –
- 24 – Ibid p.624 . –
- 25 – Ibid . p 626 . –
- 26 – Ibid . cit p 625 . –
- 27 – العظم، المصدر السابق، ص 67 .
- 28 – Pankhurst . Economic History op . cit . p 631 . –
- 29 – Ibid . cit . p 631. –
- 30 – Ibid p631 . –
- 31 – حمى التيفود: مرض حاد يصيب الأنسجة اللمفاوية، يشعر المريض بحمى طويلة واضطرابات جسمانية حادة .لمعرفة المزيد انظر J.E. prk المرجع السابق ص 219 .
- 32 – Pankhurst , Economic History . op . cit . p 631 . –
- 33 – Ibid p . 643 . –
- 34 – Zewde . op , cit , p 69 . –
- 35 – Jenes . and Ellzabata . op . cit . p 152 . –
- 36 – Pankhurst . Economic . History op . cit p 648 . –

- Ibid . p648. — 37
- Ibid . p 621 . — 38
- Ibid p 621. — 39
- 40 — العضم، المصدر السابق، ص 230 .
- Pankhurst Economic . History . op . cit . p 649 . — 41
- Ibid . p . 650 . — 42
- Ibid . p . 644 . — 43
- Ibid . p. 646 . 647. — 44
- Ibid . p .649. — 45
- Ibid . p . 651. — 46
- Ibid . p.650. — 47

الأسس الفلسفية لشرعية حمورابي

د. نجاح بلقاسم زايد

كلية الآداب - جامعة الزاوية

مقدمة:

تتحدد وظيفة التشريعات القانونية في أي مجتمع، ببيان الغايات التي ترمي إلى تحقيقها، والوسيلة التي تتخذها لبلوغ هذه الغايات، ورغم تعدد وتنوع الغايات، أو الأهداف التي تسعى الظاهرة القانونية إلى بلوغها، وإمكان تباينها من مجتمع لآخر، ومن عصر إلى عصر، فهناك غايات مشتركة ينشدها القانون في أي مجتمع هي: الأمن، العدل، الاستقرار، بما يكفل حريات الأفراد ويحفظ للمجتمع كيانه، وقد تعرضت التشريعات القانونية في حضارات بلاد الرافدين القديمة لمبادئ قانونية بلغت درجة كبيرة من التقدم، ونجد صدى هذه المبادئ لا يزال موجوداً في بعض التشريعات الحديثة، قدمت شرعية حمورابي بكل محتوياتها وأهدافها، نظرة واضحة على التقدم والرفق في قوانين بلاد الرافدين، وباعتبارها وثيقة تدعو إلى الفضيلة والعدل والمساواة، كانت بحق أول قانون في استخدام الأسلوب العلمي في صياغة مواد أحكامه وفي هذه الورقة البحثية نحاول الإجابة عن عدد من التساؤلات المطروحة في هذا الموضوع:

ما هي سمات شرعية حمورابي؟. وما هي الأسس الفلسفية لشرعيته؟. وهل عالجت هذه الشرية علاقة الإنسان بالآلهة؟، أم أنها مجرد قوانين دنيوية لا تتطرق إلى العبادات والطقوس الدينية، هذه التساؤلات وغيرها سيتم الإجابة عليها من خلال بعض المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع.

الملك حمورابي (2123-2081 ق.م):

حمورابي هو ملك بابل، والملك السادس من ملوك الدولة الأشورية، وعرف عصره بالعصر الذهبي لبابل، إذ تمكن من بسط نفوذ بابل على الجزء الشمالي من بلاد ما بين النهرين، بعد طرد العيلاميين منها، ونجح في تكوين إمبراطوريته التي اتخذت من بابل عاصمة لها اشتهر حمورابي بمجموعة قوانينه التي تعتبر من أقدم ما وصل إلينا من

الأسس الفلسفية لشرعية حمورابي

قوانين تكشف عن تطور الفكر القانوني في ذلك الوقت ، وجدت تلك القوانين منقوشة على قطعة كبيرة من حجر الديوريت الأسود المصقول- اكتشفها جاك دي مورجان- في أثناء التنقيب في مدينة سوسة 1902م، وتوجد الآن بمتحف اللوفر بباريس) في 2600 سطر بالخط المسماري وفي أعلى الجزء الأمامي نحت يمثل إله الشمس (شمش) وهو يمنح القانون لحمورابي، ويحتوي القانون على 282 مادة تسبقها عبارة ابتهاليه، يوضح فيها الملك عظمته وأهدافه السامية التي يراعي فيها سيادة العدل ، والجدير بالذكر أن العلماء لم يتفقوا على زمن حمورابي ، إذ جعله بعضهم حوالي سنة (1700 ق.م.)⁽¹⁾.

شرعية حمورابي^(*):

يعد قانون حمورابي أهم وثيقة قانونية تم العثور عليها حتى الآن، على الرغم من اكتشاف قوانين أخرى وضعت قبلها بمئات السنين، ولا تزال شرعية حمورابي المحور الأساسي لأية دراسة تاريخية قانونية في وادي الرافدين، باعتبارها القانون الوحيد الذي وصلنا بصيغته الأصلية⁽²⁾ كما يعتبر هذا القانون من أروع ما أبدعته عبقرية الإنسان القديم، وقد كان لاكتشافه في مطلع هذا القرن صدى لدى رجال القانون بصورة عامة وعلماء تاريخ القانون على وجه الخصوص، وقد أدت دراسة هذا القانون إلى الاعتراف للعراقيين القدماء بفضل السبق في الكثير من نواحي المعرفة القانونية⁽³⁾.

جاءت شرعية حمورابي "باللغة الآكدية على مسلة من حجر الديوريت الأسود، يبلغ ارتفاعها حوالي (2.25م) وقطرها حوالي (60سم) ونقش في أعلى المسلة صورة تمثل الإله شمس (إله الشمس) وهو متربع على عرشه ويقف أمامه حمورابي وقفة المعترف يستلم من الإله العصا وحبل القياس، وهما من رموز وإشارات السلطة والحكم في العراق القديم"⁽⁴⁾ رتب حمورابي القوانين والعقوبات في شريعته، حسب انتماء الفرد الطبقي، إذ كان المجتمع مقسم في ذلك الوقت إلى أربعة طبقات رئيسية هي :

1- طبقة الأحرار: ولها حق الملكية والتجارة، والدخول في مجلس الشيوخ وتلتزم بدفع الضرائب.

الأسس الفلسفية لشريعة حمورابي

2- طبقة الكهان: ولها حقوق وامتيازات طبقة الأمراء، إلى جانب قيامها بحراسة المعابد، وتقديم المشورة للملك.

3- طبقة الأتباع: وهم العمال والصناع والعنقاء من الأرقاء.

4- طبقة العبيد: وتشمل أسرى الحرب وأرقاء الديون⁽⁵⁾.

وقد تضمنت شريعة حمورابي ثلاثة أقسام رئيسية هي:

أولاً- المقدمة: وقد صيغت بأسلوب شعري، وبطابع ديني، إذ بدأت (باسم الإله العظيم) وفيها نص حمورابي على الأسباب التي دفعته لإصدار شريعته، والمتمثلة في نشر العدل، ووضع قوانين لتحقيق الخير لشعبه⁽⁶⁾.

ثانياً- المتن (المواد القانونية): والتي بلغ عددها (282 مادة) وفي قصة الحضارة كانت (285 مادة)⁽⁷⁾ ولم تصل كاملة، فأجزاء كثيرة منها كانت تالفة، وتجدر الإشارة إلى أن الملك حمورابي، صاغ قانونه صياغة فنية قريبة من صياغة القوانين الحديثة⁽⁸⁾، أما بالنسبة للشدة التي جاءت في بعض المواد مثل -انحياز القاضي- فهي دليل على قمة العدل في القانون، ويتضح ذلك من خلال نص المادة (5) من القانون والتي نصت على أنه "إذا نظر قاضي قضية قانونية، وصادر بخصوصها حكماً، وثبت (الحكم) على رقم مختوم، وبعد ذلك غير قراره، فإذا ثبت أن القاضي قد غير (حكمه) في القضية التي نظر فيها فعليه أن يتحمل عقوبة تلك الدعوى، ويدفع أثني عشر مثلاً، وزيادة على ذلك عليهم أن يطردوه بلا رحمة من مجلس القضاة، ومن على كرسيه، ولا يحق له أن يجلس مع القضاة للنظر في دعوى"⁽⁹⁾.

ثالثاً- الخاتمة: أنهى حمورابي قانونه، بخاتمة طلب فيها تنفيذ قوانينه وأن يحافظ عليها، كما ذكر فيها جميع ما قام به من الأعمال، وكان يطلب فيها من جميع آلهة البلاد، إفناء كل من لا يعمل بهذه القوانين ومن يحاول طمسها، ويخربها، أو إضافة اسمه عليها⁽¹⁰⁾.

ويمكن حصر شريعة حمورابي في خمسة أبواب رئيسية هي:

أولاً- التقاضي وأصول المرافعات وتشمل المواد من 1-5.

ثانياً- الأحوال أو المعاملات الحالية وتقع في 120 مادة من 6-125.

ثالثاً- الأشخاص أو قوانين الأحوال الشخصية وتشمل 127-214.

رابعاً- الأجور وتشمل المواد 215-277.

خامساً- العبيد وتشمل المواد 278-282⁽¹¹⁾ هذه الدقة في تنظيم المواد، جعلت من هذا القانون واحد من أقدم الانجازات في تاريخ الحضارة الإنسانية، إذ يعالج وينظم الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، فهو يعد القانون المدني العام الموجز، الذي يخضع جميع المواطنين لأحكامه، ويلزم الجميع من موظفين كبار، أو قضاة، أو رجال دين، أو كهنة أو رجال عاديين، أو عبيد لأنهم سواسية أمام أحكامه⁽¹²⁾.

وقد سبقت شريعة حمورابي، قوانين عُرفت قبل تدوين العمل القانوني مثل إصلاحات أور ركاجين، أو أورو انيمجينا في لكش، ومجموعة قوانين أور - نامو الملك الأول لسلة أور الثالثة، وكذلك نصادف في العصر البابلي القديم أول شريعة وهي شريعة ليبييت - عشتار الملك الخامس لسلالة آيسين، واشما - داكان، الذي قام بإصلاحات وإجراءات لصالح المجتمع⁽¹³⁾. وغير ذلك، نجد أوامر بالتحريم من الديون وإن كانت محدودة على سكان مناطق معينة، قام بها ملوك آخرون، والعمل القانوني الثاني من العصر البابلي القديم، وهو أول عمل وصلنا في اللغة الكدية (البابلية والأشورية) قد ظهرت في (اشنونا) بفترة قصيرة قبل استلام حمورابي الحكم، وفي هذه الشرائع حُددت أول تعريفه أسعار لأهم البضائع التي يحتاجها الناس مثل الشعير والزيت، والصوف، والملح، والسمن، والنحاس، حيث كان الجهد منصباً على أسعار الحبوب الذي كان يميل إلى الارتفاع المستمر، وهناك إجراءات أخرى في تعريفه الإيجار أو الأجور المفروضة على مستخدمي الثيران، وهناك إجراءات على السرقة والسطو وقابلية الأشخاص في التعامل التجاري، وإجراءات الحقوق الزوجية وغيرها، وكل هذا جاء في شرائع (اشنونا) التي تعكس جلياً عدد من الاتجاهات كانت تهتم بضمان ملكية الفرد، وإيضاح العلاقة بين القصر والاقتصاد الآخر، وهي قوانين تمثل العدالة في هذه الشرائع⁽¹⁴⁾. تجاوز حمورابي أسلافه (اورنمو) و(ليبييت - عشتار) الذين جاهدوا في كل من اور، وأشنونا، وايسين... إذ

الأسس الفلسفية لشريعة حمورابي

كان الملك واهب الشريعة⁽¹⁵⁾. فعندما "قضيا الإله أنو المتسامي ملك الأنونكي (إلهة السماء) والإله اينليل سيد السماء والأرض مقر مصائر البلاد، قضيا لمردوخ الابن البكر للإله اينكي أن يتمتع بقدسية الإله انليل على كل البشر وجعله عظيماً بين الإيكيكي (آلهة الأرض) وسميا بابل باسمها العظيم، وجعلها المستقيمة في العالم، وتبثاله في وسطها ملكية أبدية أسسها ثابتة كالسما والأرض، آنذاك اسمياني الإلهان أنو واينليل باسمي حمورابي الأمير التقى الذي يخشى آلهته، لأوطد العدل في البلاد، لأقضي على الخبث والشر، لكي لا يستبعد القوى الضعيف، ولكي يعلو العدل كالشمس فوق ذوي الرؤوس السود، ولكي ينيّر البلاد من أجل خير البشر⁽¹⁶⁾.

الأسس الفلسفية لشريعة حمورابي:

كانت لشريعة حمورابي أهمية كبيرة، وتأثيراً واضحاً في الجوانب الحضارية والقانونية، فمن الجانب الحضاري نجد أن مسلة حمورابي الموجودة في متحف اللوفر بباريس تعكس التطور والرقى الإبداعي الذي وصل إليه فنان بلاد الرافدين، فبالإضافة إلى قيمتها التاريخية والتشريعية فإنها تعتبر تحفة جمالية، وعملاً فنياً رائعاً يدل على إتقان فن النحت والنقش في ذلك الوقت، إن كتابة الأحكام ونشرها، يدل على أن شريعة حمورابي وضعت لمجتمع متحضر له دراية بالكتابة والتدوين، يفهم ما هو معروض عليه من نصوص وأحكام. لقد استخدمت الكتابة المسمارية في تدوين هذه الشريعة، وهي أقدم كتابة في العالم فقد ابتكر السومريون الكتابة في حدود 3200 ق.م، وعمدوا إلى نشرها، وأقاموا أولى المدارس في تاريخ البشر، وبواسطتها سجل الإنسان في بلاد الرافدين معارفه وعلومه، ونقلها إلى الأجيال اللاحقة⁽¹⁷⁾، أما من الجانب القانوني، فإن ظهور الدولة الأولى على أرض العراق، كان خطوة تقدمية كبرى في تاريخ البشر، وكان الغرض سيادة القانون الذي تقوم عليه الدولة. لقد استطاع حمورابي أن يوحد ممالك بلاد الرافدين، وبمجرد استقرار الجانبين العسكري والسياسي عمد إلى تنظيم شؤون مملكته المترامية الأطراف، فأصدر شريعته لغرض النظام ونشر العدالة في البلاد⁽¹⁸⁾، بذل ملوك

الأسس الفلسفية لشريعة حمورابي

العصر البابلي جهداً، لتحقيق العدالة من خلال وضع قوانين لحماية الأرامل، واليتامى، والمساكين، وأكدوا على الأسس الأخلاقية في مخطوطاتهم، وإذا كانوا قد اجتهدوا في إرساء أسس العدالة والخير، فلم يكن ذلك من أجل رعايتهم، أو لشعورهم بالمسؤولية اتجاه هذه الرعية فحسب، بل لأنهم لمسوا سوء الأحوال الاجتماعية، ورغبوا في إزالة أسبابها، ولكسب السمعة الطيبة، والضرورة التاريخية التي أملتها الأوضاع الاجتماعية المتردية، وقدرة المنتجين غير المباشرين الذين يعتمد عليهم اقتصاد البلاد، فقد كانت هناك محاولات وإجراءات عند بداية عهد كل ملك جديد، كانت تعقب استلامه للحكم إجراءات عدل لتقدمه كملك يهتم برعيته وكحامي للبلاد⁽¹⁹⁾، إن الغاية التي يهدف القانون إلى تحقيقها هي العدالة، إذ يقال إن فكرة القانون ارتبطت على الدوام بفكرة العدل، فإذا كانت هذه هي الغاية القصوى التي يسعى إليها القانون، فإننا نصل إلى غاية القانون بشكل مباشر، دون أن نتورط بقيم مجتمعات معينة، بكل ما فيها من تصارع وغموض، أليست هذه القيم ذاتها التي يسعى إلى تجسيدها في قوانين المجتمع، هي مجرد تعبير فردي عن الكفاح العام نحو العدالة نفسها؟⁽²⁰⁾ ثم إن العدل مهما كان معناه، هو نفسه قيمة فلسفية خلقية، لأنه إحدى الغايات النبيلة التي يسعى إليها الإنسان لتحقيق حياة هنيئة، فإذا كانت الغايات الأخلاقية للإنسان تصنف بأنها خيرة، فإن فكرة العدل بمضمونها الفلسفي هي أحد الأمور الخيرة التي تسعى الأخلاق لتحقيقها للجنس البشري⁽²¹⁾، ومن الناحية الاجتماعية، فإننا لا نعرف العدل إلا إذا عشنا الظلم إذ يُعد العدل الضد للظلم، والاثتان يعبران عن مناقب أخلاقية متعددة للظواهر الاجتماعية من خلال تركية، أو إجازة ظاهرة اجتماعية ما، بالاعتراف بأنها عادلة، أو التبريد بها ونفيها عن طريق وصفها بأنها ظالمة⁽²²⁾، يُداول مفهوم الظلم والعدل بكثرة في النظريات الفلسفية والأخلاقية والسياسية وغيرها، وكقاعدة عامة فإن تفسير هذه النظريات للعدل والظلم كان يعتبر مطلقاً وصحياً لجميع عهود التاريخ، ومع ذلك فالحقيقة أن هذين المفهومين يتغيران من عهد لآخر تبعاً للتغيرات التي تطرأ على العلاقات الاجتماعية⁽²³⁾.

الأسس الفلسفية لشرعية حمورابي

إن العدالة هي الضمان الأكيد، لاستمرار العيش في جماعة عليها تقوم المعاملات والعلاقات بين الأفراد والجماعات، وهي التي ينشدها الجميع حاكمين، ومحكومين، وبدوها ينقلب المجتمع إلى فوضى، ويسود الاضطراب ويعم الظلم والجور، لهذا فهي بمثابة الحد الفاصل الذي يبين ما للفرد وما عليه من حقوق وواجبات، فتحول بذلك دون سيطرة الأقوياء على الضعفاء، وهنا تلتقي العدالة مع القانون باعتباره مجموعة من القواعد الملزمة التي تنظم سلوك الأفراد في المجتمع، وتضع المعايير الفاصلة بين مالههم وما عليهم، فالعدالة بالنسبة للقانون هي بمثابة الروح للجسد⁽²⁴⁾، وجدت العدالة منذ أقدم العصور، رموزاً لها في الأساطير، والشعر والنحت، والعمارة، بوصفها مطلباً جوهرياً، يثير بشكل صارخ أو صامت أي إنسان، على أساس قوة وجوده، ويعبر في الوقت ذاته عن الشكل الذي يتحقق في إطار ذلك الإنسان⁽²⁵⁾، فمن الناحية التاريخية يعد إنسان وادي الرافدين أقدم مشرعي أحكام العدالة، إذ أن الشرائع العراقية القديمة، تسبق أقدم ما هو معروف من شرائع وقوانين في سائر الحضارات الأخرى كالفرعونية، والإغريقية، والرومانية بعشرات القرون⁽²⁶⁾، وضع الإنسان العراقي القديم، تصورات لموضوع العدالة والظلم في صميم نظريته للآلهة والكون والإنسان، فارتبطت العدالة لديه بالنظام، مثلما ارتبطت قيم الخير كلها به، وارتبط الظلم بالفوضى مثلما ارتبطت قيم الشر كلها به. ولأن إنسان وادي الرافدين أدرك علاقة الشمس بنشاطات الحياة المختلفة فقد عدها إليها للحق والعدل، ومزياً للغموض وكاشفاً للحقائق، فإنه العدالة هو إله المعرفة نفسه فكان العراقيون يحتفلون في العشرين من كل شهر، بعيد مكرس لإله العدالة (شمس) الذي انجب ولدين هما (كيتو) و(ميتساو) أي العدالة والحق⁽²⁷⁾، ظلت العدالة بهذا المفهوم أمراً مرهوناً بخدمة الإنسان للآلهة وإرضائه لها فقط، فإذا ما حصل على العدالة فذلك لأن الآلهة منّت عليه بذلك، لا لأنه يستحقها. أما الطرح الفلسفي القائل إن العدالة من حق كل إنسان فلم يأخذ بالتبلور البطيء إلا في الألف الثاني قبل الميلاد، وهو الألف الذي ظهرت فيه شرائع حمورابي⁽²⁸⁾، إذ يذكر هذا الملك البابلي الذي تولى الحكم خلال المدة

الأسس الفلسفية لشرعية حمورابي

(1750-1792 ق.م) في مقدمة شريعته: "أن الآلهة أرسلته ليوطد العدل في الأرض، وليزيل الشر والفساد بين البشر، ولينهي استعباد القوي للضعيف، ولكي يعلو العدل كالشمس، وينير البلاد من أجل خير البشر، ويجعل الخير فيضاً وكثرة"⁽²⁹⁾. فأضحى الناس منذ ذلك العصر يشعرون أن العدالة شيء من حق كل إنسان، كان لا بد أن يناقض نظره الناس آنذاك إلى الدنيا، فبرزت إلى الوجود مشكلات أساسية، كتبرير الموت، ومشكلة الإنسان الفاضل، الذي يقاسي البلياء بالرغم من فضيلته كان وراء هاتين المشكلتين، إحساس عميق بالألم والمأساة، فجاءت ملحمة جلجامش في أوائل القرن الثاني قبل الميلاد تعبيراً عن سخط مكتوم، وإحساس دفين بالظلم، منشؤه الفكرة التي تبلورت آنذاك عن حقوق الإنسان والمطالبة بالعدالة في الكون، فالموت شر بل هو العقاب الأكبر، فما الداعي إلى موت الإنسان، إذا لم يكن قد اقترف إثماً ولا تنتهي هذه الملحمة إلى نتيجة، بل يظل السؤال مطروحاً بلا جواب⁽³⁰⁾، أصبحت هذه المشكلة الأخلاقية بعناصرها الاستفهامية والاستكشافية، والتبشيرية نقطة انطلاق للأديان، والفلسفات والأيدولوجيات التي ظهرت فيما بعد في مختلف الحضارات، وحاولت الخوض في ماهية العدالة وغايتها وأساليبها، تحقيقاً عملياً، وبالرغم من أن الناس على العموم، ظلوا يقررون في كل عصر بأنهم لم يفلحوا في تحقيق العدالة بعد، إلا أن التاريخ البشري يمكن النظر إليه بوصفه تاريخ مقاومة الظلم، وتاريخ الصراعات الدامية من أجل فرض معيار موحد للعدالة، إذ ظل الإنسان ينشد العدالة في كل زمان مستخدماً في ذلك كل وسائله، ومنها أبسط ألفاظه وأعمق أفكاره على حد سواء. لكن هذا المعيار ظل منيعاً على التحديد أو الاتفاق.

هذا الطرح الفلسفي للقانون والعدالة، تجسد بشكل لافت في شرعية حمورابي التي رفعت شعار العدالة في القانون، والحكم، والفكر والتشريع، وقد كان حكم حمورابي يوضح مجمل التطور الاجتماعي، وسجل الظواهر والمتغيرات التي يمكن توثيقها، وذلك لمعرفة كيف أسس هذا الحكم شريعته؟، وما هي مقومات هذه الشريعة، وكيف خدم وأرسى قواعد العدل في مجتمعه من خلال هذه التشريعات والقوانين، وعن حكمه يقول حمورابي "لقد أسكنت الناس في بيوت محمية، ولم أسمح لأحد بطردهم، الآلهة الكبار

الأسس الفلسفية لشرعية حمورابي

كلفنتي بذلك، وهأنذا الراعي احرس جيداً وعصاي مستقيمة، ظلي المديد يظل مدينتي، وسع حجري البشر من بلاد سومر وأكد، بإله الحماية الذي احتفى وهو أخ البلاد، أو من لهم العيش بسلام واطمئن عليهم في أعماق معرفتي، لا اسمح للقوى يسلب حق الضعيف اضمن حق الأرامل، واليتامى في بابل التي رفعت الآلهة (أنو وانليل) رأسها عالياً، البيت الأزلي ثابت الأركان مثل السماء والأرض، من أجل تثبيت حقوق البلاد، وتقدير مصيرها، وإعادة الحق إلى أهلهم⁽³¹⁾، كما أكد حمورابي في خاتمة قانونه، أنه هو المشرع، وهو الذي وضع قوانين العدالة بلسان البلاد لتحقيق الخير للناس⁽³²⁾.

سمات قانون حمورابي:

1- لم تكن قوانين حمورابي شرعية بالمعنى المعتاد للكلمة، فهي لا تغطي جميع الحالات الممكنة، فقد كانت مهمة حمورابي إصلاح القوانين الموجودة والإضافة عليها، لذلك من الصعب اعتبارها تقنياً يتضمن قواعد عامة مجردة، كما هو الشأن في التقنيات الحالية، وإنما يتناول مسائل محددة للغاية، لدرجة يتعذر معها استنباط حل المسائل الأخرى القريبة منها. مثال ذلك أن يتحدث عن عقوبة خطف ابن رجل حر، وهي الموت المادة (14) ولكنه لا يبين ما هو الحل بالنسبة لخطف عبد، كذلك يبين القانون جرائم استعمال قنوات الري المادة (53-56) ولكنه لا يعالج سرقة المياه⁽³³⁾. وبالتالي فهذه الشرائع تعني حكم القضاء، ولا تعني القوانين العامة.

2- يختلف قانون حمورابي عن القوانين الدينية مثل القانون اليهودي والهندي وعلى الرغم من ذكر وتمجيد حمورابي للإله "شمش" إله الشمس في مقدمة قانونه، إلا أن نصوص القانون لم تحفل بالآلهة، وجاءت بقواعد "علمانية" بعيدة عن الصبغة الدينية. بعبارة أخرى فإن قوانين حمورابي القديمة، وإن كانت قوانين مستمدة من الآلهة، حسب اعتقادهم آنذاك إلا أنها كانت قوانين دنيوية فهي لا تعالج علاقة الإنسان بالآلهة، ولا تتطرق إلى العبادات والطقوس الدينية فهي بذلك تختلف عن الشرائع السماوية وبعض القوانين القديمة الأخرى⁽³⁴⁾.

الأسس الفلسفية لشريعة حمورابي

3- مما يلفت النظر أنه ليس في مواد الشريعة، مادة واحدة مخصصة لحماية الدولة والحكام، مما يدل على مدى تحضر الإنسان العراقي القديم، وكيف كانت العدالة قبل أربعة آلاف سنة .

4- ولعل من المميزات الحضارية لشريعة حمورابي أحكام الأسرة وحقوق المرأة التي تؤكد على أن الرجل لم يعد الحاكم المطلق في أسرته، فقد أصبح لأول مرة خاضعاً لرقابة قضائية، وهذه مؤشرات حضارية مهمة في زمن كانت السلطة الأبوية المستبدة هي السائدة ، ومن أبرز أحكام الأسرة منع تعدد الزواج إلا في حالات استثنائية، ومن أحكام الأسرة المتميزة أيضاً هو حق الزوجة في تملك المال وهو مثيل لما نطلق عليه حديثاً (استقلال الذمة المالية للزوجة)⁽³⁵⁾.

5- لقد كانت شريعة حمورابي الوحيدة التي استخدمت مبدأ القصاص في كثير من موادها ، بينما يستخدم مبدأ الغرامة في الحالات التي يعجز القصاص عن تحقيق العدالة فيها، كما هو الحال في مضمون المادة (202) (إذ صفع رجل خد رجل أرفع منه، فيجب أن يضرب علناً ستين جلدة بسوط من ذنب الثور) وهكذا كلما تطورت المجتمعات كان مبدأ الغرامة يرتفع على حساب مبدأ القصاص. لذا نجد معظم المجتمعات المتحضرة حالياً، قد هجرت مبدأ القصاص بالمثل، وعوضته بالغرامة أو السجن .

6- نص قانون حمورابي على فصل القضاء عن السلطة التنفيذية وبالمقابل وضع حمورابي عقوبات صارمة على القضاء أنفسهم أن استغلوا القضاء لمنافعهم الشخصية.⁽³⁶⁾

7- العدالة هي الغاية القصوى لقانون حمورابي - بغض النظر عن بعض العقوبات الجنائية القاسية - وبالتالي نستطيع القول بأن قانون حمورابي لا يقل رقياً عن أي شريعة حديثة، وهو يحمي الضعيف من القوى، ويحدد أجور العمال، ويحدد سعر كثير من السلع، ويضمن حق العامل في الراحة، وهو الجانب الإنساني الذي تقوم عليه القوانين الحديثة⁽³⁷⁾.

الأسس الفلسفية لشريعة حمورابي

8- تتضمن شريعة حمورابي، بعض القوانين التي بلغت درجة من التقدم قلما تتوفر في كثير من التشريعات الحديثة، فنجد في المادة (23) التي تقول " إذا لم يضبط السارق، فإن صاحب المتاع المسروق، يقدم تفاصيل المسروقات في حضرة الإله، وعندئذ تعوضه المدينة وحاكمها التي وقعت السرقة في ناحيتها⁽³⁸⁾، بينما نجد في المادة (24) "إذ أدت السرقة إلى خسارة في الأرواح، دفعت المدينة وحاكمها إلى ورثة القتيل "مينا" من الفضة كتعويض⁽³⁹⁾، ودفع التعويض هنا بناءً على النظرية القائلة بأنهم فشلوا في الحفاظ على القانون والنظام، والسؤال هنا هل ثمة في هذه الأيام مدينة، أو دولة بلغ صلاح الحكم فيها درجة تجرؤ معها على أن تعرض على المتضرر بسبب إهمالها، أي تعويض؟

9- من الأسس الفلسفية التي يقوم عليها هذا القانون، مبدأ "المحنة" الذي يقضي بوضع الإنسان في امتحان قاسٍ لإثبات قوله، فنصت المادة الثانية من القانون على أنه "إذا اتهم رجل، آخر بالسحر، ولم يستطع إقامة الدليل، اختبر بامتحان النهر، فيرمى نفسه فيه، فإن غلبه النهر على أمره، يستولى خصمه على ضيعته، وإن أظهر النهر أنه بريء، وخرج سالماً فإن المدعي يقتل، ويأخذ المدعي عليه ضيعته"⁽⁴⁰⁾.

وفي خاتمة البحث يمكن التأكيد على النقاط التالية:

- 1- إن أقدم القوانين المكتوبة التي توصل إليها علماء الآثار هي القوانين العراقية القديمة، ولذلك اعتبر المجتمع العراقي أول مجتمع إنساني عاش في ظل القانون.
- 2- ظهرت قيم الحق، والعدل، والفضيلة كأسس فلسفية ضمن القانون الوضعي، أي ضمن شريعة مطبقة، ونصوص ووثائق وإجراءات، تبدأ مع بداية عهد كل ملك جديد، يتعهد الاهتمام برعيته، ويقم العدل. وقد حرصت السلطة السياسية في العراق القديم على إقامة العدالة كجزء من متطلبات ومقومات الحضارة، ولأهمية العدالة، غالباً ما ترد في الوثائق على أنها أحد المقومات والركائز التي يقوم عليها حكم الحاكم، والتي يتعهد بها الملوك والآلهة.

الأسس الفلسفية لشريعة حمورابي

3- إن الأسس الفلسفية التي قامت عليها شريعة حمورابي، كالعدل والفضيلة ، والحق، ولم تكن فكرة يطغى عليها التجريد النظري والفلسفة المحضة، ولكنها جاءت ضمن قوانين وشرائع تحدد أسسها ومعانيها داخل المجتمع.

4- تعد شريعة حمورابي ، أشهر قانون مكتشف، فضلاً عن كونه أكمل القوانين وأنضجها، وعلى الرغم من أن قانون (أورنمو- لبت عشتار- اشنونا) اسبق من قانون حمورابي يظل المحور الأساسي لأية دراسة تاريخية قانونية عن القانون في العصور القديمة، بوصفها أكمل القوانين وأكثرها تنظيمًا.

هوامش البحث:

(1) الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال، مج1، (القاهرة: دار الجيل، 1995)، ص740.

(*) وضع قانون حمورابي، الملك حمورابي سنة (1728-1686م ق.م) وهو أشهر ملوك مملكة بابل التي نشأت على ضفاف نهر الفرات في العراق، وتعني كلمة حمورابي رب العائلة العظيم، أو السيد الكبير.

(2) عبدالرحمن الكياني: شريعة حمورابي أقدم الشرائع العالمية (حلب: مطبعة الضاد، 1958)، ص12.

(3) هاشم الحافظ: تاريخ القانون، بغداد: دار الحرية للطباعة، 1980، ص42.

(4) رضا جواد الهاشمي: حضارة العراق، بغداد: ب.د، 1984، ص431-432.

(5) علي محمد جعفر: نشأة القوانين وتطورها، ط1 ، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر، 2002، ص25، 26.

(6) عباس العبودي ، شريعة حمورابي ، دراسة مقارنة، ط2، عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2010، ص32.

(7) ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، ج1، مج1، ط4، القاهرة: مطابع النجوى، 1973، ص191.

- (8) جمال مولود ذيبان: تطور فكرة العدل في القوانين العراقية القديمة، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2001، ص120.
- (9) جعفر عبد الأمير الياسين وآخرون: العقوبات البدنية في قوانين العراق القديم ، ط1، النجف: دار الضياء للطباعة والتصميم، 2009، ص11.
- (10) فوزي رشيد: الشرائع العراقية القديمة، ط3، بغداد: دار الشؤون الثقافية، 1987، ص107، 108.
- (11) فوزي رشيد، مرجع سبق ذكره، ص119-130.
- (12) المرجع نفسه، ص432.
- (13) رضا جواد الهاشمي، مرجع سبق ذكره، ص426-427.
- (14) هورست كنغل: حمورابي ملك بابل وعصره، ترجمة: غازي شريف، مراجعة علي يحيى منصور، ط1، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1987، ص90.
- (15) اندري بارو: سومر فنونها وحضارتها، تقديم اندري مالرو، ترجمة وتعليق: عيسى سليمان ب.م.، ب.د، 1977، ص361.
- (16) فوزي رشيد: الملك حمورابي، مجدد وحدة البلاد، ط1، بغداد: ب.د، 1991، ص42.
- (17) د. علي شفيق الصالح: مجلة محكم، مجلة إلكترونية www.maakom.com.
- (18) المرجع نفسه.
- (19) هورست كنغل: حمورابي ملك بابل وعصره، مرجع سبق ذكره، ص87، 88.
- (20) دينيس لويد: فكرة القانون، تعريب: سليم الصويص، مراجعة: سليم بسيسو القاهرة: ب.د، 1981، ص109، 110.
- (21) المرجع نفسه، ص110، 111.

الأسس الفلسفية لشريعة حمورابي

- (22) مجموعة من العلماء الأكاديميين السوفييتيين: الموسوعة الفلسفية، إشراف: م. روزنتال و.ت بودين، ترجمة: سمير كرم، مراجعة: صادق العظم، جورج طرابيش، بيروت: دار الطليعة، 1985، ص293.
- (23) المرجع نفسه، ص293.
- (24) مصطفى سيد أحمد صقر: فلسفة العدالة عند الإغريق وأثرها على فقهاء الرومان وفلاسفة الإسلام، مصر: مكتبة الجلاء الجديدة، 1989، ص42.
- (25) بول تيليش: الحب والقوة والعدالة، ترجمة: مجاهد عبدالمنعم مجاهد، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1981، ص30-84.
- (26) يوسف جي: الإنسان في أدب وادي الرافدين، بغداد، سلسلة الموسوعة الصغيرة، 1980، ص58.
- (27) عبدالرضا الطعان: الفكر السياسي في العراق القديم، بغداد: دار الرشيد للنشر، 1981، ص538.
- (28) هـ. فرانكفورت وآخرون: ما قبل الفلسفة، تر: جبر إبراهيم جبرا، بغداد: مكتبة الحياة، 1960، ص245، 246.
- (29) جمال مولود ذبيان: تطور فكر العدل في القوانين العراقية القديمة، مرجع سبق ذكره، ص122.
- (30) هـ. فرانكفورت، مرجع سبق ذكره، ص246-251.
- (31) هورست كلنغل، مرجع سبق ذكره، ص11.
- (32) فوزي رشيد: القوانين في العراق القديم، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1988، ص87.
- (33) للاطلاع على نص الشريعة كاملاً، انظر: مجموعة من المؤلفين: شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم، ترجمة أسامة سراس، ط1، دمشق: العربي للطباعة والنشر، 1988، ص10، ص97، ص103.

- (34) عبدالغني الرويمض: تاريخ النظم القانونية، طرابلس: دار الكتب القانونية، 2011، ص178.
- (35) د.علي شفيق الصالح، شريعة حمورابي، مجلة محكم، مجلة إلكترونية www.maakom.com .
- (36) فوزي رشيد: الملك حمورابي ، مجدد وحدة البلاد، مرجع سبق ذكره، ص125.
- (37) المرجع نفسه، ص ص195، 196.
- (38) مجموعة من المؤلفين: شريعة حمورابي واصل التشريع في الشرق القديم، مرجع سبق ذكره، ص32.
- (39) المرجع نفسه، ص34.
- (40) المرجع نفسه، ص34.

الفكر الفلسفي الإسلامي: النشأة والتطور

د. عبد المجيد علي التقاز

كلية الآداب - جامعة الزاوية

مقدمة:

جرت العادة على تسمية فترة ما قبل الإسلام "بالجاهلية" دلالة على أن العرب كان يسيطر عليهم الجهل والبداءة، وأنهم كانوا متخلفين عن عاصرتهم من جيرانهم في الحضارة والتمدن، وأنهم كانوا ببدواتهم مجموعة من القبائل المتوحشة المتأخرة، يغزو بعضها بعضاً باستمرار، لا يجمعهم نظام، ولا ينظمهم فكر أو دين. هكذا اقترن وصف "الجاهلية" وهو الوصف الذي أطلقه الإسلام على حياة العرب الاجتماعية والفكرية قبل الإسلام - بجميع معاني التأخر والانحطاط في الميادين كافة، خاصة فيها الميدان الديني والخلقي والفكري.

وإذا كان هذا يصدق، إلى حد كبير، على بعض القبائل العربية التي كانت تعيش منعزلة في مناطق مختلفة من صحراء الجزيرة العربية وباديتها، فهو لا يصدق على سكان الجزيرة كلهم ذلك لأن هذه الجزيرة قد عرفت مراكز حضرية مهمة، مثل حضارة اليمن القديمة، كما كان لجماعات كثيرة من سكانها، اتصال واحتكاك بالحضارات الفارسية والرومانية والهندية، كما عرف العرب، على العموم، ولو بشكل سطحي، أهم الديانات السائدة في عصرهم من يهودية ونصرانية ووثنية ومجوسية، علاوة على ظهور بوادر حركة دينية، قبيل رسالة الإسلام، تتلمس الطريق نحو دين خاص بالعرب، مولية وجهها نحو الدين الحنيف، دين إبراهيم عليه السلام جدهم⁽¹⁾.

ويتضح من ذلك أن العرب لم يكونوا عند نزول القرآن، يعيشون في جهل مطبق، ولا كانوا في سذاجة الجماعات الإنسانية الأولى من الناحية الفكرية⁽²⁾، بل لقد كانت هناك في الجزيرة العربية حركة دينية فكرية تتمثل في ذلك الجدل الديني الذي كان قائماً بين الطوائف الدينية المختلفة إذن كان لا بد للقرآن أن يجادل هؤلاء وأولئك، وأن يبادلهم الحجة بالحجة، والقصة بالقصة، والنذير بالنذير، كما كان لا بد أن يوضح موقفه من الديانات

السماوية وغير السماوية، وكذلك وضع نظرتة إلى الكون، مثل المسائل الميتافيزيقية التي تتعلق بطبيعة الوجود، وبدء الخلق، وطبيعة الله، وطبيعة النفس ومشكلة الخلو والحياة الأخرى، من هنا يتضح لنا ان الفكر الإسلامي قد بدأ مع بداية نزول القرآن. **منهجية البحث:** المنهج الذي سار عليه البحث، هو المنهج التحليل المقارن الذي اتخذ وسيلة لبلوغ غايته، وهو الذي يستند إلى التحليل والفهم والنقد ثم المقارنة، ومحاولة الوصول إلى إبراز البواكير الأولى للفكر الفلسفي الإسلامي، والتي كان لها الفضل في نشأته وتطوره.

القرآن والجدل الديني:

مجادلة اليهود والنصارى:

نزل القرآن في بيئة فكرية طابعها العام الجدل الديني المستمر بين الطوائف الدينية، كل طائفة تدعى أن دينها أفضل الأديان. ومن هذه الطوائف التي قام بينها جدل ديني عنيف منذ القدم: اليهود والنصارى. وقد أشار القرآن في أماكن عديدة إلى جوانب الاختلاف بين هاتين الديانتين من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ، وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ، فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة، الآية

[113]

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ [التوبة، الآية 30] (*)

ومن المعروف بأن اليهود والنصارى اتخذوا موقفاً عدائياً من الإسلام عند ظهوره، وكان موقف اليهود أشد عداوة وكيدا ولوّماً. وذلك نجد القرآن يخص اليهود بالتعنيف الشديد لسوء أخلاقهم وكذبهم على الله، يقول الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة، الآية 92]، ويتهم القرآن اليهود بأنهم غيروا كتبهم المقدسة وحرفوا كلام الله: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء، الآية 46]. ثم يفضح القرآن أخلاقهم وكذبهم فيقول عنهم:

﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة، الآية 42]. ويشير أيضاً إلى سعيهم الدائب في إيقاد الفتن وإشعال الحروب والإفساد في الأرض: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة، الآية 64].

كما أنكر القرآن عقيدة التثليث التي يؤمن بها أصحاب الديانة المسيحية، والادعاء بأن عيسى ابن الله، يقول الله تعالى: ﴿...إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً، انْتَهَوْا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء، الآية 171]، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة، الآية 73].

هذا الجدل العنيف أحياناً، الحفيف أحياناً، الذي خاضه القرآن مع من ذكرناهم من اليهود والنصارى، ومع من لم نذكرهم، المشركين والكفار والمنافقين، إنما يدخل في إطار دعوة واحدة، هي الدعوة إلى التوحيد، توحيد الإله وتوحيد الأديان، لقد اعترف القرآن بالأديان السماوية السابقة، ولكنه أتهم أهلها بتحريف كتبهم المقدسة، وخرجهم عن الدين الحق، لذلك بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ [الصف، الآية 9].

إن القرآن يعترف بالرسالات السابقة ويدعو إلى الإيمان بها، ولكنه لا يقبل ديناً آخر غير الإسلام، فالقرآن جاء ليختم الرسالات كلها، وينسخها والرسول -صلى الله عليه وسلم- هو خاتم النبيين والمرسلين، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾ [آل عمران، الآية 19] ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران، الآية 85].

ميتافيزيقا القرآن والدعوة إلى استعمال العقل (بداية التفكير الفلسفي في الإسلام):
طرح القرآن مسائل ميتافيزيقية عديدة تشرح تصور الإسلام لله (طبيعته وصفاته) وللكون (حدوثه ومصيره)، وللإنسان (وضعيته ومصيره وعلاقته بالله والعالم).

ففيما يخص وجود الله، يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ، وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد، الآية 3، 2].

وأخص صفات الله التي يلح عليها القرآن إلحاحاً خاصاً، وهي وحدانيته بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء، الآية 48]، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا، فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء، الآية 22].

ويتحدث القرآن عن طبيعة ذات الله، فينزهها تنزيهاً كاملاً تاماً مطلقاً فهو تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام، الآية 103].

أما عن الصفات التي يصف الله بها نفسه في القرآن فهي كثيرة متعددة فهو ﴿الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر، الآية 24] وهو الحي ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ...﴾ [الإسراء، الآية 1].

ويقرر القرآن أن الإنسان جسم وروح، إن روحه اسمي من جسمه لأنها من روح الله والإنسان في تصور القرآن حر مختار تارة، مجبر مسير تارة أخرى، ضمن الآيات التي تفيد الاختيار قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ [الكهف، الآية 108] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت، الآية 46]، ومن الآيات التي تفيد الجبر قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير، الآية 29] ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران، الآية 154] ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص، الآية 56].

أما بشأن المصير الإنساني، فإن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الناس سيبعثون لا محالة: ﴿رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا، قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ، وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن، الآية 7].

ويلخص القرآن المراحل التي يجتازها الإنسان منذ خلقه إلى يوم بعثه، فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَيْعِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ، ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ، وَتَقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى، ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلًا، ثُمَّ لِنَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ، وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج، الآية 5].

هذه الآيات التي أوردناها، وغيرها التي لم نوردتها هي كثيرة، تطرح مسائل فلسفية هامة، وتحمل على التساؤل وأعمال الفكر، والحق أن القرآن دعوات واضحة متكررة إلى استعمال العقل: هو يدعو الإنسان ليتأمل ويفكر في خلق السموات والأرض، في الشمس التي تشرق وتغرب، بل إنه يدعو إلى تأمل ذاته والنظر في حقيقة نفسه، ولكنه إلى جانب ذلك، ينبه إلى أن للعقل جداً، وأن هناك مسائل تتأى عن إدراكه، فمن الأفضل السكوت عنها، وتجنب طرح الأسئلة بشأنها، من ذلك مثلاً حقيقة الروح، وموعد قيام الساعة بقول تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [17-85] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي، لَا يُجَلِّيا لَوْفَتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف، الآية 187].

ويظهر أن الأسئلة، من هذا النوع قد كثرت على الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فنزلت الآية التالية توصي بعدم الإكثار من الأسئلة، خصوصاً في المسائل الميتافيزيقية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن شَيْءٍ إِن تَبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ، وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلِ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ...﴾ [المائدة، الآية 101].

ولعل مما أثار فضول المؤمنين وحملهم على طرح كل الأسئلة، ورود آيات تحمل مضامين مختلفة وأحياناً متناقضة، في الظاهر على الأقل، علاوة على نزول آيات تنسخ أخرى. وقد نهى القرآن المؤمنين عن الخوض في ذلك، مقررًا أن هناك آيات محكمات واضحات لا لبس فيها، وأن هناك آيات متشابهات ينبغي السكوت عنها وعدم الاشتغال بتأويلها. يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ، مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ. فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ

تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ، كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا. وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ [آل عمران، الآية 7].

هذه المسائل الميتافيزيقية التي طرحها القرآن، وذلك الجدل الذي خاضه، تارة برفق وتارة بعنف، مع الطوائف الدينية والمشركين، بالإضافة مسائل فكرية أخرى اقتضى الخوض فيها، ذلك التطور الذي حصل للفكر العربي بسبب قيام الإسلام، كل ذلك يشكل اللبنة الأساسية التي سيقوم عليها بناء الفكر الفلسفي الإسلامي، ذلك البناء الذي اغتنى فيما بعد بالثقافات المختلفة التي احتك بها الإسلام خصوصاً منها الثقافات اليونانية والفارسية والهندية أن الفكر الإسلامي إذا، سواء منه الجانب الفلسفي أو السياسي أو الاجتماعي، قد نشأ مع الإسلام نفسه، أي مع نزول القرآن، وإذا كان هذا الفكر لم يأخذ في التبلور والتركيز إلا بعد وقت ليس بالقصير. فمرد ذلك، لأن المجتمع الإسلامي كان يعيش آنذاك فترة تحول، تتجلى في انصراف المسلمين إلى فتح البلدان ونشر الإسلام. فعندما توطدت دعائم الدولة الإسلامية، وأخذت الأوضاع الاجتماعية تتبلور، بدأت حركة فكرية واسعة شملت ميادين شتى، عقائدية وسياسية واجتماعية وتشريعية فقهية، علاوة على الحركة الأدبية واللغوية التي عرفت ازدهاراً أو انتشاراً.

وبالتالي فالمسلمون اتجهوا إلى القرآن، يقرأونه ويتدبرونه، وكانوا يواجهون العالم كله -العالم الذي فتحوه وغلّبوه- بالقرآن بسنة محمد -صلى الله عليه وسلم- ومن هذا التدبير وهذا الفكر في أعماق النص الإلهي، بدأ الفكر الإسلامي.

والحياة الإسلامية كلها ليست سوى التفسير القرآني: ضمن النظر في قوانين القرآن العملية نشأ الفقه، ومن النظر فيه ككتاب يضع الميتافيزيقا نشأ الكلام. ومن النظر فيه ككتاب أخروي نشأ الزهد والتصوف والأخلاق. ومن النظر فيه ككتاب للحكم نشأ علم السياسة. ومن النظر فيه كلغة نشأت علوم اللغة... إلخ. وتطور العلوم الإسلامية جميعها إنما ينبغي أن يبحث في هذا النطاق: في النطاق القرآني نشأت، وفيه نضجت وترعرعت، وفيه تطورت، وواجهت علوم الأمم تويدها وتكرها في ضوئه⁽³⁾.

الخلافة والفرق الإسلامية:

مشكلة الخلافة: بمجرد ما شاع خبر وفاة الرسول ﷺ، طرحت مشكلة الخلافة بكيفية علنية، حيث سارع الأنصار إلى الاجتماع في سقيفة بني ساعدة بالمدينة لاختيار الخليفة. فلما علم المهاجرين بالخبر سارعوا إلى مكان الاجتماع وعلى رأسهم أبو بكر وعمر. وبعد مناقشات حادة نبه المهاجرون أخوانهم الأنصار إلى ان الخلافة لا يمكن أن تتولاها إلا قبيلة قريش، محتجين بقول الرسول "الأئمة في قريش"، بعد هذه المناقشات، بادر عمر فبايع أبا بكر وتبعه أغلب من كان حاضراً. وبذلك تمت مبايعة أبي بكر بالخلافة وهكذا استعاد المسلمون وحدتهم، وانصرفوا، بتوجيه من أبي بكر، إلى قتال المرتدين، ثم أخذت دعائم الدولة الإسلامية تتوطد وتتركز، وعندما مرض أبو بكر أوصى بالخلافة لعمر بن الخطاب بعد استشارة كبار الصحابة.

وعندما طعن عمر بن الخطاب على يد رجل من الموالي، طلب منه الصحابة بأن يوصي بمن سيخلفه، فعين ستة من كبار الصحابة، وعند موته اجتمع الصحابة لاختيار واحد منهم، ولكن سرعان ما ظهر التنافس فيهم، اتضح أن هناك فريقاً يريد عثمان، وآخر يريد علياً، الفريق الأول معظمه من بني هاشم، والفريق الثاني جله من بين أمية. وأخيراً بويع عثمان وانصرف إلى تدبير شؤون الدولة ومتابعة الفتوح. غير انه في السنوات الأخيرة من حكمه وقع تحت سيطرة زعماء الأمويين أقربائه، فخصمهم بالأموال والمناصب، مما أثار استياء الفريق الآخر. وبالتالي كانت النتيجة قيام ثورة عارمة، هجمت خلالها الجموع الثائرة، على مقر عثمان فقتلوه. فتفاقمت الأزمة، وتعقدت مشكلة الخلافة. يقول أبو الحسن الأشعري: "وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبينهم صلى الله عليه وسلم - اختلافهم في الإمامة"⁽⁴⁾ وحين تولى -علي رضي الله عنه- أمر الخلافة، اختلف عليه المسلمون، هذا من شيعته وهذا ليس من شيعته، ومضوا يتضاربون بالسيف ويتضاربون باللسان، وتعقدت المسائل وتشابكت⁽⁵⁾. وصار علي ومعاوية إلى صفيين... وظهر الخوارج يعلنون ان الحكم لله - لا للرجل، وضاع الحق، وقتل "علي"، وتولى الحسن أمر الخلافة المسلمين بعد أبيه، ولكن آخر الأمر بايع الحسن معاوية⁽⁶⁾.

البواكير الأولى للحركة العقلية الإسلامية: لقد كان من الطبيعي أن يؤدي النقاش السياسي حول الخلافة وما تفرع عنها من مسائل مثل حقيقة الإيمان، ومرتكب الكبيرة، والوعد والوعيد، وغيرها، إلى طرح مشكلة الجبر والاختيار، أي مشكلة حرية الإرادة الإنسانية وقدرته على الفعل من عدمه. وبمعنى آخر هل الإنسان مجبر مسير في أفعال أم أن أفعاله صادرة عن حرية؟

من هنا نشأ البحث في الجبر والاختيار، وهو بحث كان من ورائه دافع ديني، وآخر سياسي فمن الناحية الدينية في القرآن توجد العديد من الآيات تفيد الاختيار والحرية، وأخرى تفيد أن الإنسان مجبر مسير، وكان من الطبيعي أن يعتمد فريق النوع الأول فيقول بالاختيار في حين يرى الفريق الآخر عكس ذلك ويقول بالجبر.

أما من الناحية السياسية، فالأمويين يقال أنهم⁽⁷⁾ "أحدثوا القول بالجبر، أو على الأقل شجعوا عليه، ونشروا فكرة أن الخليفة إنما يتصرف وفق ما أَرادَه اللهُ، ونتيجة لذلك كله، وكرد فعل ضد الأيديولوجيا الأموية القائلة بالجبر، قامت حركة فكرية تقول بـ"القدر"، أي بقدرة الإنسان على إتيان أفعاله عن حرية واختيار، وبالتالي ضرورة تحمل مسؤولية أعماله.

القدرية: شغل المسلمون في أواخر القرن الأول للهجري بمشكلة الجبر والاختيار، حيث دار جدال بين المسلمين حول هذا الموضوع في دمشق والمدينة والبصرة، فذهب فريق إلى القول بحرية الإرادة، وسموا بـ"القدرية" لأنهم أثبتوا للإنسان قدرة على أعماله، ونشأت هذه الحركة -القدرية- في البصرة، التي كانت في ذلك الوقت مركز المعارضة للحكم الموي.

1- معبد الجهني: يذكر المؤرخون أن أول من قال بالقدر هو معبد بن خالد الجهني المتوفي سنة 80 هجرية. نشأ معبد في المدينة ثم انتقل للبصرة، وقد كان من تلامذة أبي ذر الغفاري، حيث ردد دعوة أستاذه، "حين أنكروا على معاوية والأموية في دمشق ثرائهم وتلاعبهم ببيت المال مدعين أن المال (مال الله) وأعلن أبوذر نظريته أن المال "مال المسلمين"، ونتج عن هذا إعلان الأموية لنظرية الجبر الإلهي المطلق"⁽⁸⁾. كما

أنه نادي بحرية الإرادة الإنسانية ونادى بالاجتهاد العقلي في النص القرآني وفي السنة.

2- غيلان الدمشقي: توفي سنة 105 هجرية، وهو الشخصية القدرية الثانية التي نادى بحرية الإرادة الإنسانية، ولقد اشتهر بفصاحته وبلاغته وثقافته في عقيدته، وتنسب إليه فرقة الغيلانية.

كانت الغيلانية نسبة إلى غيلان فرقة سياسية عملية قامت باسم المجتمع الإسلامي ضد الحكم الأموي أي ثورة على الظلم الاجتماعي والاقتصادي الذي قام به الأمويون باسم الجبر الإلهي، وحين قتل مؤسسها (قتله هشام بن عبد الملك) استمرت كفرقة سرية إلى أن نظم إليها أمير أموي وهو يزيد بن عبد الملك الذي توفي بعد ستة أشهر فقط من الخلافة⁽⁹⁾.

وإجمالاً فإن القدرية علاوة على القول بالقدر، منهم من تكلم في ذات الله وصفاته، حيث أكدوا على أن ذات الله وصفاته شيء واحد.

ومن القدرية من تكلم في القرآن، فقال أن القرآن مخلوق، ومنهم أيضاً من تكلم في مسألة الإيمان فرأى أن الإيمان قول ومعرفة ولكن العمل ليس شرطاً منه.

وأما رأيهم في الخلافة فذهبوا إلى القول بعدم اشتراط النسب القرشي. لقد مثلت القدرية، النزوة الحيوية الأولى للمجتمع الإسلامي، وهذه النزوة هي تعبير جزئي عن المجتمع، وانتفاضة من انتفاضاته، وهي تتمثل في رأي مخالف لرأي حكامه، يعدها البعض الإرهاصات الأولى لثورة المجتمع ولكن قام من يرد عليهم لا باسم بني أمية، ولكن خلال تأويل عقلي، وكانوا أيضاً حاجة من حاجات المجتمع، ونزوة من نزواته، وهم المجبرة الأوائل أو الجهمية.

الجبرية: قامت فرقة الجبرية كرد فعل ضد فرقة القدرية، وقالت هذه الفرقة بالجبر. والجبر في الاصطلاح الإسلامي هو نفي الفعل عن الإنسان وإضافته إلى الله، فإذا فعل الإنسان شيئاً فإن الفاعل الحقيقي هو الله، بمعنى آخر أن الإنسان مسير لا مخير فلا إرادة

له ولا قدرة، ليس له إلا ما أراد الله، وقدرة له على شيء، وإنما يخلق الله أفعاله، وسمو بالجبرية⁽¹⁰⁾.

1- الجعد بن درهم (ت 117هـ-735م): نشأ في خرسان، وهو أول مسلم نادى بفكرة التأويل العقلي في الإسلام، فيقال إنه أول من تكلم في الصفات بين المسلمين، أنكرها جملة لبيصون وحده الله تعالى⁽¹¹⁾. ويقال إنه أول من قال بخلق القرآن، تمثيلاً مع فكرة إنكار الصفات. وهو أيضاً أول من لجأ إلى التأويل العقلي، ليفسر النصوص الدينية⁽¹²⁾، فكان يقول: "ما كلم الله موسى تكليماً"، أي لم يكلمه بكلام قديم، وإنما كلمه بكلام حادث. وأخيراً هو بهذا كله أول معطل، والتعطيل في عرف المتكلمين إلغاء الصفات القائمة بذات البارئ جل شأنه.

2- الجهم بن صفوان (ت 127هـ-745م): وهو الشخصية الثانية في هذه الفرقة الجبرية والتي تسمى أحياناً بالجهمية نسبة إليه. اخذ عن الجهم بن درهم التفسير العقلي في الإسلام، ففي مسألة الجبر والاختيار نفى قدرة الإنسان عن الفعل ويقول "إن الإنسان ليس يقدر على فعل، ولا يوصف بالاستطاعة وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات... كما يقال أثمرت الشجرة وجرى الماء، وتحرك الحجر، وطلعت الشمس..."⁽¹³⁾.

وفي مسألة "الذات والصفات" أي المشكلة الإلوهية، فإن الجهم نزه الله تنزيهاً مطلقاً، وكان يقول: "لا يجوز أن يوصف البارئ تعالى بصفة يوصف بها خلقه، لأن ذلك يقضي تشبيهاً، فنفي كونه حياً عالماً، وأثبت كونه قادراً فاعلاً خالقاً، لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق"⁽¹⁴⁾ وهنا الجهم لا ينفي الصفات الأزلية، وإنما يحاول فقط تنزيه الذات عن كل ما يعلق بها من شوائب التمثيل والتشبيه، فاحتفظ الله بصفات القدرة والإيجاد والفعل والخلق والإحياء والأمانة، فالجهم ليس معطلاً بإطلاق، وإنما كان ينكر التشبيه الذي انتشر على أيدي الحشوية والمشبهة من أمثال "مقاتل بن سلمان" تحت تأثير يهودي مسيحي. وفي مسألة القرآن قال بخلق القرآن ويفسر ذلك بقوله: إن الكلام كالعلم

د. عبد المجيد علي التقاز

الفكر الفلسفي الإسلامي: النشأة والتطور

صفة حادثه⁽¹⁵⁾ وإجمالاً فإن الجعد بن درهم والجهم بن صفوان حاولا منذ عهد مبكر أن يفلسفا فكرة الإلوهية، وقامت فلسفتهما على أساس واضح من التوحيد والتنزيه. فجهدا في أن يبعدا عن الله كل ما يؤذن بالتعدد، وأنكر الصفات التي قد تفيد شيئاً غير الموصوف. وغلا الجهم في ذلك إلى حد أنه أنكر صفة الوجود؛ لأنها من صفات الحوادث، وهذا ولا شك غلو أدى إلى عكس المراد. ونزها معاً البارئ جل شأنه عن كل ما له شائبة الحدوث والتغيير.

ولا شك بأن هذه فلسفة جريئة لا تتلاءم مع حرية الإيمان في صدر الإسلام. فحمل السلف عليها حملة عنيفة، ورموا الرجلين بالكفر والزندقة ومهما يكن من أمر الجهم وزميله يعدان واضعي دعائم الفلسفة الإلهية في الإسلام قالوا بالأراء قدر لها ان تثير جدلاً طويلاً لدى المفكرين اللاحقين من متكلمين وفلاسفة.

الفرق الإسلامية:

أ- الخوارج: أول فرقة سياسية ودينية ظهرت في الإسلام⁽¹⁶⁾، وهم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه عقب حادثه التحكيم، ويسمون أيضاً "المحكمة" (أي الذين رفضوا التحكيم وقالوا لا حكم إلا الله)، والحرورية (لأنهم اجتمعوا بعد خروجهم على علي بمكان اسمه حروراء)⁽¹⁷⁾.

لقد ظهروا في أول الأمر كفرقة سياسية، ثم تطور شأنهم في أواسط الدولة الأموية فمزجوا آرائهم السياسية بأفكار دينية ونظريات لاهوتية، ولكنهم ظلوا مع ذلك مشتتين متنازعين يغلب فيهم جانب العمل والثورة على جانب النظر والتفكير.

لقد انتشر فريق منهم في عهد الأمويين بالعراق وفارس، وسيطر فريق آخر منهم على حضرموت واليمن والطائف، كما دخل المغرب العربي منهم فرقتان: الصفورية(*) والإباضية، ولا يزال أتباع هذه الفرقة الأخيرة موجودين في جنوب الجزائر إلى اليوم. لم يكن للخوارج نظريات أو تعاليم واحدة قارة، بل يصدرون جميعاً في آرائهم وأعمالهم عن منطلقين اثنين:

الأول يتعلق بالخلافة: ورأيهم فيها يمكن تلخيصه كما يلي:

- 1- ليس من الضروري أن تحصر الخلافة في قریش، وهم في هذا يخالفون أهل السنة وجمهور المسلمين الذين اشترطوا النسب القرشي في الخليفة، كما يخالفون الشيعة التي تحصر الخلافة في نسل علي.
 - 2- إن الخلافة في نظرهم تكون بالاختيار. والمقياس الوحيد لاختيار الخليفة هو صلاحه بغض النظر عن كونه قریشياً أو غير قریش، عربياً أو غير عربي.
 - 3- لا يجوز للخليفة، عندما يتم اختياره أن يتنازل عن الحكم، وعليه أن يتقيد تقيداً صارحاً بما أمر الله به وينتهي عن كل ما نهى عنه .
 - 4- إذا خرج الخليفة عن جادة الصواب وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله.
 - 5- ومن الخوارج من قال بعدم ضرورة نصب الخليفة، فيكفي أن يعمل كل مسلم من تلقاء نفسه بكتاب الله، ويطبق أوامر الدين ويتجنب نواهيه⁽¹⁸⁾.
- الثاني يتعلق بالإيمان:** وملخص رأى الأغلبية فهم "إن كل كبيرة كفر" وأن "الله يعذب أصحاب الكبائر عذاباً أليماً". ومعنى هذا أنهم يعتبرون العمل جزءاً من الإيمان: "فمن اعتقد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم لم يعمل بفروض الدين وارتكب الكبائر فهو كافر" في نظرهم، وهكذا فالصلاة والصيام والصدقة...إلخ، جزء من الإيمان، وكل من أنكر ذلك أو تهاون في التزامه فهو مرتكب للكبيرة، وبالتالي كافر - يجوز - بل يجب - قتله.
- ب- الشيعة:** عندما قامت الحرب بين علي رضي الله عنه وبين معاوية، ووقعت حادثة التحكيم، أنقسم أتباعه فريقين، الخوارج، وفريق آخر بقى مخلصاً لعلي ملازماً له وهم (الشيعة)، لقد نشأت الشيعة أول الأمر اتجاهاً عفويًا يعطف على علي إما لقرابته من الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وأما لاستقامته وحسن جهاده وسداد رأيه. ثم تطور هذا الاتجاه إلى حركة سياسية بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، لتصبح بعد حادثة التحكيم حركة سياسية فكرية دينية لها مبادئها وآرائها الخاصة في شؤون الدنيا والدين⁽¹⁹⁾. والفكر الشيعي قام على أسس ومبادئ، ومن أهمها:

1- الوصية: يرى الشيعة أن الإمامة - أو الخلافة - لا تكون بطريق الاختيار، وأنها ليست من الأمور التي تترك للشارع، بل هي ركن من أركان الدين وأصل من أصوله، وبناء على ذلك فهم يقولون أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أوصى لعلي بالخلافة من بعده وأن الذين بايعوا أبا بكر إنما فعلوا ذلك تجاهلاً أو جهلاً بالوصية أو غضباً متعمداً. والشيعة يعززون رأيهم هذا بحجج دينية، كما يعتقدون أن علياً أوصى لأبنائه وهؤلاء لأحفاده، وهكذا فكل أمام يوصي لمن يتولى الإمامة من بعده.

ومن الشيعة، من يقول (بالرجعة) أي رجوع الإمام بعد أن يكون قد اختفى أو مات فالوقت في نظرهم لا يخلوا من أمام، إما ظاهر يزاول مهمته، وإما مستتر إلى حين، ليظهر عندما تكون الظروف ملائمة.

2- التقية: ومعناها أنه يجوز للشيعة سواء كان إمام أو أحد الاتباع، أن يخفي عقيدته الشيعية إذا كان يخاف على نفسه من بطش الحكام، وبالتالي فهو يظهر خلاف ما يبطن. ومن هنا كانت التقية من العوامل الأساسية التي ضمننت للشيعة الاستمرار رغم جميع الزوابع والمحن التي تعرضوا لها خلال تاريخهم الطويل، كما يقول البعض، حيث كانت الحركة الشيعية حركة سرية يعمل أصحابها في الخفاء لنشر دعوتهم والإعداد للثورة.

3- العصمة: الإمام في نظر الشيعة معصوم من الأخطاء، فكل ما يقوله أو يفعله صواب؛ لأنه يرث سر النبوة عن أبائه وأجداده، ويعلم علم الظاهر وعلم الباطن ومنهم من يعتقد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد علم لعلي هذين النوعين من العلم: "فكان يعلم باطن القرآن وظاهره، وأطلعته على أسرار الكون وخفايا المغيبات، وكل أمام ورث هذه الثروة العلمية لمن بعده، وكل أمام يعلم الناس في وقته ما يستطيعون فهمه من أسرار، لذلك كان الإمام أكبر معلم"⁽²⁰⁾.

ومن الصعب تحديد مذهب واحد للشيعة، فهناك مذاهب متعددة يمكن حصرها في ثلاثة

رئيسية:

1- الزيدية: التي تقول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهذه الفرقة أقرب الفرق إلى السنة تحد عمل الله في الإمام بنوع من التأييد والتوجيه، وترفض القبول بوجود جزء من النور الإلهي في الإمام، كما أنها لا تقول بالرجعة أو الإمام المختفي.

2- غلاة الشيعة: وذهب بعض الفرق الشيعية إلى حد من التطرف جعلها تخرج عن الإسلام، فالغلاة لا يكتفون بالقول بعصمة علي، كما يقول الشهرستاني، بل زعموا انه قد جل "جزء إلهي واتحد بجسده، فيه وبه كان يعلم الغيب، وبه كان يحارب الكفار، وله النصر والظفر"⁽²¹⁾.

3- الإمامية: تختلف عن الخوارج والزيدية في نظرتها إلى الخلافة، ففيما يعتقد الخوارج أن الخلافة ليست من أركان الدين وليس المسلمون في حاجة إلى خليفة، تعتقد الإمامية أن الإمامة ركن من أركان الدين وأن الاعتقاد بالإمام جزء من الإيمان، وتعيين الإمام لا يعود إلى رأي الأمة واختيارها، بل هو تعيين صريح من النبي - صلى الله عليه وسلم- إلى علي رضي الله عنه وتعيين من علي لمن بعده. وهذه هي فكرة (الوصاية) التي تمثل عندهم دوراً مهماً⁽²²⁾. وقد انقسم كل مذهب من هذه المذاهب إلى فرق متعددة.

ج- المرجئة: المرجئة هم جماعة لم توافق الشيعة فيما ذهبت إليه، ولم تؤيد الخوارج فيما اعتقدوه، ولا ناصرت معاوية بشكل صريح، وإنما هم قوم التزموا الحياد؛ لأن الخلاف الذي قام بين الشيعة والخوارج والأمويين، خلاف فيه التباس وفيه غموض. وهم يرون أنه من غير الممكن تكفير هذا الفريق أو ذلك لأن الفرقاء كلهم يعلنون الإيمان، ويعلمون في دائرة الإسلام، وبالتالي فمن الصعب جداً - في نظرهم - تمييز المصيب من المخطئ. ولذلك أرجأوا أمرهم جميعاً إلى الله.

هذا عن الموقف السياسي الجماعة المرجئة، أما عن موقفهم الديني - الكلامي، فهو

مبنى على منطلقات أساسية ثلاثة:

المنطلق الأول: حقيقة الإيمان: يرى المرجئة إن الإيمان بالله هو المعرفة بالله وبرسله وبجميع ما جاء من عند الله فقط. أما الإقرار باللسان، والخضوع بالقلب، والعمل بالجوارح فليس من الإيمان، أي يعتبرون الإيمان مسألة اعتقاد ونية، لا مسألة تطبيق عملي، ولذلك فهم يؤخرون العمل عن النية⁽²³⁾.

ويقولهم هذا يخالفون الخوارج الذين يؤكدون أن الإيمان قول وعمل، اعتقاد وتطبيق. وكذلك يخالفون الشيعة الذين يعبرون الإمامة ركناً من أركان الدين، وبالتالي كان الاعتقاد في الإمامة والطاعة له جزءاً من الإيمان في نظرهم.

وكنتيجة لمفهوم الإيمان عندهم قالوا (بالرجاء)، حيث يقررون أنه: "لا تضرر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة".

المنطلق الثاني: "مرتكب الكبيرة" وتلك مسألة كان لها شأن عظيم في وقتهم؛ لأن كل فريق كان يتهم الفريق الآخر بارتكاب الكبائر، وأصبح الشغل الشاغل للفكر الإسلامي يومئذ هو حكم مرتكب الكبيرة، أكافر هو أم مؤمن؟ أيخلد في النار مثله مثل الكفار أم أنه سيكون له محمد آخر؟ فالمرجئة في هذا الشأن يرجع الأمر لله وليس من اختصاص الناس الحكم عليه فارجوا أمره الله، ولذلك سمو بالمرجئة وأما بالنسبة **لمنطلقهم الثالث:** هو ترتيبهم لعلي في الدرجة الرابعة من الخلفاء، لذلك يعني أنهم يقولون بأن الترتيب التاريخي للخلفاء الأربعة ترتيب صحيح، وهذا قول يخالف رأي الخوارج الذين أثبتوا إمامة أبي بكر وعمر وينكرون إمامة عثمان في السنوات الأخيرة من حكمه، ويعتبرونها إمامة غير شرعية، كما يعتبرون إمامة علي شرعية قبل التحكيم وغير شرعية بعد التحكيم والمرجئة يخالفون أيضاً، في هذه المسألة، رأي الشيعة الذين يعتبرون خلافة أبي بكر وعمر وعثمان إمامة باطلة غير شرعية ذلك كان مجمل آراء المرجئة، وهم كغيرهم من الفرق قد تفرعوا إلى فروع، غير أنهم لم يستمروا طويلاً، إذ سرعان ما امتزجوا بالفرق الأخرى بعد العصر الأموي، فذابوا فيها ولم يبق لهم أي كيان يذكر، غير أن كثيراً من آرائهم قد تبناها الأشاعرة من بعد⁽²⁴⁾.

علم الكلام: لا نجد في النصوص القديمة ذكراً لعلم قائم بذاته يطلق عليه اسم "علم الكلام" (25). ولكن الفكر الإسلامي قد سلك مسلكاً خاصاً وأصيلاً في نشأته وتطوره: فمن جدال القرآن لأهل الكتاب والمشركين، إلى تساؤلات المؤمنين التي فرضتها عليهم ما طرحه القرآن من مسائل ميتافيزيقية، وما ورد فيه من آيات متشابهات، إلى النزاع حول الخلافة والنقاش فيما تفرع عنها من مشاكل فكرية دينية كمشكلة الإيمان ومسألة مرتكب الكبيرة، أي البحث في مسألة الجبر والاختيار، والكلام في صفات الله وعلاقتها بذاته... كل ذلك يشكل حلقات متصلة مترابطة تشكل في مجموعها اللبنة الأساسية التي سيقوم عليها علم الكلام.

وعلم الكلام أو علم التوحيد أو علم أصول الدين، هو العلم الذي يعتمد على البراهين العقلية فيما يتعلق بالدفاع عن العقائد الإيمانية للدين الإسلامي، وإذا كان علم الفقه "هو العلم بالأحكام الشرعية العملية مبنى على الاجتهاد بالرأي فإن "علم الكلام" هو العلم الذي يبحث في ذات الله تعالى وصفاته وحقيقة المعاد مبني على النظر والتعقل. ومما لا شك فيه أن المتكلمين كانوا امام هجمات فلسفية من أديان مختلفة، وعقائد فلسفية متعددة ومذاهب شرقية منتشرة في البلاد التي فتحوها المسلمون.

ومما لا شك فيه أيضاً أن متكلمي الإسلام تكلموا في الميتافيزيقا أو المسائل الميتافيزيقية، ولكن دعاهم إلى هذا حاجات ملحة وأخطار كانت تهدد مجتمعهم، وأهمها ان يردوا الهجوم الذي قام به على الإسلام آباء المسيحية إبان ذلك الوقت إذن يمكننا اعتبار المتكلمين فئة مستقلة تستعمل العقل لفهم النص والدفاع عن العقيدة، تختلف عن المتصوفة الذين يبنون معرفتهم على الاختبار الداخلي والتجربة الدينية، والفلاسفة الذين تبنا مبادئ الفلسفة اليونانية ورأوا فيها كل الحقيقة، وكذلك عن الشيعة الذين يعتبرون أن الأساس الأول للمعرفة ليس في العقل ولا في النقل، بل في تعاليم الإمام المعصوم (26). وأخيراً فإن مصطلح "علم الكلام" لم يظهر واضحاً محدداً، إلا بعد أن أخذت أقوال هذه الفرق وما تفرع عنها أو قام على أنقاضها تدون وتكتب، ومن ثمة فإن علم الكلام بصفته علماً قائماً بذاته إنما نشأ مع المعتزلة والأشاعرة.

1- المعتزلة: لقد تضارب الأقوال حول نشأة المعتزلة، فهي فرقة اعتزلت السياسة وانصرفت إلى دراسة الدين والعلم، فيقول أبو الحسن الملقب عن نشأة المعتزلة: "أنهم أرباب الكلام، وأصحاب الجدل والتمييز، والنظر والاستنباط، والحجج على من خالفهم، وأنواع الكلام، والمفروقون بين علم السمع وعلم النقل...، سمو أنفسهم معتزلة: وذلك عندما بايع الحسن ابن علي عليه السلام معاوية، وسلم الأمر إليه، اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس، وذلك أنهم كانوا من أصحاب علي، ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا نشغل بالعلم والعبادة، فسموا بذلك معتزلة"⁽²⁷⁾.

غير أن الرواية الشائعة حول نشأة المعتزلة هي تلك التي ذكرها الشهرستاني والذي يقول: "دخل رجل على الحسن البصري، فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، وهم وعبيدة الخوارج وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟ فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافراً مطلقاً، بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن ولا كافراً، ثم قام واعتزل المجلس، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فسمى هو وأصحابه: معتزلة"⁽²⁸⁾.

إذن الاتجاه المعتزلي لم ينشأ اتجاهاً فلسفياً من أول الأمر، فلقد كانوا في بادئ أمرهم فرقة سياسية انصرفت عن السياسة وانشغلت بالعلم والدين، ثم أصبحت فرقة كلامية مهمة، لتغدوا أخيراً فرقة فلسفية إسلامية، كانت صلة الوصل بين الإسلام والفلسفة اليونانية التي سيجمل لواءها جماعة الفلاسفة المعروفين: الكندي، الفارابي، ابن سينا، ابن رشد وغيرهم.

الأصول الخمسة: يقال أن المعتزلة اختلفت فيما بينها إلى أكثر من عشرين فرقة⁽²⁹⁾، لكنها اجتمعت على أصول اتفقوا عليها وميزتهم عن غيرهم من الفرق وهذه الأصول الخمسة هي: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين والمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁽³⁰⁾. تلك كانت أصول المعتزلة الخمسة وقد أجمعوا عليها وتوجب على كل

واحد منهم أن يأخذ بها. لكنهم عند التطبيق راحوا يختلفون حول الفروع، حتى تشعبوا إلى أكثر من عشرين فرقة، أهمها:

1. الهذيلية: التي أنشأها أبو الهذيل العلاف (135هـ/751م - 235هـ/849م).

2. النظامية: أتباع إبراهيم النظام (160هـ/776م - 231هـ/876م).

3. الجاحظية: أتباع الجاحظ (159هـ/775-256هـ/872م).

4. الجبائية: أتباع الجبائي (235هـ/849م - 303هـ/917م).

المعتزلة يعتبرون أول مفكري الإسلام الذين حاولوا بناء مذهب فلسفي كامل مستقيل يشمل الإلهيات والطبيعات وعلوم النفس والأخلاق والسياسة.

2- الأشاعرة:

الأشاعرة نسبة إلى مؤسسها أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (260-324هـ) وهو من رجالات المعتزلة، التحق منذ صباه بالمعتزلة فدرس أصولهم على أشهر أئمتهم في ذلك العصر وهو الجبائي ولازمة حتى بلغ الأربعين، ثم ارتد عنه ليؤسس مذهباً جديداً هو المذهب الأشعري الذي كتب له الانتصار والانتشار في كثير من بقاع العالم الإسلامي.

مذهبه: لقد أراد أبو الحسن الأشعري أن يقف موقفاً وسطاً بين المعتزلة المتطرفين في استعمال العقل وتغليبهم على السمع والنقل، وبين أهل السنة المتشددين ضد العقل والمتبعين للنص ففي مذهبه نزعتان متناقضتان في الظاهر، متكاملتان في الحقيقة، أحدهما تحمله على التقرب من أصحاب المذاهب السنية، فلم يتعصب لأي منها على الأخرى، مما جعله يكسب عطف وصدقة الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية، لقد كان يرى ان هذه المذاهب لا يقوم بينها كبير اختل اف، فهي تتفق كلها في "الأصول" ولا تختلف إلا في "الفروع"، ومصدر الاختلاف بين أصحابها هو أنهم كلهم مجتهدون، فهو يقول: كل مجتهد مصيب وكلهم على حق وأنهم لا يختلفون في الأصول وإنما اختلافهم في الفروع⁽³¹⁾. وكأنه بذلك أراد أن يوحد صفوف أهل السنة ضد المعتزلة. ويقوم مذهب الأشعري على مبدئين أساسيين:⁽³²⁾

الأول: يتلخص في أن تغليب العقل على النقل للدفاع عن الدين، وهو ما فعلته المعتزلة لا يفضي إلى دعم الدين، بل أنه يؤدي في النهاية إلى نبذ الذين وجعل العقل يحمل محل الدين.

الثاني: يقوم على أن الإيمان بالغيب ركن أساسي من أركان الحياة الدينية، ومعلوم أن العقل لا يؤمن بذلك وإذا فإن اتباع العقل في هذا الباب يعني القضاء على مبدأ من مبادئ الدين الأساسية.

مذهب الكسب: يقبل الأشعري بقسمة الأفعال إلى اضطرارية واختيارية ويقول إن الإنسان يشعر بأن الحركات الإرادية تصدر عنه باختياره وأن له القدرة على القيام بها وعدم القيام. لكن القدرة في الإنسان شيء خارج عن الذات، زائد عليه؛ لأنها لو كانت ذاتية لما فارقت الإنسان، وهي تفارقه أحياناً؛ لأنه يقدر تارة على الشيء ويعجز عنه أخرى. وهذه القدرة غير خالقه للأفعال عند الإنسان، فلو كانت الأفعال الاختيارية من خلق الله والعبد معاً لجاز اجتماع مؤثرين في أثر واحد، وهذا محال.

وإذا كان الأمر كذلك، فما معنى التكليف، وكيف يجوز أن يعاقب الله الإنسان على أعمال لم يفعلها هو بنفسه؟

يجيب الأشعري على هذا السؤال بقوله: إن قدرة الإنسان، وإن لم تكن خالقه فهي كاسبية؛ لأن الكافر مثلاً لا يستطيع الإيمان لا لعجزه عنه عجزاً كلياً بل لتركه إياه واشتغاله بصدده. فالكسب نتيجة لتوجيه العبد إرادته شطر العمل المحمود، فإذا ما أراد الإنسان عمل الخير، خلق الله فيه القدرة على عمله واستحق الثواب، وإذا ما أراد الشر، خلق فيه الشر وعاقبه عليه. فالكسب عند الأشعري هو في مكان الخلق عند المعتزلة، والإرادة، عنده وعندهم، هي الشرط الأساسي للتبعية. "أفعال العباد الاختيارية تتعلق بها قدرة الله تعلق الإيجاد، وقدرة العبد، على وفق إرادته، تعلق كسب"⁽³³⁾. أي أن الأفعال مخلوقة من الله مكسوبة من العبد. هذه هي نظرية الكسب عن الأشعري، والتي يراه البعض بأنها لا تنسح لحرية الإرادة مجالاً، وتتعارض مع مبدأ المسؤولية، وما أشبهها بالجبر منها للاختبار، وقد أثارت الكثير من النقد والملاحظات لدى الباحثين.

الفكر الإسلامي المعاصر:

ان الفكر الإسلامي المعاصر أو الحديث هو محاولة وتجديد الفكر والخطاب الديني الإسلامي، وتحليل الظواهر الدينية بدراسة كل ما عرفته في تراثها الأصيل ومزجه بما هو حاصل في الواقع المعاصر، ومن ثم خلط ودمج الأصيل بالحديث، وبالمفاهيم الحدائثة العصرية، مواكبا للتطور الاجتماعي والتاريخي والنفسي والسياسي للعالم، والمجتمعات ككل، وفي نظر التيار المعتدل اخذ ما يصلح وينفع وبصلح في الواقع المعاش من تطورات وتغيرات في كل مناحي الحياة الإنسانية، وتأويل النصوص الدينية؛ بما يخدم هذا المفهوم حتى لا يقع تقوقع زمني داخل قويعات الماضي الرجعي، وحتى لا يحدث انجراف تام لكل ما هو غربي، بما في حضاراتهم من سلبيات وإيجابيات. أو نقول بعبارة أخرى إن الفكر الفلسفي الإسلامي المعاصر هو محاولة إحياء الفكر الديني من جديد، وإعادة بحثه من خلال دراسة التراث الإسلامي، ليتماشى مع معطيات الواقع، وذلك من أجل أن تكون الريادة لهذه الأمة بما تحمله من مكونات حسية ومادية ومعنوية.

يقول الدكتور محمد عمارة في كتابه أزمة الفكر الإسلامي المعاصر: "اليوم لا نغالي اذا قلنا إن إجماعا يكاد ينعقد على أن الفكر الإسلامي يعيش أزمة، وأن هذه الأزمة الفكرية قد أوقعت هذا الفكر في مأزق حضاري، فأهل الفكر بتياراتهم المختلفة يسلمون بذلك، مع اختلافهم في تحديد أسباب هذه الأزمة وفي تعيين سبل الخروج منها"⁽³⁴⁾.

فما هي إذا ابرز مظاهر الأزمة؟ والى أي حد نستطيع بناء وعي منهجي كفيلا بإيجاد حلول ناجعة لمعالجة أزمات الفكر الإسلامي المعاصر؟

ومن ابرز مظاهر الخلل نجد خلا في التعامل مع مصادر وأدوات الفكر الإسلامي، إذ يلاحظ انفصال في عناصر البنية المعرفية الإسلامية، مما أدى إلى الجمود والنقل، وعدم تجديد أدوات العمل، والتقيد بالحرفية في التعامل مع النص، وغياب التكامل المعرفي، وهو ما افرز أزمة في التعامل مع الأصول والتراث والواقع، وتتجلى بعض مظاهرها في القرآن والسنة، واعتبار هذه الأخيرة مصدرا ثانيا للتشريع في حين ان المصدر واحد والسنة بيان وتفسير⁽³⁵⁾ ينضاف إلى ذلك الخلل في فهم الواقع بالاعتماد على التصور

الذهني المجرد عن الواقع سواء تجريدا عقليا أو تجريدا روحيا، وعزلة النخبة المثقفة عن هموم العامة، والتشبث بالتقليد، واعتماد الواقع الغربي مثلا للنهوض والتقدم ومن مظاهر الخلل المنهجي في واقع الأمة: الخلل في تكوين الشخصية الإسلامية المعاصرة في الجانب العقلي أو الفكري، ويتمثل في الرؤية الكونية الكلية التي تحدد تصورات المسلمين عن الكون والحياة والإنسان، والجانب الآخر هو الجانب النفسي المتمثل في ضعف الإرادة والعجز عن المبادرة والافتقار إلى الجرأة والشجاعة.⁽³⁶⁾ وإذا كانت هذه الأزمات ذات طبيعة منهجية بالأساس فإن البحث في سبل معالجتها يفترض بالضرورة أن يكون منهجيا كذلك، وأول خطوة في بناء الوعي المنهجي هو التوعية بأهمية فهم المنهج وممارسته أي بناء التفكير والبحث والسلوك المنهجي إضافة إلى تعميق الوعي المنهجي ودعوة فئات الأمة عامة والقيادات الفكرية خاصة إلى التمكن من أدوات التفكير المنهجي والوعي بالإمكانات الغربية المتاحة ومراجعتها، والوعي أيضا بالتطبيق المنهجي وبصعوبات وكيفية تجاوزه، ومن ثمة الوصول إلى حالة من الوعي الكلي الذي تحكمه رؤية كلية للعالم وعند بناء وعي منهجي محكم سنتمكن من جعل المنهجية تقوم بوظائفها بشكل سليم، وهكذا يمكن تجديد النظر في أصول المعرفة الإسلامية وتراثها وواقعها من خلال استيعاب شامل لأدوات الفهم التي أنتجها علماء المسلمين الأوائل وإعادة أعمالها. وبالتالي إنتاج أدوات عمل جديدة للمعرفة في إطار التكامل بين علوم الوحي وعلوم العمران، والانسجام بين العقل والحس، وبالتالي تحقيق معادلة التكامل المعرفي التي ستحكمها منظومة القيم العليا كمبادئ كلية وحاكمة لهذه المعادلة، هي في حاجة إلى النظم المنهجي واستكمال تأصيلها ودعمها بمزيد الدراسات والأبحاث ونقلها من مجال الدعوة والموعظة إلى مجال التأسيس للعلوم الإنسانية والاجتماعية وتطبيقاتها⁽³⁷⁾.

إجمالا يمكن القول بأن مظاهر الأزمة في الفكر الإسلامي متعددة، وترجع في نهاية المطاف إلى إشكال منهجي حقيقي، لذا ينبغي تجاوز المنهجيات التقليدية التي عجزت عن حل عدد من القضايا الهامة للأمة، وركنت إلى الجمود والتقليد، كما يجب الحذر من المنهجيات الهدامة التي حاولن إرساء قطيعة مع أصول الدين وتراث الأمة التي مارسها

مفكرون معاصرون باسم العلمانية والحدائثة، إننا في حاجة إلى وعي منهجي يسدّد منهجيتنا في التفكير والتعامل الإيجابي مع مصادرنا وأدواتنا في سياق الرؤية الإسلامية الكونية، ومن ثم إلى التحرر من السلطة بكل أنواعها، سلطة الماضي وسلطة الموروث، فلا سلطان إلا للعقل، ولا سلطة إلا لضرورة الواقع الذي نعيش فيه، وتحرير وجداننا المعاصر من الخوف والرهبنة والطاعة للسلطة سواء كانت سلطة المقاليد أم السلطة السياسية.

الخاتمة: وفي ضوء ما تقدم يتضح أن الفكر الإسلامي قد سلك مسلكاً خاصاً وأصيلاً في نشأته وتطوره: فمن جدال القرآن لأهل الكتاب والمشرّكين، إلى تساؤلات المؤمنين التي فرضتها عليهم ما طرحه القرآن من مسائل ميتافيزيقية، وما ورد فيه من آيات متشابهات، إلى النزاع حول الخلافة والنقاش فيما تفرع عنها من مشاكل فكرية دينية كمشكلة الإيمان ومسألة مرتكب الكبيرة، إلى البحث في مسألة الجبر والاختيار، والكلام في صفات الله وعلاقتها بذاته ... كل ذلك يشكل حلقات متصلة مترابطة تشكل في مجموعها اللبنة الأساسية التي سيقوم عليها علم الكلام.

وإذا كان البعض يرى أن كل من تكلم في هذه المسائل التي أشرنا إليها سابقاً اسم "متكلم"، فإن مصطلح "علم الكلام" لم يظهر واضحاً محدداً، إلا بعد أن أخذت أقوال هذه الفرق وما تفرع عنها أو قام على أنقاضها، تدون وتكتب، ومن ثمة فإن علم الكلام بصفته علماً قائماً بذاته إنما نشأ مع المعتزلة والأشاعرة، والذي يشكل كل منها أكبر وأوسع تيار في الفكر الإسلامي السني في مقابل الفكر الشيعي.

كل هذا وأكثر يمثل اللبنة الأساسية للفكر الإسلامي، والذي يعد تراثاً فكرياً. وبالرغم من أن التراث أعطانا علوماً عقلية أربعة متميزة، هي الكلام والفلسفة والتصوف وأصول الفقه، إلا إن الغاية النهائية من محاولة تجديده هي توحيد العلوم كلها في علم واحد يكون مرادفاً للحضارة نفسها. فالعلوم كلها تحاول فهم الوحي وتحويله إلى نظرية كما هو الحال في الكلام والفلسفة أو إلي فهم كما هو الحال في الأصول والتصوف، ولكن الغاية النهائية هو تحويل الوحي ذاته إلى نظرية أو إلى علم أو إلى فهم أو إن شئنا إلى "منهاج".

الفكر الفلسفي الإسلامي: النشأة والتطور

- غير إنه لابد من الاعتراف بأن الفكر الإسلامي المعاصر يعيش أزمة، وهذه الأزمة أوقعت هذا الفكر في مأزق حضاري، يعيش تحديات كثيرة توجهه، منها:
- الاستشراق الذي يحاول إثارة الشكوك والشبهات حول طبيعة ومصادقية الفكر الإسلامي.
 - الغزو الفكري الذي ينفث سمومه المعارضة والمخالفة للفكر الإسلامي وسط الشباب الإسلامي.
 - غياب وقلة عدد المؤسسات التربوية الإسلامية التي تعمل على التوجيه الصحيح للفرد المسلم، بالرغم من وجود بعضها.
 - الادعاء والتشكيك في أن الشريعة الإسلامية غير صالحة لكل وقت وكل مكان، والتي تفودها العقول الغربية المناهضة للدين الإسلامي.
- ولكن بالرغم من ذلك، فإن الفكر الإسلامي له خصائص تجعله صامدا في وجه الأعداء، منها إنه:
- رباني ثابت، أي إنه من عند الله تعالى، لا يتغير لأن مصدره القرآن.
 - شامل، بمعنى أنه يشمل جميع متطلبات الحياة من اقتصاد وسياسة وفكر... الخ.
 - واقعي، متصل مع الواقع، حتى وإن تطرق إلى الظواهر الطبيعية الفلسفية، فإنه يناقشها بما يلاءم الواقع وليس بعيدا عن الواقعية.

الهوامش:

1. محمد عابد الجابري: من درس الفلسفة والفكر الإسلامي، ط1، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 2006، ص241.
2. مصطفى عبد الرزاق: تمهيد التاريخ الفلسفة الإسلامية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1959، ج2، ص101.
3. علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط2، دار المعارف، القاهرة، ج1، ص227.

4. مقالات الإسلاميين تحقيق محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1969، ج1، ص34.
5. علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، مرجع سابق، ص228.
6. أبو الحسن المظني، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، 2007، ص28.
7. علي سامي النشار، مرجع سابق، ص314.
8. علي سامي النشار، مرجع سابق، ص318.
9. المرجع نفسه، ص326.
10. الشهرستاني، الملل والنحل، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2008، ص69.
11. المرجع نفسه، ص69.
12. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ليدن 1876، ج5، ص104.
13. ابن نباتة، شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، القاهرة، 1861، ص76.
14. البغدادي، الفرق بين الفرق، القاهرة، 1910، ص199.
15. إبراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، 1983، ج2، ص28.
16. حنا الفاخوري، خليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، ط3، دار الجيل، بيروت، 1993، ص137.
17. الجابري: من دروس الفلسفة والفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص270.
(* نسب إلى زياد بن الأصغر مؤسس الفرقة، والإباضية نسبة إلى عبد الله بن أباض التميمي: زعيم الفرقة ومؤسسها.
18. المرجع نفسه، ص271.
19. الجابري، مرجع سابق، ص272.
20. أحمد أمين، فجر الإسلام، القاهرة، ط8، 1935، ص271.
21. حنا الفاخوري، خليل الجر، ص139.

22. المرجع نفسه، ص140.
23. مقالات الإسلاميين، مرجع سابق، ص213.
24. محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص276.
25. حنا الفاخوري، خليل الجر، مرجع سابق، ص170.
26. المرجع نفسه، ص171.
27. الملطي، مرجع سابق، ص40-41.
28. الشهرستاني، مرجع سابق، ص37-38.
29. الملطي، مرجع سابق، ص43.
30. المرجع نفسه، ص46.
31. حنا الفاخوري، خليل الجر، مرجع سابق، ص178.
32. الجابري، مرجع سابق، ص282.
33. حنا الفاخوري، خليل الجر، مرجع سابق، ص180.
34. محمد عمارة، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، دار الشرق الأوسط، القاهرة، 1990، ص31.
35. فتحي حسن ملكاوي، منهجية التكامل المعرفي في المنهجية الإسلامية، المعهد العالي للفكر الإسلامي. الرباط، طوب بريس، 2012، ص57.
36. المرجع نفسه، ص61.
37. المرجع نفسه، ص87.

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

أ. الطاهر الواعر علي الواعر

كلية التربية زوارة - جامعة الزاوية

مقدمة:

بعد بروز ظاهرة العولمة بما تعنيه من حرية تبادل السلع والبضائع والأموال وتقليص دور الدولة والحدود الوطنية، لم يعد لمنظمة الجات (GAAT) دور فعال ومؤهل للقيام بالمهمة التي تأسست بموجبها، بالرغم من أن الجات كان لها دور كبير في ازدهار المبادلات التجارية بين الدول من خلال انخفاض معدلات الرسوم الجمركية والسلع والبضائع .

وقد مثل تأسيس منظمة التجارة العالمية تطوراً حاسماً على الصعيد العالمي ترافق مع صعود الرأسمالية وتمثلاتها العالمية، حيث من المؤكد أن تلعب منظمة التجارة العالمية وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي دوراً هاماً في هذا التشكل، وقد أصبح صندوق النقد الدولي والبنك الدولي من أهم آليات العولمة الحديثة في استغلال ثروات الشعوب والسيطرة على الحكومات والدول الفقيرة والنامية، وتوجيه سياساتها الاقتصادية بما يخدم مصالح سياسات واقتصاد الدول الكبرى.

وعليه فإنه لا مفر أمام البلدان العربية إلا أن تتفهم هذه الأوضاع وتستوعب تحدياتها، وفي ذات الوقت يجب أن تستفيد من الفرص والإمكانات المتاحة.

منهجية الدراسة تتطلب عملية تناول آليات العولمة وانعكاساتها على المنطقة العربية، ويتمثل محور تركيز هذه الدراسة على الإجراءات والتدابير التي من شأنها أن تخفف من وطأة سيطرة الشركات متعددة الجنسية والمصارف الدولية والمنظمات التجارية العالمية والإقليمية على الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في البلدان العربية والذي يتم تحت غطاء حماية حقوق الانسان، والتحكم بسوق العمل الذي تسيره حسب احتياجاتها الأمر الذي أدى الى ارتفاع عدد البطالة من خلال أجهزتها القوية ونفوذها الواسع أما فيما يتعلق بفرضية هذه الدراسة، فإنها تتمثل في تطبيق السياسات الانفتاحية التي تفرضها

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

المؤسسات الاقتصادية على الدول العربية. الأمر الذي يدفع البلدان العربية الى تقوية اقتصادها واعطاء المزيد من الحرية في تشغيل الأفراد وتعزيز المبادلات التجارية فيما بينها. كما تتبنى هذه الدراسة أسلوب تحليل المضمون وذلك بقصد تسليط الضوء على آليات العولمة وانعكاساتها على المنطقة العربية ومن هنا تأتي الضرورة لبناء قاعدة اقتصادية متكاملة على رؤية قومية لمواجهة التحديات الاقتصادية التي تفرضها العولمة، وتمشياً مع الفرضية المثارة في هذه الدراسة، فإنه سيتم التعرض الى الآتي:

- العولمة ، نشأتها، أهدافها.

- آليات العولمة.

- مدى تأثير آليات العولمة على المنطقة العربية وسبل مواجهتها.

العولمة، نشأتها، أهدافها:

العولمة ظاهرة قديمة اتخذت أبعاداً جديدة واكتسبت مضامين حديثة، وقد ذاع استخدام مصطلح العولمة وانتشر على نطاق واسع منذ بداية القرن العشرين، وارتبطت بالمتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يشهدها العالم اليوم .

وقد شغل هذا الموضوع العلماء والمتقنين حيث ساهم في دراسته وتحليله باحثون في السياسة والاقتصاد والاجتماع وكذلك رجال الفكر والإعلام والثقافة.

من المعروف أن (العولمة) في اللغة على وزن (فوعلة) مشتق من كلمة العالم.

وقد أعدها البعض طفرة تكنولوجية، ومعلوماتية حديثة، ومرحلة تاريخية تتميز بالتقدم العلمي الهائل، فهي في نظر هؤلاء "إزالة الحواجز والمسافات بين الشعوب وبين الأوطان، وبين الثقافات بعضها وبعض، ويقترب الجميع من "سوق كونية" وثقافة كونية⁽¹⁾.

في حين يرى آخرون أن العولمة تحديتاً مفروضاً من أعلى يأخذ أشكالاً متعددة لحفظ برامج إصلاح هيكلي واقتصادي تقترحها أو تفرضها مؤسسات الإقراض الدولية (صندوق النقد الدولي، البنك الدولي)، ولا غرابة في أن دعوة كهذه ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية في أوساط المال والاقتصاد بهدف تحقيق اندماج كل المجتمعات في السوق

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

العالمية، فهي كما يقول ماسايا: "يتضمن إصلاح جوانب عدة الأولوية الممنوحة للصادرات في السوق الداخلية، المؤسسات العامة والانفتاح على الاستثمار الدولي، مع اتخاذ أسعار السوق العالمية كأسعار مرجعية، وإلغاء الدعم بمختلف أشكاله، وخفض حجم المصروفات على المدى البعيد على الصحة والتعليم⁽²⁾."

وللتمييز بين معاني العولمة يشير كتاب في مدح مذهب العولمة الى القاموسين الشهيرين (لاروس وروديير)، ويذكر أن القاموس الأول يضع تعريفاً للعولمة هكذا: "عمل من شأنه أن يصبح عالمياً وينتشر في العالم."

أما المونديالزم أي مذهب العولمة، فهو بحسب (لاروس) مذهب يتجه الى تحقيق الوحدة السياسية مثل مجتمع إنساني واحد.

بينما يحدده (روبير) كالتالي: مذهب كوني يتجه الى تأسيس وحدة المجتمع الإنساني. بكلمة أخرى: مذهب العولمة هو اختيار أيديولوجي مؤسس على قيمة اجتماعية ثقافية ومهمة للحياة والعالم وليس قانوناً طبيعياً لازماً لا مفر منه.

ومن ثم فالعولمة- في ضوء هذه المعطيات - لها عدة أوجه فضلاً عن أن كلمة عولمة ليست أبداً مذهباً عولمياً، لكن بين هؤلاء وهؤلاء: أي بين المتعولمين المقترسين والمتعولمين الحقيقيين لا بد من إختيار المعسكر وترجيح الإختيارات⁽³⁾.

ويؤكد برهان غليون على أن العولمة يمكن تلخيصها في كلمتين: كثافة انتقال المعلومات وسرعتها الى درجة أصبحنا نعيش في عالم واحد موحد أو كما قال: "كلوهان" صاحب أول ممارسة على العولمة هي قرية كونية، بما توحى كلمة القرية من علاقات قرابة وجوار ومحدودية في المكان والزمان، وكما هو الحال في القرية الصغيرة، فإن كل ما يحصل في بقعة ينتشر خبره في البقعة المجاورة، وكل ما يحدث في جزء يحدث في الجزء الآخر⁽⁴⁾.

ويرى محمد الأطرش بأن العولمة: تعني بشكل عام اندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات والتقانة ضمن اطار رأسمالية حرية الأسواق، وخضوع العالم لقوى السوق العالمية، مما يؤدي الى

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

اختراق الحدود القومية والى الانحسار الكبير في سيادة الدولة، وأن العنصر الأساسي في هذه الظاهرة هو الشركات الرأسمالية الضخمة متخطية قوميات⁽⁵⁾.

يبين محمد الجابري الفرق بين العولمة والعالمية حيث يرى بأن: العولمة شئ والعالمية شئ آخر.

- العالمية تفتح على العالم، على الثقافات الأخرى، واحتفاظ بالخلاف الأيديولوجي، أي أن العالمية تفتح على كل ما هو عالمي وكوني.

- أما العولمة، فهي نفي للآخر واحلال للإختراق الثقافي محل الصراع الأيديولوجي ويعتقد الباحث بأن الإختراق الثقافي يتم عن طريق السيطرة على الإدراك والتي تساعد على تنفيذ الصور السمعية والبصرية، وبالتالي سلب الوعي والهيمنة على الهوية الثقافية الفردية والجماعية، وبالسيطرة على الإدراك يتم تعطيل فاعلية العقل وتكييف المنطق والتنشويش على نظام القيم.

ويضيف بأن الهدف من ذلك: تكريس نوع معين من الإستهلاك لنوع معين من المعارف والسلع والبضائع ، معارف إشهارية تشكل مجموعها ما يمكن أن نطلق عليه "ثقافة الإختراق"⁽⁶⁾ ويرى فريق الإسلاميين أن هناك فرق كبير بين مضمون العالمية الذي جاء به الإسلام ومضمون العولمة الذي يدعو اليه الغرب والولايات المتحدة الامريكية لأن: الإسلام في عالميته يكون مشتملاً على العولمة في أسمى معانيها، لا عولمة الهيمنة والتبعية والأوربية والأمركة في أبشع صورها⁽⁷⁾ العولمة تهدف الى استخدام العنف الثقافي في إقصاء الخصم وقمعه والإحلال بدلاً منه، أما العالمية تظل هي طموح الإرتفاع الى كل ما هو إنساني واستخدامه الى ما هو خاص، وبينما تطرح العالمية أفكاراً إنسانية قد تقبل بالتبادل بين الثقافات حينما تتداخل أو تمتزج مع بعضها البعض، أما العولمة فإنها تسعى الى سلب الخصم إرادته وهويته وبالتالي نفيه من العالم.

وتقوم العالمية على اساس المساواة بين الناس في أصل الكرامة الإنسانية، وفي أصل التكليف والمسؤولية والمساواة العامة بين بني البشر، فالإسلام على سبيل المثال لا يلغي خصوصيات الشعوب، حيث أن الله تعالى قد جعلهم أمة واحدة وذلك كما جاء في قوله

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: 13) (8) .

أما العولمة فإنها فرض لهيمنة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية من الولايات المتحدة الأمريكية على العالم النامي وبالأخص العالم العربي والإسلامي، فالولايات المتحدة الأمريكية بتفوقها العلمي والتكنولوجي، وبقدرتها العسكرية الهائلة، وبإمكاناتها الإقتصادية، وبنظرتها الإستعلائية التي ترى فيها نفسها بأنها سيده العالم، لأنها لا تعني معاملة الند للند أو الأخ لأخيه، بل معاملة السادة للعبيد والمستكبرين للمستضعفين.

العولمة ظاهرة موضوعية صنعتها أوروبا وعمقتها الولايات المتحدة الأمريكية، وهي نتاج النظام الرأسمالي، وأبرزت تجلياتها الثورة العلمية والتكنولوجية.

من الواضح أن ظاهرة العولمة بدأ انطلاقها منذ أواخر القرن العشرين، وكان ذلك وثيق الصلة بالمتغيرات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية التي يشهدها العالم اليوم فقد أدى انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء المواجهة بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي، وانهيار سور برلين عام 1989م الى ظهور العولمة، بالإضافة الى ذلك شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين طفرة غير مسبوقة، وثورة في تكنولوجيا المعلومات، انعكست بعمق على حركة الإقتصاد واتحدت المعلوماتية والإتصالات الألكترونية لتسمح بتطور شبكات اتصال تتجاوز حدود الدول.

إن العولمة أول ما ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية، وإذا افترضنا أن الدعوة الى العولمة اذا صدرت من بلد أو جماعة فإنها تعني تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة وجعله يشمل الجميع.

وفي تتبعه للبعد التاريخي لكلمة العولمة يرى محمد الفرجاني الحصن: أن العولمة كما يرى كثير من الباحثين لم تكن ظاهرة طارئة ولا هي قطيعة ثورية مع الماضي القريب، فهي عملية تاريخية يمكن العودة بها الى أكثر من خمسة قرون مضت، ويمكن المقارنة بين عام 1492م الذي سقطت فيه غرناطة وتم طرد المسلمين من اسبانيا، وبداية اكتشاف العالم الجديد، وعام 1989م عام سقوط حائط برلين وتفكك منظومة أوروبا

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

الشرقية والاتحاد السوفيتي. إذن العولمة لم تكن ثورة أو قطيعة مع الماضي بقدر ما هي عودة الى تسارع واضح لتطورات سادت في القرن التاسع عشر بعد ركود قصير نسبياً في مسيرتها فيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية في القرن العشرين⁽⁹⁾.

العولمة ليست وليدة الثورة المعلوماتية فحسب، فهي أيضاً بسط السيطرة الشاملة والهيمنة الكاملة على جميع جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وذلك من خلال آلياتها المتعددة الشركات متعددة الجنسية وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية على جميع شعوب العالم وبالأخص دول العالم النامي، والعمل على دمجها في الأنماط الغربية والأمريكية وإذابة الهويات الثقافية لتلك الشعوب. ويرى البعض من أنصار العولمة أنها تمثل عملية ايجابية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والإبداع التكنولوجي، وتنوع المنتجات والتوسع في إتاحة وانتشار المعلومات والحرية الثقافية ومستويات أرقى للمعيشة في حين يرى البعض الآخر أنها تؤدي الى استمرار خضوع وتبعية الدول الفقيرة للدول الغنية، كما تسفر عن تدمير البيئة نتيجة سوء استغلال الموارد المتاحة، وينتهي الى توحيد الثقافات وأنماط الحياة اليومية وصهرها في نمط واحد لا هوية له، فضلاً عن تهديد السيادة الوطنية للدول والنظم الديمقراطية من خلال هيمنة القوى العالمية الجديدة.

آليات العولمة ومدى تأثيرها على المنطقة العربية:

- الإعلام:

إن ثورة المعلومات وما أفرزته من تطورات كبيرة زادت من أهمية الاعلام ليشمل العديد من مجالات الحياة إن لم يكن جميعها، ويؤكد "مارشال ماكلوهان": ان العالم أصبح قرية واحدة وهو ما يجعل مسؤولية الاعلام عالمية والأخبار تقرأ وتسمع وتشاهد في أنحاء العالم، وكذلك التثقيف والتعليم والإعلان والمشاركة الاعلامية متاحة للجميع، ما يعني عالمية وظائف الاعلام التي تتأكد يوماً بعد يوم عبر وسائل الاعلام الجديد التي اكتسبت سمات وخصائص جديدة في ثورة الإقناع والتأثير وسهولة التوجيه، وهو ما يؤكد أننا أمام

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

نمط جديد يختلف عن النمط المعهود للاعلام يختلف في تأثيره على الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية للمجتمعات وفي كافة المجالات⁽¹⁰⁾.

لقد تحول الاعلام الى قوة شاملة للدولة من خلال تطويعه لتكنولوجيا الاتصال واستخدامها على نطاق واسع، الأمر الذي ساهم في تغيير هيكله العلاقات الدولية وساهم بشكل كبير في تفاعلاتها في العالم، حيث يعد الاعلام ووسائله المختلفة من مقومات قوة الدولة المؤثرة في العلاقات الدولية، وقد استطاعت ثورة المعلومات خلق الظروف المواتية لهيمنة الأفكار والمعتقدات التي يرغب النظام الرأسمالي أن ينشرها على أكبر عدد ممكن من عقول سكان المعمورة، وذلك بهدف السيطرة التامة على أفكار ومعتقدات ومقدرات الآخرين⁽¹¹⁾.

إن التأثير الهائل في مجالات التقنية والمعلوماتية زادت الأمر تأزماً، حيث أصبحت قدرة على اختراق الخصوصيات الثقافية للشعوب وأشكال الوعي المختلفة، والعمل على إعادة تكيفها وفق أنماط محددة من نتاج المجتمعات الغربية الرأسمالية والتي لا تولي اعتباراً لقيم الثقافة الوطنية لمجتمعات دول العالم النامي، ولا تستجيب لواقع التنوع الثقافي وضرورته: فعولمة الاعلام والاتصال تشكل تهديداً للتعديدية الثقافية وعدواناً سافراً لمبدأ احترام الهويات الثقافية للشعوب المختلفة⁽¹²⁾.

منظمة التجارة العالمية (World Trade Organization):

بعد بروز ظاهرة العولمة بما تعنيه من حرية تبادل السلع والبضائع والأموال، وتقليص دور الدولة والحدود الوطنية، لم يعد لمنظمة الجات (GAAT) دور فعال ومؤهل للقيام بالمهمة التي أنشئت من أجلها بالرغم من أن الجات كان لها دور كبير في ازدهار المبادلات التجارية بين الدول من خلال انخفاض معدلات الرسوم الجمركية على السلع والبضائع. حيث مثل إنشاء منظمة التجارة العالمية عملية لإعادة تنظيم النظام التجاري العالمي تم بموجبها وضع نهاية لما كان يعرف بالجات، وقد تأسست منظمة التجارة العالمية ومقرها جينيف عام 1995م، وكان الهدف من إنشائها التخلص من الإنعزالية الاقتصادية، وتضم في عضويتها (141 دولة) عضواً وتعمل بمثابة الرقيب على نظام

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

التجارة متعددة الأطراف، وقد مثل تأسيس منظمة التجارة العالمية تطوراً حاسماً على الصعيد العالمي ترافق مع صعود الرأسمالية الليبرالية وتمثلاتها العالمية، وتعد منظمة التجارة العالمية محفلاً للتفاوض تشارك فيه حكومات الدول الأعضاء في وضع القواعد الحاكمة للتجارة الدولية، أما بشأن القرارات التي تصدر عنها فيتم اتخاذها بتوافق الآراء، وهي ما يعني أن أصغر دولة يمكن لها أن تعطل أي قرارات أو تدابير ترى أنها تتعارض مع مصالحها الوطنية، وبذلك فإن كل ما يصدر عنها هو بمثابة التعبير عن الإرادة الجماعية للحكومات التي هي عضواً فيها.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا النفوذ لا تتمتع به البلدان النامية في أي منظمة دولية أخرى غير منظمة التجارة العالمية التي لا تعتمد على أسلوب الأصوات المرجحة، ولا يوجد لها مجلس أمني حيث أن جميع الأعضاء فيها متساوون.

وقد جاء في البيان الوزاري الصادر في دورة أورغواي - مراكش عام 1994م: يمثل تأسيس منظمة التجارة العالمية (OMC بالفرنسية، WTO بالانجليزية) علاقة انطلاق عهد جديد من التعاون الإقتصادي العالمي، الذي يستجيب للرغبة العامة للعمل في كنف نظام تجاري متعدد الأطراف أكثر عدلاً وأكثر انفتاحاً على الربح ومن أجل رخاء سكان بلدانهم⁽¹³⁾ وتعتبر منظمة التجارة العالمية منتدى تجري فيه مناقشات الإتفاقيات التجارية العالمية، وهي: "أداة لتسوية النزاعات التجارية التي تنشأ بين الدول الأعضاء فيها، إضافة إلى ذلك إخضاع الدول الأعضاء من اتخاذ قرارات أو تدابير منفردة لتسوية الخلافات التي تنشأ بينها وإخضاعها لقواعد تنظيم التجارة وخاصة القوية منها وذلك من خلال مواقف واضحة من بعض الملفات الحساسة ومنها على سبيل المثال (قضية الموز)، كما تقوم بدور الحكم في المنازعات التجارية بين الدول الأعضاء فيها⁽¹⁴⁾.

وتعتمد في الوقت نفسه إلى استعراض السياسات التجارية التي ترسمها الحكومات الأعضاء، وهي محفل قانوني تتفاوض فيه الدول الأعضاء حول الإلتزامات القانونية التي تمتع بمقتضاها عن فرض الحواجز عن التجارة، وبذلك فإنها تختلف عن شقيقاتها

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

صندوق النقد والبنك الدوليين التي يتم فرضها بناءً على شروط تتعلق بإصلاح هيكلية أو اقتصادي معين.

أما بشأن العلاقة بين منظمة التجارة العالمية والعولمة، فلا شك من أن هناك علاقة بينهما، حيث أن: "المنظمة ليست إلا نظاماً قانونياً يتكون من مجموعة من الإتفاقيات الرامية الى تحرير التجارة الدولية في مجال السلع والخدمات، الهدف منها إدارة العلاقات التجارية في العالم، وتشجيع حرية تبادل الخبرات والسلع، والعمل على احترام الإتفاقيات التي يتم الوصول إليها. وقد جعل من سرعة تحرير التجارة شرط مساعدتها للبلدان التي تواجه أزمة تشعر أنه ليس أمامها من خيار غير الخضوع لشروط صندوق النقد الدولي، بغض النظر عن الآثار السلبية وأحوال وظروف تلك البلدان، ويدور جدال حول مدى تأثير العولمة القانونية التي تجسدها منظمة التجارة العالمية، وبسبب ما تمثله منظمة التجارة العالمية كوسيلة لفتح الأسواق وأحد عوامل الأمن الإقتصادي بالنسبة للبعض، ونظام قسري بالنسبة للسيادة الإقتصادية للدول وتهديداً لبعض أشكال التنمية بالنسبة للآخرين، فإنها تقع في قلب المناقشات المتعلقة بإقامة نظام متعدد الأطراف المبادلات في القرن الحادي والعشرين⁽¹⁵⁾ ويرى البعض أن منظمة التجارة العالمية سوف تلعب مع شقيقتها (صندوق النقد الدولي والبنك الدولي) دوراً هاماً في هذا التشكل، وبذلك فإنه لا مفر أمام الدول النامية أو المتطلعة الى تحقيق رؤية بديلة لمستقبل العالم من تفهم هذه الأوضاع، وأن تستوعب تحدياتها في ذات الوقت الذي تستفيد فيه من الفرص والإمكانات المتاحة. إلا أن البعض الآخر يرى أن المنظمة فشلت في مسائل مثل مكافحة تهمة الدول الأقل تقدماً، كما أنها باتت تسهر على خدمة الدول الغنية والمتقدمة مثل سابقها منظمة الجات. وقد دفع القلق الذي ظهر لدى الدول النامية الى جانب مظاهر القلق وعدم الرضى عند: "بعض أوساط الرأي العام لدى النواب الأوروبيين والامريكيين للمناداة بمزيد من الشفافية في المنظمة، والمطالبة بانفتاح المنظمة بشكل أكبر على المجتمع المدني، بهدف إقناع المواطنين بالظروف التي تسعى منظمة التجارة الدولية فيها جاهدة لتأطير مسار العولمة الإقتصادية من خلال القواعد التنظيمية التي تضعها لها⁽¹⁶⁾.

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

وتسعى العولمة الإقتصادية على إدخال جميع الدول الى عضوية منظمة التجارة العالمية (WTO) الى أن تصبح أغلب مناطق العالم جزءاً من أسواقها لكي يتم دخول منتجاتها بسهولة والقضاء على المنتجات المحلية التي لا تستطيع منافسة منتجاتها نظراً للجودة والتكلفة وقوة رأس المال.

- الشركات متعددة الجنسية: Internationalization of Production:

الى جانب المؤسسات الدولية الكبرى صندوق النقد والبنك الدوليين ومنظمة التجارة العالمية، تلعب الشركات متعددة الجنسية دوراً بارزاً في تحقيق أهداف العولمة، لأنها المستفيدة منها والمتمتعة بخيراتها، وتسعى هذه الشركات الى الدعم الكامل لعملية العولمة، واستخدام الأساليب العلمية المبتكرة والمتطورة من أجل تحقيق أهداف العولمة.

لقد أسهمت في: "إحداث تغييرات كبيرة من أجل إنجاح العولمة من بينها زيادة معاملات التصدير والإستيراد من والى تلك السوق، وزيادة الإعتماد المتبادل بين المشروع والسوق الدولية، مقترنة بانفتاح المشروعات الواسع والمتزايد على الأسواق العالمية من أجل الحصول على مستلزمات الإنتاج أو من أجل التصدير. وقد صاحب ذلك الحصول على الكوادر البشرية وروؤس الأموال والتقنية من أسواق العالم⁽¹⁷⁾.

وتعد الشركات متعددة الجنسية: "أحد إفرازات النظام الرأسمالي والسمة الأساسية المميزة لعولمة رأس المال، وقد جاءت نتيجة حتمية لتطور العلاقات الرأسمالية وتفاقم تناقضاتها وحلاً لأزماتها، فقد فرض الركض وراء الأرباح على الإنترنت البضائعي البسيط والموسع، المنافسة بين أصحاب رأس المال، وتطور ذلك الى بناء الأسس القانونية لها تحت شعار المنافسة الحرة وقواعد ادارتها، ليس فقط في مجال البيع والشراء وتحديد الأسعار، بل استغلال العمال واعتماد القيمة الزائدة وتطوير قوى الانتاج، بما يعزز المراكز المالية لأصحاب رأس المال ويزيد من تراكمها بما يساعد على تطوير وسائل الإنتاج⁽¹⁸⁾.

وهكذا فأحد مظاهر العولمة هو: عولمة النشاط الصناعي، فبدلاً من تركيز الإنتاج في دولة واحدة، فإن الشركات العالمية تستخدم مصانع انتاجية في الخارج إما كفروع أو

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

توابع لها، وإما تتعامل مع مصانع انتاجية مستقلة في دول أخرى من خلال التعاقد من الباطن معها. وتشير الإحصاءات الى أنه يوجد حالياً ما يقارب من (34000 شركة) لها حوالي (279000 فرع) منتشرة في كافة أنحاء العالم⁽¹⁹⁾.

وقد صاحب زيادة اندماج وتكامل الأسواق العالمية تفكك في عملية الإنتاج الصناعي حيث يتم دمج بعض الأنشطة الصناعية والخدمات التي تتم في الخارج مع بعض الأنشطة التي تتم في الداخل، وبالتالي تجد الشركات أنه من الأرجح لها نقل بعض مراحل العملية الإنتاجية الى الخارج مما يسبب في تفكك عملية التكامل للعملية الإنتاجية: "لقد أدت تلك الحركة الدائرية للنظام الرأسمالي الى إنشاء الشركات المختلفة التي طورت نفسها حسب مقتضيات السوق العالمية، فبرزت الشركات العملاقة التي اشتركت في الهيمنة على تلك السوق، ولم يقتصر دور الشركات على الجانب الإقتصادي من حيث زيادة الإنتاج والتبادل التجاري، وما أصبح يعرف في أدبيات الإقتصاد العالمي بالإعتماد المتبادل، بل تعدى ذلك الى التأثير السياسي والعسكري، وتقليص دور الحكومات والدول في تسيير شؤونها، مما أدى الى التمرکز الإنتاجي الذي يسد على الدول النامية منافذ الدخول الى الأسواق العالمية⁽²⁰⁾. وتجدر الإشارة الى أن: "خمس دول صناعية وهي الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا ومانيا واليابان، تتمركز فيها (172 شركة) من أصل (200 شركة) من أكبر الشركات العالمية، وفي دراسة أجريت عام 1980م تبين أن مبيعات أكبر عشر شركات من الشركات متعددة الجنسية، بلغت (28 مليار دولار) بمعنى أن هذا المبلغ يوازي الإنتاج القومي لأكثر من (50 دولة) من الدول النامية⁽²¹⁾."

وبما أن الإنسان هو وسيلة التنمية وهدفها كما يقول علماء الاجتماع والسياسيون وغيرهم، لذا يجب أن تسخر من أجله كافة إمكانيات الدولة، إلا أن ذلك مستبعداً الآن في ظل عولمة الإقتصاد وتحكم العديد من الشركات متعددة الجنسيات في أغلب شؤون دول العالم، وفي هذا الشأن يقول (بسكايان): "أصبحت الدولة في العالم الثالث أداة في خدمة الشركات متعددة الجنسيات، وهي في إطار التشكيلات الإجتماعية لم تعد تهتم كما كان الحال منذ عشرين عاماً مضت بمشاكل التنمية، ولا تبحث عن وسائل لتحسين الخدمات

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

العامّة، لقد أصبحت الدول النامية بما فيها الأقطار العربية، تسعى لمرحلة الهوس باقتصاد السوق ، فتحدد دورها في ثلاث وظائف رئيسية وهي:

- 1- خلق بنية تحتية تسهل أنشطة الشركات متعددة الجنسية.
- 2- أن تتبنى سياسة نقدية وميزانية من أجل الإستقرار الماكر واقتصادي بشكل لا يزعج فوائد البنوك والشركات العابرة للقوميات.

3 - أن تقوم بقمع مطالب الجماهير العاملة وما ينتج عن ذلك من بطالة ونشر يد وانخفاض في الأجور... وأن تخلق مناخات تساعد على جذب رؤوس الأموال الأجنبية، وقادة هذه البلاد العائدون الى وضع الكومبرادور لم يعودوا للحديث عن تحسين شروط المعيشة للجماهير الشعبية⁽²²⁾.

وتسعى العولمة الإقتصادية على دعم الشركات متعددة الجنسية من خلال تسهيل مهمتها سياسياً واقتصادياً ومالياً من أجل السيطرة على الأسواق العالمية، والسعي لتوجيه المجتمعات بضرورة التوحد النوعي من خلال استخدام نفس المنتجات المستخدمة في الغرب. ويرى (هانس بيترمارتين وهارالد شومان): "أن الشركات متعددة الجنسية تقترس الإنتاج والخدمات والناس والأنظمة عبر القارات وهي تشغل 7% من التشغيل العلمي وتؤدي ضرائب بنسبة 9% من التجارة الدولية وهكذا فإنها تجني المكاسب والمغانم وتتجنب المغارم والخسائر⁽²³⁾ إن الشركات متعددة الجنسية التي هي إحدى مؤسسات وأدوات العولمة: "لا تهتم اليوم بالمنشأ الذي يتم فيه تصنيع السلعة، والذي كان من علامات الجودة وعدمها قبل بروز ظاهرة العولمة، والمهم هو تصنيع السلعة بالشكل الذي يؤمن للشركات شيئين أساسيين:

- أ- أن يتم تصنيع المنتج بأقل تكاليف وأكثر وحدات.
- ب - أن تفتح المزيد من الأسواق لزيادة عدد المستهلكين الذين يقبلون على استهلاك ذلك المنتج.

وبذلك تحصل الشركات على الربح السريع، الأمر الذي يؤدي الى تراكم رأس المال لدى تلك الشركات، أما الدولة الوطنية التي يكون الإستثمار على أراضيها، فإنها في

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

أحوال عديدة لم تتخيل ما يحدث لاقتصادها في حال انسحاب رأس المال بشكل مفاجئ، وذلك كما حصل في المكسيك عام 1994م وبلدان جنوب شرق آسيا عام 1997م حيث انهارت أسواقها بالكامل، الأمر الذي أدى الى تدخل صندوق النقد الدولي بتوجيه بعض الدول الغنية الى تقديم السيولة المطلوبة لإنقاذ المؤسسات المنهارة من أزمتها⁽²⁴⁾.

وتعمل الشركات متعددة الجنسية بدعم من الدول الغربية والولايات المتحدة على إيجاد فرص الإستثمار وحرية الإنتقال لرؤوس الأموال والسلع والخدمات في العالم ويرى أحمد ثابت: "أن الدول القومية في المجتمعات الصناعية المتقدمة والكبرى في الشمال، أضحت تعمل كوكيل من الشركات متعددة الجنسية، وأصبح كبار المسؤولين في الشمال يضاعفون من دورهم كممثلين لصالح هذه الشركات بل ويحملون عقوداً تجارية كبرى لهذه الشركات، سواء كانت مسجلة في دولتهم أو تمارس أنشطتها في بلادهم في زيارتهم لبلدان العالم الثالث ومن ضمنها دولنا العربية، ولعل أبرز مثال يقفز الى الأذهان هنا هو ذلك التسابق المحموم بين كبار مسؤولي حكومات الدول الامريكية والفرنسية والبريطانية واليابانية على إعادة إعمار الكويت عقب حرب الخليج الثانية⁽²⁵⁾.

وتلعب الشركات متعددة الجنسية والمصارف الدولية والمنظمات التجارية العالمية والإقليمية دوراً بارزاً في تشكيل السياق السياسي والإقتصادي والإجتماعي الذي يتم في إطار حماية حقوق الإنسان، حيث أنها لا تحقق في الغالب مطالب حركة حقوق الإنسان في خلق حقوق أكبر وتحقيق العدالة والمساواة بين المجتمعات، بالإضافة الى ذلك فإن ما يبرز أحد تناقضات العولمة أن أغلب القرارات المهمة التي تعود بالفائدة على الأفراد والجماعات في مختلف البلدان تقوم باتخاذها شركات عالمية كبرى ومنظمات ومؤسسات مالية ودولية خارج نطاق الدولة الوطنية.

- **مؤسسات الإقراض الدولية:** تعتبر هذه المؤسسات من ضمن المؤسسات الدولية التي تتحكم في اقتصاد العالم حيث تلعب دوراً بارزاً في تحديد برامج اقتصاديات العالم الكبرى، والتي من أبرزها منظمة التجارة العالمية، ومنظمة التعاون الإقتصادي والتنمية، وبنك تسوية المنازعات الدولية، ومجموعة الدول الصناعية السبع.

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

والجدير بالذكر أن أكبر هذه المؤسسات العالمية نتيجة للنشاط العالمي والعضوية شبه الدولية هما:

- صندوق النقد الدولي: (International Monetary Fund): تأسس صندوق النقد الدولي في واشنطن عام 1945م وهو مؤسسة عمومية تدير اقتصاد العالم، وتعمل بالأموال التي يقدمها دافعوا الضرائب في كل بلدان العالم، ويقوم على تقديم السيولة للبلدان التي تواجه مصاعب اقتصادية، إضافة لذلك يقوم بالعمل على استقرار العملات الوطنية وتصحيح الخلل في موازين المدفوعات. ويعمل صندوق النقد والبنك الدوليين تحت هيمنة وسيطرة الولايات المتحدة الأمريكية التي أوجدتهما لخدمة أغراضها وتحقيق مصالحها الاقتصادية في العالم، حيث أصبح صندوق النقد الدولي من ضمن آليات العولمة الحديثة في الهيمنة والسيطرة على ثروات شعوب الدول النامية والفقيرة، وتوجيه سياساتها الاقتصادية والاجتماعية بما يخدم مصالح الدول الغربية عامة والولايات المتحدة الأمريكية خاصة، ونظراً لما تقدمه المؤسسات المالية العالمية من تسهيلات لإحكام سيطرة الدول المتقدمة على المجالات الاقتصادية والسياسية في البلدان النامية، فقد أصبحت تلك المؤسسات أدوات فاعلة في نظام العولمة على الطريقة الأمريكية، والتي يقول أحد أقطابها: على المرء أن يعتبر الشبكة العالمية للمنظمات المتخصصة والمؤسسات المالية الدولية بالتحديد، جزءاً من النظام الأمريكي، يمكن مثلاً القول بأن صندوق النقد الدولي (IMF) والبنك الدولي (WB) يمثلان المصالح العالمية وأن العالم كله يعتبر مساحة لعملهما، إلا أنهما في الواقع خاضعان بشدة للسيطرة الأمريكية... وهكذا تكون السيادة الأمريكية قد انتجت نظاماً دولياً جديداً لا يكتفي بإنتاج نماذج مكررة في الخارج عن ملامح النظام الأمريكي نفسه، بل يسعى إلى تأسيس تلك الملامح هناك، فتصبح بذلك هذه المؤسسات اليد الاقتصادية الطولى والقوية للولايات المتحدة الأمريكية⁽²⁶⁾.

وقد ساهم صندوق النقد الدولي في دعم اتجاهات العولمة وفي تحقيق المزيد من الحوافز على الإدماج في تيار عولمة الاقتصاد وذلك من خلال وظائفه .

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

يرى الدكتور يحي زلوم بأن: هناك مؤسسات قائمة لخدمة العولمة، وتعمل لها وتشرف على تحول الإقتصاد في العالم الى اقتصاد العولمة من خلال المؤسسات العاملة على هذا الأمر وهي:

- أن صندوق النقد الدولي بمثابة خطة أمان وحماية للممولين الدوليين.
- أن الوظيفة الأساسية للبنك الدولي تتلخص في خلق الطلب والمجالات. لتشغل الأموال المكدسة للممولين وتصب غالباً على مشاريع البنية التحتية العالمية، وكثيراً ما يتم إعادة بيع تلك المشاريع الى الممولين الدوليين بأسعار بخسة وبأقل من الكلفة حينما تتعثر الدولة المقترضة عن تسديد ديونها كما حصل في المكسيك مثلاً وكما يجري في بلدان عدة تحت إسم الخصخصة، وكما حصل مع مؤسسة الإتصالات الاردنية حيث بيع جزء منها الى شركة تليكوم الفرنسية كجزء من شراء الدين الأردني لفرنسا⁽²⁷⁾.

- **البنك الدولي (Bank World):** وهو مؤسسة مالية دولية تأسست بموجب إتفاقية (بريتون وودز) بالولايات المتحدة التي وقعت عام 1944م، وقام البنك بممارسة أعماله في واشنطن عام 1946 ثم تم ربطه بالأمم المتحدة بوصفه وكالة متخصصة عام 1947م، وكان الهدف من تأسيسه هو مساعدة البلدان النامية في الرفع من مستوى معيشة شعوبها وتنمية اقتصادها، كما جاء تلبية لحاجة ملحة الى رأس المال لتمويل أعمال إعادة بناء وتعمير مدمرتة الحرب العالمية الثانية. هذا وتجدر الإشارة الى أن: "البنك أعطى حق فتح أو ضمان القروض التي تقدم لمشروعات تعمل على تحقيق أغراضه. بالإضافة الى وظيفة البنك المتعلقة بعمليات و ضمان القروض، فإنه يقوم بالعديد من الوظائف من أهمها-

أ- تقديم المعونة الفنية للدول الأعضاء ذات الإقتصادات المتخلفة قبل تحدي أسبقية المشروعات والتدابير الإدارية والتنظيمية لتنفيذ المشروعات ووسائل تمويل نفقاتها المحلية

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

ب- تشجيع الإستثمار الخاص لتحقيق نمو وتوسيع القطاع الخاص وبما يساعد على ايجاد قدرة على تشجيع المدخرات بطريقة انتاجية، وجذب رؤوس أموال إضافية ورجال أعمال الى مجالات النشاط الإقتصادي لدعم مسيرة التنمية.

ج - العمل على إنهاء المنازعات المالية بين الدول الأعضاء، وتدريب المتخصصين في هذه الدول على إدارة التنمية.

د - المساعدة في تحقيق التقدم الإقتصادي، ورفع مستوى المعيشة من خلال توجيه الموارد المالية من الدول المتقدمة إقتصادياً الى الدول النامية⁽²⁸⁾.

وقد كان للمؤسسات الإقتصادية دوراً بارزاً في جعل العديد من البلدان النامية القيام بتطبيق سياسة إنفتاحية وذلك: "بإتاحة الفرصة لجدولة الديون والإقراض من المؤسسات المالية العالمية وجذب الإستثمارات الأجنبية إليها، وقد أكدت التجارب السابقة بأن القروض والإعانات والمساعدات كان لها دوراً سلبياً كبيراً في تعميق التبعية السياسية والإقتصادية وتكلفة إجتماعية كبيرة، حيث تفرض إرادة المانحين وسياساتهم من خلال الشروط المجحفة حول إدارة الإقتصاد المحلي وتغيير أنماط التنمية، والتخلي عن بعض الأهداف الإجتماعية مثل، الرعاية الإجتماعية ودعم السلع الأساسية التي يحتاجها المواطن، وتوفير مواطن شغل لأصحاب الشهادات والعاطلين عن العمل، وعلى المستوى الداخلي فإن الإعتماد على العون الخارجي يشجع الإسترخاء والإتكالية ويحبط جهود العمال المحليين، ويزيد الكلفة الإجتماعية وبالإضافة الى ذلك فهو يعمل على زيادة الضغوط والتدخلات، وكثيراً ما يساهم في عرقلة عمليات التكامل القومي⁽²⁹⁾.

في الواقع أن هذه المؤسسات تقع تحت هيمنة الدول الصناعية الأكثر تقدماً وثراءً، وكذلك المصالح التجارية والمالية الخاصة بها، لذلك نجد أن توجهاتها تعكس هذه الوضعية، حيث نجد أن على رأس هذه المؤسسات ممثلي الدول الصناعية الكبرى، وأن قياداتها يتم اختيارهم في جلسة مغلقة وبذلك فإنها لا تمثل الدول التي من المفترض أن تقوم على خدمتها وتقدم لها المساعدات التي هي بحاجة إليها، بل يعكس مشاغل ومصالح رجال الأعمال الراغبين في رؤية أسواق جديدة تفتح أمام منتجاتهم كما أن قرارات كل

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

المؤسسات الدولية تعكس بالطبع وجهات نظر ومصالح أصحابها، وبالرغم من أن صندوق النقد والبنك الدوليين ومنظمة التجارة العالمية هي الأقوى نفوذاً، فإن الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة تشكل مجموعة بديلة من المؤسسات العالمية تستخدم لمعالجة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية للبلدان النامية، إلا أن منظمة التجارة العالمية ومؤسسات (بريتون وودز) التي تقع تحت هيمنة البلدان الصناعية الشمالية الغنية وتعمل على ترسيخ الليبرالية المتوحشة أصبحت المسيطر والأكثر قوة ونفوذاً في العالم اليوم . ويرى البعض أن: "الكثافة الحالية في التجارة العالمية والاستثمار الأجنبي على أنها طور جديد للهيمنة الغربية، حيث أصبحت الحكومات الوطنية أدوات لرأس المال الإحتكاري، وتهميش إقتصاد العديد من البلدان النامية، نظراً لتدفق الإستثمار والتجارة داخل الشمال الغني واستبعاد الأغلبية من بلدان العالم⁽³⁰⁾.

ويبدو أن صندوق النقد والبنك الدوليين يعملان بانسجام من أجل جعل الدول ذات الدخل المتدني تعتمد كلياً على النظام العالمي، وعلى هذا النحو فإن هذه الدول تضطر الى فتح أبوابها إقتصادياً أمام النمط الإستعماري الحديث المتمثل في الشركات الكبرى والمتعددة الجنسية. وتشير التقارير الدولية في هذا المجال الى أن: "هناك (200) شركة كبرى تقرر مصير العالم الإقتصادي من أصل ما يقارب (500) شركة كبرى تسيطر على التجارة والإنتاج الدوليين في جميع أنحاء العالم⁽³¹⁾.

مدى تأثير آليات العولمة على المنطقة العربية وسبل مواجهتها:

يعتقد أنصار العولمة بأنها مفيدة للمجتمعات وسوف تساهم في تقدم ورقي البلدان الأقل نمواً، وذلك من خلال اقتصاد السوق الحر والتطور التكنولوجي والتدفق المعلوماتي والمعرفي الهائل، إلا أن ذلك سوف لن يتم بسهولة نتيجة انعكاساتها على الدول الفقيرة التي تسعى الى تحقيق مستوى أفضل من العيش الكريم، حيث أن العولمة لا تعني بالضرورة شيوع الازدهار والرخاء لدى سائر شعوب العالم بفئاتها المختلفة وبشكل تلقائي، نظراً لأن مقتضيات العولمة وقوع تحول اقتصادي لصالح اقتصاديات ونظام السوق الذي يتزايد مع نفاذ سياسات الاصلاح الاقتصادي والتكليف الهيكلي المصحوب

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

بتقليص الانفاق العام في المجالات الحيوية الأساسية وذلك تبعاً للشروط التي تفرضها مؤسسات الإقراض الدولية (البنك الدولي وصندوق النقد الدولي) بصفة خاصة، الأمر الذي سيؤدي عملياً إلى استبعاد فئات معينة من القوى الاجتماعية من هيكل الإنتاج وتراجع مكتسباتها الاجتماعية.

في ظل العولمة وبسبب انتشار تكنولوجيا الاتصال والمعلوماتية وفرت مئات القنوات المرئية والمحطات الإذاعية وعشرات الصحف والمجلات المحلية والدولية، فضلاً عما توفره وسائل الاتصال الأحدث والمرتبطة بالمعلوماتية وما يروج له الغرب من حقوق الإنسان والديمقراطية ومطالبة المنظمات الدولية الهدف منه فتح الطريق أمام المؤسسات الإعلامية الغربية لسيطرتها على المتلقي العربي بمختلف مستوياته، وتحقيق المزيد من الأرباح والهيمنة الأمريكية على العالم وذلك باستحواذها على النصيب الأكبر من الإنتاج العالمي، كما أن حديث المنظمات الدولية عن حقوق الإنسان وحرية التعبير الهدف منه خدمة اجندتها فقط، من هنا فإن أبعاد عولمة الاعلام هو: تنظيم الأرباح للشركات متعددة الجنسية التي تعمل في مجالات إنتاج وسائل الاعلام والاتصال والمعلومات وإنتاج المضامين الإعلامية المختلفة، فضلاً عن صناعة الاعلام والترويج وبيع خدمات الاعلام والمعلومات⁽³²⁾.

وقد جند الغرب والولايات المتحدة الأمريكية الكثير من خيراها الاعلام والدعاية والحملات الإعلامية ضد الرافضين لسياساتهم المهيمنة والعدائية لتحطيم الروح المعنوية والتأثير فيهم، ولا ينحصر تأثير الاعلام بأمر الحرب والسلام فحسب بل تشمل كل المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، حيث نجد أن كل شئ في العالم اليوم خاضع للإعلام، وعلى سبيل المثال أن مسلسلاً واحداً تعرضه وسائل الاعلام خاصة المرئية منها له التأثير الكبير من أي منبر إعلامي آخر كالمؤسسة التعليمية مثلاً ولا جدال في أن أخطر أنواع الإحتكار الإعلامي هو: ذلك الخاص باحتكار المحتوى "مضمون الرسائل الإعلامية" من الموسيقى والأغاني والأخبار والأفلام.. ويعد المحتوى أهم مقومات صناعة الثقافة ومن يسيطر عليه يصبح القابض على زمام اللعبة الإعلانية بلا منازع⁽³³⁾.

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

وتعتبر الصحف والمجلات والكتب والنشرات من الوسائل الإعلامية واسعة الانتشار وبعيدة التأثير بالآخرين، لذلك سخرت من قبل منظري العولمة للترويج للقيم الغربية والامريكية وثقافة الاستهلاك وتقديم ثقافة واحدة ونشر تلك الثقافة ومحتواها لتحل محل الثقافات الأخرى.

وتعتبر الإذاعة المرئية والمسموعة وسيلة قوية التأثير بسبب انتشارها السريع ولا تكلف المستمع الجهد والوقت والفراغ، وتلعب دوراً كبيراً في نشر الرسائل الإعلامية، من هنا نجد مدى اهتمام الغرب والولايات المتحدة الامريكية بالبحث المرئي والمسموع، نذكر على سبيل المثال برامج الإذاعة المرئية وأفلام السينما ومواقع الانترنت المنتشرة والتي تعرض المناظر الإباحية وما شابه ذلك والغير هادفة والموجهة الى مجتمعات دول العالم النامي عامة والعربية والإسلامية خاصة، بهدف تحطيم قيمها الثقافية والدينية، إضافة الى الإشاعات التي تطلقها بعض الفضائيات لتشويه صورة الإسلام والمسلمين لدى العالم كافة . كما نجحت الفضائيات الأجنبية من اقتحام الإعلام العربي لملء فراغ الإعلام التعليمي، وتقديم سلعة تعليمية أرقى مما تقدمه الفضائيات العربية ، حيث أن القنوات المرئية العربية تشكو من نقص شديد في البرامج ويسودها نمط التلقين في بث رسائلها التعليمية، ليضاف لأسلحة الاكتساح الثقافي المعولمة قنوات أخرى للتعليم الأجنبي، وبذلك تزداد الساحة العربية تشرذماً وطبقية، وتساهم في إشاعة قيم الثقافة الوافدة واضعاف قيمة الإنتماء والولاء للأمة العربية لدى المتلقين خاصة من الشباب العربي.

ولقد نجحت القوى المؤثرة لوسائل الإعلام الإسرائيلية في دعم قضاياها وتحقيق أهدافها المعادية في أن تصور معاداة العرب لها على أساس أنه نتاج تعصب ديني وعنصري يزيد من حدته علاقاتها القوية مع الولايات المتحدة الامريكية، وتصورها بأنها مهددة بصفة مستمرة من العرب وعلى اضطهاد الآخرين لليهود في جميع أنحاء العالم، وقد استخدم اليهود كل الوسائل الاعلامية لتشويه صورة العرب والمسلمين للوصول الى ما يهدفون اليه، كل ذلك أدى الى منح اسرائيل فرصة التفوق على العرب سواء كان ذلك في المجالات الاقتصادية والعسكرية أو في مجالات التكنولوجيا الحديثة والثقافة والعلم

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

وأدى الى انهيار التضامن العربي وانحسار المسار القومي والوعي العام لمصالح الأمة العربية، الأمر الذي أدى الى فاعلية التدخل الامريكى في المنطقة العربية والذي يعطى مزيداً من الفوائد لها، بينما كانت بالنسبة للأمة العربية مزيداً من التهميش والانصياع والتبعية والتخلف وما يحدث في فلسطين خير دليل على ذلك، في حين نجد أنه لا يختلف واقع اعلامنا العربي عن حقائق واقعا حيث يعكس المشهد العربي الراهن عن صورة قائمة لإعلام يسوده طابع التعقيم، وفقد محوره وأصبح مكبلاً بالولاء للأنظمة السياسية العربية والتي ساهمت في تدني وسائل الإعلام العربية ، إضافة لذلك فإن تفاوت الوضع الاقتصادي والاجتماعي في المنطقة العربية كان له الأثر الكبير في تفاوت وسائل الاعلام وفي تحديد أدوارها وأهدافها.

إن الاعلام العربي لا يقدم ما يجب أن يطرح كدور للإعلام في التنمية والأخبار ويركز على حجم التسلية فقط، كما أن القنوات الفضائية العربية تفتقر الى التأثير على جمهور المشاهدين لأنها ضعيفة ومتدنية ، وتعتمد في الكثير من برامجها على اعادة الاستخدام والتكرار ولا تعكس الهوية الثقافية العربية والأصالة العربية، وإنما تعكس الموضات والموسيقى وثقافة الاستهلاك ولا تضيف الجديد، كما تعتمد أغلب القنوات الفضائية العربية على المضمون الذي يأتيها من مصادر محددة من الغرب والولايات المتحدة الامريكية والتي تصنع لنا الأجندة الاعلامية بهدف تشكيل أنماط سلوكية وقيم ومعتقدات جديدة تتناسب وأيديولوجية وأهداف العولمة: إن اعلامنا العربي يواجه عصر التكتلات الاعلامية مشتتاً عازفاً عن المشاركة في الموارد، يعاني من ضهور الانتاج وشح الإبداع حتى كاد _ وهو المرسل بطبيعته _ أن يصبح نفسه مستقبلاً للإعلام المستورد ليعيد بثه الى جماهيره، وأوشكت وكالات الأنباء لدينا أن تصبح وكالات للوكالات الأربع الكبرى حتمي فيما يخص أخبارنا المحلية⁽³⁴⁾.

لذلك نجد أنه بالرغم من وجود الإذاعات العربية الموجهة ووكالات الأنباء العربية، إلا أن القليل من أبناء الوطن العربي من يستمع اليها ويستقبلها، حيث لا تزال وكالات الأنباء والقنوات الفضائية الغربية والامريكية تستأثر بالساحة العربية لفقدان الثقة بالإعلام العربي

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

المحلي، ولعجز وسائل الاعلام العربية عن تلبية مطالبه حيث لا بديل أمام المتلقي العربي إلا الإقبال على المنتجات الأجنبية، خاصة أن أغلب القنوات الفضائية العربية تستورد منتجات الاعلام الأجنبية بعد إعادة توزيعها وبعد دبلجتها وتعريبها، وتعتمد أيضاً المجالات العربية المتخصصة عادة كنسخ معرّبة للمجلات الأجنبية، نذكر على سبيل المثال مجلات الديكور والأزياء والكمبيوتر وما شابه ذلك . ولكن أليس من حقنا أن نقلق ونحن نرى أن: اعلام عصر المعلومات قد أصبح قوة قائمة بذاتها لا يحكمها سوى معيار الربح والخسارة ومآل ذلك في النهاية هو اتساع الهوة الفاصلة بين من يملك المعلومة ومن يفتقدها _ فهذه الشركات لا تصور برامجها فحسب بل تصور معها أيضاً _ فلسفتها في توجيه العمل الاعلامي وأساليب أدائه لرسالته⁽³⁵⁾.

وعليه تقع المسؤولية الكبرى على الحكومات العربية بمنح المزيد من حرية التعبير وطرح الأفكار بما يخدم تنمية المجتمع، والإستفادة من البرامج الغربية التي بالإمكان تطويعها في خدمة التنمية.

وتجدر الإشارة الى نقطة هامة وهي أهمية دور التعليم والإعلام في نشر الوعي ومحاربة الفساد المتفشى في البلدان العربية، وهو في مجمله دعوة الى إعادة بناء الإنسان العربي الذي أزهقته المحن ومر بظروف عصيبة على مر تاريخه المعاصر أبعدته عن خصائصه الأصيلة وصفاته الحميدة، وأفقته الثقة في مفاهيم عدة أهمها مفهوم الوطن الذي أدى الى غياب حرص المواطن العربي على الملك العام وعلى ما يخص الآخرين، وأصبح اهتمامه ينصب على نفسه فقط ولا يبالي بواجبه ومسؤولياته تجاه وطنه والآخرين. إن الدعوة لإعادة بناء الإنسان العربي أصبحت في الواقع تمثل المحور الأساسي لخطط التنمية في الأقطار العربية.

في ظل الشركات متعددة الجنسية تحولت الدولة الوطنية الى دولة ليبرالية جديدة تقوم على خدمة رأس المال العالمي الأمر الذي أدى الى وجود الدولة المنفصلة، وقد ساهم في سيطرة واحتكار الشركات متعددة الجنسية لها، وانتشار ظاهرة البطالة نتيجة تسريح الأيدي العاملة بسبب اعتماد تلك الشركات على وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة.

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

ويرى البعض أن: الكثافة الحالية في التجارة العالمية والاستثمار الأجنبي على أنها طور جديد للهيمنة الغربية، حيث أصبحت الحكومات الوطنية أدوات لرأس المال الإحتكاري، وتهميش اقتصاد العديد من البلدان النامية، نظراً لتدفق الاستثمار والتجارة داخل الشمال الغني واستبعاد الأغلبية من بلدان العالم⁽³⁶⁾.

لقد ذهب البعض الى أن: منظمة التجارة العالمية هي الانتصار الساحق لديكتاتوريات رأس المال في أوسع صورها، وأن السبب الحقيقي هو عالم السوق الرأسمالية الموحدة التي نحياها لأنه أفرز "رأسمالية الغابة"... وان منظمة التجارة العالمية تجسد الليبرالية الجديدة في صورتها المتطرفة، وهي تعني - ضمن ما تعني موتاً حقيقياً - للعالم الثالث⁽³⁷⁾.

وفي ظل الشركات متعددة الجنسية أدت العولمة الى تحقيق اندماج بين الاقتصاديات والمجتمعات العالمية، فإنها في الوقت نفسه قد أثرت بشكل متباين على مستويات معيشة الناس في كل أرجاء العالم، بالإضافة الى ذلك نجد الشركات متعددة الجنسية تنتهز الفرصة هي الأخرى بإقامة استثمارات في البلدان النامية، بحجة تحسين الظروف المعيشية وتحقيق الرخاء والأمن، لكن الواقع يبين أن هذه الشركات تستغل تلك الظروف لخدمة أهدافها في الحصول على المزيد من الأرباح. لاشك أن ذلك له انعكاساته الكبيرة على الأوضاع الاجتماعية وهي بمثابة مؤشرات للتنبؤ بالآثار الناتجة عن العولمة والتي منها تقليص الخدمات الاجتماعية باضمحلال دور الدولة، وبالتالي زيادة اتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء، مجتمعات، جماعات وأفراد، مما يقود الى اتساع نطاق حركات الاحتجاج والاضطرابات واستفحال ظواهر الجريمة والمشكلات الاجتماعية. إن ما تمت عولمته بالفعل هو بالتأكيد الفقر والظلم الاجتماعي والرشوة والاستلاب الثقافي، وكذلك التضييق على الحريات والحقوق المدنية⁽³⁸⁾.

ويرى عبد السلام المسدي أن: ظاهرة الشركات الكوكبية - متعددة الجنسيات - ظاهرة بالغة الأهمية، لما لها من تأثير قوي ومباشر ليس فقط على دول فقيرة ومتغيرة نسبياً، مثل دولنا العربية، بل على مجمل النشاط الاقتصادي في عالم اليوم والغد، الذي

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

ينجيه للتكتلات والاحتكارات... التي تحكم قبضتها الحديدية على اقتصاد العالم وتجارته بما يحقق أهداف العولمة الجديدة⁽³⁹⁾.

وقد كان للمؤسسات الاقتصادية دوراً بارزاً في تعميق تبعية الدول النامية للدول الصناعية الكبرى وتبني سياساتهم، والإقراض من المؤسسات المالية العالمية وجذب الإستثمارات الأجنبية إليها، والتخلي عن بعض الأهداف الاجتماعية التي يحتاجها المواطن مثل الرعاية الاجتماعية ودعم السلع الأساسية وتشغيل العمال، وذلك من خلال القروض والمساعدات التي تحصل عليها هذه الدول من المؤسسات الدولية مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي أو منظمة التجارة العالمية.

ويرى أنصار منظمة التجارة العالمية: أن منظمة التجارة العالمية والنظام التجاري تتيح العديد من المزايا والفوائد بعضها معروف والبعض الآخر ليس جلياً، وهذا يعني أن هناك العديد من الأسباب التي تجعل من وجود النظام مزية من عدم وجوده ومن المزايا التي تتمتع بها أن نظام التجارة الحرة يساعد على وجود حكومات قوية ويحفز النظام الإقتصادي للدول، ويحمي نظام التجارة الحرة والحكومات من وجود التحزب والتجمعات، ويدعم السلام ويعززها ويعمل على حل النزاعات بين الدول الأعضاء بطرق بناءة، ويخفض تكاليف الحياة ويزيد من الدخل ويجعل الحياة أيسر للجميع، إلا أن معارضي المنظمة يرون بوجود الأفكار العشر الخاطئة النظام التجاري العالمي في: أنها منظمة غير ديمقراطية حيث أنها تملّي السياسات على الحكومات، وتعمل على تحرير التجارة أياً كان المقابل، وتقضي على فرص التوظيف وتزيد من عدد البطالة وحدة الفقر، وتغلب المصالح التجارية على التطور، وعلى الصحة والأمان، وعلى البيئة، وأن الدول الصغيرة لا حول لها ولا قوة في منظمة التجارة العالمية، وأن الدول الأضعف مجبرة على الإنضمام الى منظمة التجارة العالمية⁽⁴⁰⁾.

ومن الملاحظ أن صندوق النقد الدولي والدول الغنية لم يكونوا ليتدخلوا لإنقاذ الدول الفقيرة إلا بعد أن تنهار تحت وطأة الأزمة المالية التي تعانيها، مما أدى الى ارتفاع

آليات العولمة وتأثيراتها على المنطقة العربية

الأصوات المنتقدة للصندوق والتي من بينها وزير الخارجية الأمريكية الأسبق ووزير الخزانة "جورج شولتز"، الذي وصل به الأمر الى المطالبة بإلغاء الصندوق⁽⁴¹⁾. وقد واجهت اجتماعات المؤسسات الدولية مظاهرات صاخبة في أنحاء شتى من العالم نذكر على سبيل المثال منها، مظاهرات سيائل التي واكبت اجتماع المنظمة العالمية للتجارة عام 1999م حيث مثلت صدمة للمجتمعين، كما قامت مظاهرات واحتجاجات منددة بالعولمة ومطالبين بإلغاء صندوق النقد الدولي رافضين التفاوض، وقد أثارت دهشة البعض واستنكاره لها، حيث تساءل البعض لماذا الاحتجاج على التقدم والرخاء والازدهار، في حين يشعر البعض بالارتياح نظراً لأن العالم أصبح يسمع صوتهم ويحسب لهم حساب، ومنذ ذلك الحين توسعت حركة الاحتجاجات والسخط ضد كل الاجتماعات المهمة التي تعقدها منظمة التجارة العالمية أو صندوق النقد الدولي وصارت مناسبة احتجاجات ومظاهرات، كما تثير وعي قادة وحتى رجال دولة محافظون مثل الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك وقد عبروا عن قلقهم البالغ بالقول : العولمة لا تحسن مصير أولئك الذين هم في أمس الحاجة للفوائد التي تعد بها⁽⁴²⁾.

إن هذه الظواهر في النظام الاقتصادي الدولي الجديد التي تتسم بعدم التوازن، تشكل تحدياً كبيراً لمسيرة التنمية في البلدان العربية خاصة التي تمكنها امكانياتها الاقتصادية من إعادة هيكلة اقتصادياتها والاندماج في السوق الدولي، وأن الأقطار العربية: تواجه درجات متفاوتة تحديات بالغة الصعوبة والتعقيد، زاد من صعوبتها وتعقيدها الوضع الاقتصادي والاجتماعي الراهن الذي صنعه العولمة، ورسمت له الطريق بما يتماشى ومصالح الغرب الرأسمالية الذي بنى أيديولوجية على أن تكون دولة الأطراف مستهلكة لا منتجة، وما يزيد من صعوبة الوضع عدم نجاح الأقطار العربية في التوصل الى صيغ فكرية مناسبة لمواجهة هذه التحديات في حين يتغير العالم ويتقدم بسرعة مذهلة من حولها⁽⁴⁴⁾.

استخلاصات:

من خلال الدراسة السابقة يمكن أن نستخلص الآتي:

- في ظل سيطرة الشركات متعددة الجنسية أدت العولمة الى تحقيق اندماج بين الاقتصادات والمجتمعات العالمية، فإنها في الوقت نفسه قد أثرت بشكل متباين على مستويات معيشة الناس في كل أرجاء العالم .
- الشركات العابرة للقارات تؤثر حتى في السياسة وتتحكم في مصائر الشعوب.
- الزيادة المستمرة في عدد الفقراء نتيجة السياسة الاقتصادية للعولمة في خفض الدخل والارتفاع المستمر في عدد البطالة ، وتقليل برامج الرعاية الاجتماعية والصحية في أغلب البلدان العربية .
- أن منظمة التجارة العالمية غير ديمقراطية حيث تملي سياساتها على الحكومات وتغلب المصالح التجارية على الصحة والبيئة وتزيد من عدد البطالة والفقير في البلدان النامية .

المقترحات:

- إن الدول العربية اذا لم تعتمد على ذاتها في برامجها التنموية فسوف تظل تعاني من تردي في أوضاعها الاقتصادية في الاقتصاد العالمي وسوف يصبح اقتصادها تابعاً ولن يكون له القدرة على تحقيق النمو الذاتي للشعوب العربية.
- وأمام هذه الأوضاع والسياسات الاقتصادية المفروضة في أغلبها على الدول العربية أصبح لزاماً على البلدان العربية العمل على:
- تحقيق تكامل اقتصادي وإزالة الحواجز التجارية فيما بينها.
 - إنشاء سوق عربية مشتركة تضم كافة البلدان العربية بما يحقق للدول العربية تقيلاً دولياً مناسباً ، ويعزز من موقفها التفاوضي سواء في المحافل الدولية أو في مواجهة التكتلات الاقتصادية الإقليمية والمجالات الاقتصادية الكبرى التي يشهدها العالم اليوم.

الهوامش:

- 1- يوسف القرضاوي، المسلمون والعولمة، دارالنشر والتوزيع الإسلامية، بورسعيد، 2000 ، ص 6 .
- 2- مولود الطيب، العولمة والتماسك المجتمعي في الوطن العربي، مركز الدراسات، طرابلس، 2005 ، ص19 .
- 3- سعيد اللاوندي، بدائل العولمة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2002، ص210 .
- 4- برهان غليون، سمير أمين، ثقافة العولمة: وعولمة الثقافة، دار الفكر، دمشق، 2002 ، ص21 .
- 5- منير الحمش، العولمة ليست الخيار الوحيد، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، 1998، ص18 .
- 6- محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 1988 ، ص302.
- 7- كمال الدين المرسي، العلمانية والعولمة والازهر، المكتب الجامعي، الاسكندرية، 2001، ص181
- 8- محمد الفرجاني الحصن، افريقيا وتحديات العولمة، المكتبة الجامعية غريان، 2002، ص17 .
- 9- مارشال ماكلوهان، كيف تفهم وسائل الاتصال، ترجمة عقيل صابات مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، 1995 ، ص345.
- 10- محمد عمر الحاجي، عولمة الاعلام والثقافة، دار المكتبي، دمشق، 2002 ، ص114.
- 12- المرجع السابق، ص123.
- 13- اوليفين بيلين، منظمة التجارة العالمية، ترجمة عثمان الجبالي، مركز الدراسات، طرابلس، 2007 ، ص119.

- 14- محمد زاهي المغيربي، في العولمة، مركز الدراسات، طرابلس ، 2007 ، ص16.
- 15 - اوليفين بيلين، مرجع سابق، ص118.
- 16 - المرجع السابق، ص118.
- 17 - عاطف السيد، العولمة في ميزان الفكر، فلمنج للطباعة، القاهرة، 2002، ص26.
- 18 - مولود الطيب، مرجع سابق ، ص254.
- 19 - المرجع السابق، ص254.
- 20 - الصفحة نفسها، ص254.
- 21 - المرجع نفسه، ص254.
- 22 - المرجع نفسه، ص255.
- 23- حسين عبد الله العابد، أثر العولمة في الثقافة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 2004 ، ص50.
- 24- مولود الطيب، "الفضاء العربي - الافريقي"، مجلة دراسات، السنة الثالثة، ع 11 ، مركز الدراسات، طرابلس ، 2002، ص118.
- 25- حسين عبد الله العابد، مرجع سابق، ص137.
- 26 - مولود الطيب، مرجع سابق، ص265.
- 27- حسين عبد الله العابد، مرجع سابق ، ص49.
- 28 - عاطف السيد، مرجع سابق، ص22.
- 29 - مولود الطيب، مرجع سابق، ص265.
- 30 - رجب ابودبوس، العولمة وفق انجيل الليبرالية الجديدة، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2005 ، ص250.
- 31- ميهوب غالب، "العرب والعولمة"، مجلة المستقبل العربي، ع 256، 11سبتمبر 1998 ، ص63.
- 32- محمد عمر الحاجي، مرجع سابق، ص121.

- 33- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، مطابع الرسالة، الكويت، 2001 ، ص355.
- 34- المرجع السابق، ص346.
- 35- المرجع نفسه، ص357.
- 36- ميلاد أبوراس، الفضاء الأفريقي والعولمة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، أكاديمية الدراسات العليا، طرابلس، 2009 ، ص118.
- 37- مراد بركات محمد، " تأملات نقدية لظاهرة العولمة وعولمة الثقافة"، مجلة دراسات، ع 9، طرابلس، 2002 ، ص97.
- 38- رجب ابو دبوس، مرجع سابق ، ص 250.
- 39- عبد السلام المسدي، العولمة والعولمة المضادة، شركة مطابع لوتس، تونس، 1999، ص349.
- 40- اوليفين بيلين، مرجع سابق، ص211.
- 41- ميلاد أبوراس، مرجع سابق، ص118.
- 42- ميهوب غالب، مرجع سابق، ص65.
- 44- مولود الطيب، مرجع سابق، ص186.

التجارة الخارجية للثروة السمكية الليبية ودورها في سد الفجوة الغذائية

د. فتحية أبو راوي اشتيوي منصور

كلية الآداب - جامعة الزاوية

المقدمة:

تواجه الثروة السمكية وتنمية تجارتها الخارجية في ليبيا، عددا من الصعوبات، وبالرغم من توفر الامكانيات، لازال الاقتصاد الليبي معتمدا على الصادرات النفطية، وهذا يعتبر سياسة اقتصادية غير جيدة، حيث يعرض الدولة لمشاكل إقتصادية خاصة وأنه يرتبط بالظروف السياسية والأمنية للدولة، وكما حدث في السنوات الأخيرة، من انخفاض في انتاجه وتذبذب في أسعاره.

وتعد التجارة الخارجية السمكية أحد الخيارات المطروحة امام الدولة للمساهمة، في دعم الاقتصاد من جهة، وتوفير الغذاء للسكان من جهة أخرى.

تناولت هذه الدراسة التوزيع الجغرافي للصادرات والواردات السمكية، وقيمتها الاقتصادية، ومساهماتها في سد الفجوة الغذائية ، والصعوبات الخاصة بالتجارة الخارجية، ووضع سياسات لتطويرها.

اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي والتاريخي والموضوعي، أما عن الأساليب فقد اعتمدت الدراسة على الأسلوب الإحصائي والأسلوب الكارتوجرافي في تمثيل البيانات الإحصائية على الخرائط والرسوم البيانية.

وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أبرزها، ان هناك تباينا في كمية الاسماك المصدرة من سنة إلى أخرى، واستحوذت تونس على معظمها، وأن الانتاج السمكي لا يحقق فائضا إلا في بعض السنوات.

كما أوصت الدراسة بالعمل على زيادة الطاقة الإنتاجية السمكية من خلال العناية، بالإستزراع السمكي وتحسين وسائل الصيد، وتوفير المعدات الحديثة. وتحسين الكفاءة التسويقية وتحقيق التكامل بين قطاعات التجارة الخارجية، والعمل على تنمية وسائل النقل

د. فتحية أبوراوي اشتيوي منصور

التجارة الخارجية للثروة السمكية الليبية ودورها في سد الفجوة الغذائية

المجهزة، وخاصة مايتعلق باستخدام المبردات المناسبة لتجميد الأسماك، والمحافظة عليها من التلف، كما لابد من تضافر خدمات وسائل النقل البري والبحري والجوي للنهوض بالتصدير، ودراسة السوق العالمي أمام الأسماك الليبية، والعمل على تحسين المنتج الليبي بما يتفق وأذواق المستهلكين على مختلف مستوياتهم وحمائته من التلوث، وخاصة مايتعلق بالصادرات إلى دول الاتحاد الأوروبي، الذي يضع العديد من الشروط للسماح للمنتجات السمكية بدخول أسواقه.

Foreign trade of Libyan fisheries and its role in bridging the food gap

Summary:

The Libyan economy is still dependent on oil exports. This is considered an economic policy. It presents the country with special economic problems and is linked to the political and security conditions of the country. As in recent years, , From the decline in production and fluctuation in prices.

Fish trade is one of the options for the state to contribute to supporting the economy on the one hand and providing food to the population on the other.

This study dealt with the geographical distribution of fish exports and imports, their economic value, their contribution to bridging the food gap, the difficulties related to foreign trade, and the development of policies for their development.

The study was based on the statistical method and the kartographic method in the representation of statistical data on maps and graphs.

The study found a number of results, the most prominent of which is that there is variation in the quantity of fish exported from year to year, and Tunisia has acquired most of them, and fish production does not achieve surplus except in some years.

The study also recommended working on increasing the production capacity of the fish through care, fish farming, improving the means of fishing, providing modern equipment, improving marketing

efficiency and achieving integration between foreign trade sectors, and working on the development of the processed means of transport, especially concerning the use of suitable refrigerants for freezing fish. It is necessary to combine the services of land, sea and air transport to promote export, study the international market for Libyan fish, and work to improve the Libyan product in line with the tastes of consumers at different levels and protect it from the pollution, especially exports to the European Union, which puts many of the conditions to allow fish products to enter their markets.

تمهيد:

تعد مشكلة الأمن الغذائي إحدى المعضلات التي فرضت نفسها على الساحة الدولية بشكل عام، وخصوصاً في الدول العربية على وجه الخصوص، وتتضح أبعاد هذه المشكلة في عجز النشاط الزراعي عن توفير القدر الكافي من الغذاء، وذلك لعدة أسباب، مثل الزيادة السكانية، ومحدودية الأراضي الزراعية نتيجة لتذبذب سقوط الأمطار، وازدياد ظاهرة التصحر، وضعف خصوبة التربة مما أدى إلى انخفاض الإنتاجية، وزيادة الواردات الغذائية، ناهيك عن أن الدول العربية مستوردة بشكل أساسي للحبوب من الخارج لسد احتياجات سكانها.

وتعاني ليبيا مثلها مثل باقي الدول العربية من مشكلتين أساسيتين في مجال الغذاء هما: انخفاض مساحة الأراضي الزراعية من جهة ونقص المياه مقارنة بالاحتياجات البشرية من جهة أخرى، وانتهجت سياسة التنمية عدداً من المشاريع الزراعية، إلا أنها ظلت محدودة، كما تواجه التنمية الزراعية صعوبات ترتبط بالموارد البشرية، كالتحول عن العمل الزراعي، وقلة الخبرة والكفاءات في هذا المجال، وترتب على ذلك عجز القطاع الزراعي المحلي عن تلبية حجم الطلب على الغذاء، وظلت نسب الاكتفاء الذاتي متدنية. وتحاول ليبيا التصدي لهذه المشكلة من خلال، العمل على استحداث موارد غذائية جديدة، لمواجهة الزيادة في معدل نمو السكان، وما يترتب عليه من نقص متزايد في المادة الغذائية اللازمة لسد حاجة المواطنين.

- أسباب اختيار الموضوع:
- قلة الدراسات التفصيلية التي تناولت هذا الموضوع.
- عدم الاهتمام بالثروة السمكية وما يرتبط بها من تنمية للصادرات السمكية.
- انخفاض مساهمة التجارة الخارجية للأسماك في الناتج المحلي الاجمالي للبلاد.
- اقتصار كميات كبيرة من الصادرات على عدد محدود من الدول، مما يقلل من فرص الاستثمار، ويضعف من قيمة الأرباح .
- تساؤلات الدراسة:

تملك ليبيا ساحلا طويلا على البحر المتوسط، يمتد من رأس جدير غربا إلى إمساع شرقا، ويبلغ طوله ما يقارب 2000 كم، وجرفا قاريا مساحته 55 ألف كم²(1)، ويتميز الساحل بوجود بعض من الخلجان والرؤوس البحرية، وينتشر على امتداد الساحل عددا من موانئ ومرافئ الصيد، ويتركز معظم سكان البلاد على طول هذا الساحل، وبالرغم من الامكانيات المتاحة إلا أن الثروة السمكية وتنمية صادراتها تواجهها عددا من الصعوبات، ولأزال الاقتصاد الليبي معتمدا على الصادرات النفطية، وهذا يعتبر سياسة اقتصادية غير جيدة، حيث يعرض الدولة لمشاكل إقتصادية خاصة وأنه يرتبط بالظروف السياسية والأمنية للدولة، وكما حدث في السنوات الأخيرة، من انخفاض في إنتاجه وتذبذب في أسعاره.

ترتكز مشكلة الدراسة على عدد من التساؤلات:

- ماهي الصورة السابقة والحالية للتوزيع الجغرافي للصادرات والواردات السمكية.
- ماهي القيمة الاقتصادية للصادرات والواردات السمكية.
- هل ساهمت التجارة الخارجية للأسماك في سد الفجوة الغذائية .
- هل يتوقع ايجاد حلول لكل الصعوبات الخاصة بالتجارة الخارجية.

- الدراسات السابقة:
لم ينل موضوع التجارة الخارجية للأسماك في ليبيا الإهتمام الكبير من الباحثين، حيث أن هناك ندرة واضحة في الدراسات المتعلقة به، ويمكن تقسيم الدراسات المتعلقة بالانتاج السمكي بصفة عامة إلى:
 - دراسة حافظ (2001)، التي تناولت المناخ وتأثيره على النشاط البشري في شبه جزيرة سيناء، وقد تضمنت تأثير المناخ على الثروة السمكية، وخاصة الحرارة التي تؤثر بشكل ملحوظ على نمو الأسماك وتكاثرها، وأكدت الدراسة على تفوق الإنتاج البحيري السمكي على الإنتاج البحري⁽²⁾.
 - دراسة العرفي (2008) حيث استنتج أن الساحل الشرقي الليبي يزخر بإمكانيات طبيعية مثلت بيئة جيدة لنمو الأسماك وتكاثرها، إلى جانب مقومات بشرية سخرت لإقامة مشاريع لصيد السمك، وأوصى بضرورة إدارة الموارد السمكية بأسلوب علمي، مع توفير قطع غيار للمراكب، وقنوات لتصريف الإنتاج، وتوعية السكان بفوائد الأسماك، وحماية الشواطئ من التلوث⁽³⁾.
 - دراسة حنا (2011)، حيث ركزت على تحليل الإنتاج السمكي المصري وتطوره، وفقا لأهم الأصناف، هذا فضلا عن تسليط الضوء على التجارة الخارجية للأسماك، وتطور الصادرات والواردات، وتوصلت الدراسة إلى أن زيادة الإنفاق الأسري يقابله زيادة في الإستهلاك الأسري للأسماك، سواء في الحضر أو الريف⁽⁴⁾.
 - دراسة الغنودي (2012) التي تناولت مظاهر الثروة البحرية في ليبيا، حيث أشار إلى وسائل صيد الأسماك في ليبيا، حيث تصاد سمكة التونة بطريقة الإحاطة، وبالخيوط الطويل، وتناول طرق الزراعة السمكية، وخاصة زراعة سمكة القاروص والأوراتا، وأهم العوامل المؤثرة فيها، وخاصة مايتعلق بالأمراض التي تصيب الأسماك⁽⁵⁾.

التجارة الخارجية للثروة السمكية الليبية ودورها في سد الفجوة الغذائية

- ركز حويل (2015) على دراسة تركيز الكلورفيل بالاعتماد على تقنية الإستشعار عن بعد، وأثبتت الدراسة أن هناك علاقة طردية بين درجة الحرارة ومستوى تركيز الكلورفيل من جانب، وبين الإنتاج السمكي من جانب آخر، وأوصت الدراسة بالمحافظة على الثروة السمكية عن طريق الحد من الصيد في موسم تكاثر الأسماك، ومنع إستخدام أدوات الصيد التي تستنزف هذه الثروة⁽⁶⁾.
 - تناول منصور (2018) دراسة المقومات الطبيعية والبشرية، التي تساعد على تنمية الثروة السمكية في الساحل الشمالي الغربي الليبي، وخاصة ما يتعلق باتساع الرصيف القاري، الذي يعد بيئة مناسبة لتكاثر الأسماك، وتواجه التنمية عددا من المعوقات أبرزها ضعف المخصصات المالية الخاصة بتطوير القطاع، وكذلك العزوف من جانب الليبيين لممارسة حرفة الصيد، كذلك ضعف التصنيع السمكي، وانخفاض مساهمة مشاريع الزراعة المائية، في الإنتاج الكلي، وعدم الاهتمام بتطوير سياسة خاصة بالتجارة الخارجية للأسماك⁽⁷⁾.
- أهداف الدراسة:
- تحليل الواقع الحالي للتوزيع الجغرافي للصادرات والواردات السمكية، ثم توضيح تطور هذا التوزيع عبر السنوات.
 - توضيح دور الصادرات والواردات في رفع معدل الاكتفاء الذاتي من الثروة السمكية، وم توسط نصيب الفرد منها.
 - إبراز أهم المشكلات التي تعاني منها التجارة الخارجية من واقع المعطيات الموجودة.
 - دراسة مستقبل تنمية التجارة الخارجية للأسماك، في ضوء المشكلات التي تواجهها، ووضع توصيات للتغلب عليها.

التجارة الخارجية للثروة السمكية الليبية ودورها في سد الفجوة الغذائية

- **مناهج الدراسة وأساليبها:** تمت معالجة الدراسة اعتماداً على عدة مناهج هي:
 - المنهج التحليلي: استخدم في عرض النشاط الاقتصادي، وإبراز أهم النتائج المستخلصة والاستفادة منها، في وضع الحلول والمقترحات لتنمية التجارة الخارجية للأسماك.
 - المنهج التاريخي: استخدم لمعرفة تطور الصادرات والواردات السمكية وأعداد السكان، وكذلك الإنتاج السمكي، والفجوة الغذائية .
 - المنهج الموضوعي: حيث تمت دراسة موضوع تنمية التجارة الخارجية للأسماك، من خلال تقسيمه إلى موضوعات فرعية. أما عن الأساليب فقد اعتمدت الدراسة على الأسلوب الإحصائي والأسلوب الكارتوجرافي في تمثيل البيانات الإحصائية على الخرائط والرسوم البيانية، وقد اعتمدت في ذلك بشكل أساسي على:
 - برنامج Arc GIS 10.2.
 - برنامج Spss 25 لتطبيق المعادلات الرياضية.
 - برنامج Microsoft Office Excel 2013 لرسم الأشكال البيانية.
- **مصادر الدراسة:** اعتمدت الدراسة على البيانات الرسمية، الصادرة عن الهيئات الحكومية المختلفة وذلك للفترة (1990 - 2014) مثل الهيئة العامة للثروة البحرية، مثل التقارير السنوية غير المنشورة، أيضاً التعدادات السكانية الصادرة عن الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، وكذلك اعتمدت على المصادر العلمية المكتوبة.
 - تأتي هذه الدراسة في سنة مباحث، وسيتم تناولها بالتفصيل على النحو التالي:
 - المبحث الأول: تطور كمية وقيمة الصادرات والواردات السمكية في ليبيا .
 - المبحث الثاني: التوزيع الجغرافي للواردات السمكية.
 - المبحث الثالث: التوزيع الجغرافي للصادرات السمكية.
 - المبحث الرابع: معدل التغطية الكلية للصادرات.
 - المبحث الخامس: متوسط نصيب الفرد من الأسماك والفجوة الغذائية.

المبحث السادس: المشاكل التصديرية للأسماك.

المبحث الأول- تطور كمية وقيمة الصادرات والواردات السمكية في ليبيا:

تلعب التجارة الخارجية بصفة عامة، دورا فعالا في رفع مستوى الاقتصاد، إذ أن ارتفاع حجم الصادرات يؤدي إلى زيادة نمو الناتج المحلي الاجمالي، وزيادة معدلات العمالة واستخدام الطاقة، وبالتالي تنمو الواردات، فينعكس على كل الموجودات من السلع الاستثمارية، المرتبطة بارتفاع مستويات المعيشة، وما يرتبط بها من تقدم وتنمية، ورفع كفاءة الاقتصاد القومي، واستخدام موارده الاستخدام الأمثل⁽⁸⁾.

شهدت العقود الأخيرة توسعا في تجارة الأسماك، مدفوعة بزيادة الانتاج وزيادة الطلب عليه، وما صاحب ذلك من زيادة التعاون بين الدول، حيث يمكن انتاج الأسماك في بلد، وتجهيزها في بلد آخر واستهلاكها في بلد ثالث، ويرتبط اسناد عمليات التجهيز إلى دول أخرى، يكون فيها الانخفاض النسبي في الأجور، وتكاليف الانتاج، ميزة نسبية، وتغيرت كثيرا طريقة اعداد المنتجات بفضل التقدم التكنولوجي، وتحسين النقل، والتغير في التوزيع والتسويق، كل تلك العوامل ساعدت في تيسير التحول من الاستهلاك المحلي، إلى الأسواق الدولية⁽⁹⁾.

هذا ومن الممكن ان تساهم التجارة الخارجية للأسماك في ليبيا، في تنويع هيكل الاقتصاد الوطني، وتوفير احتياجات السكان وتصدير الفائض من الإنتاج، خاصة وأن التصدير يساعد الدولة في الحصول على العملة الصعبة.

وتتضمن التجارة الخارجية للدولة كلا من الصادرات والواردات من الأسماك على مستوى الدولة، ويمكن من خلال مقارنة كمية الصادرات وكمية الواردات معرفة حجم الفائض أو العجز في الميزان التجاري للدولة.

يوضح الجدول رقم (1) والشكل (1) تطور كمية وقيمة الواردات والصادرات السمكية في ليبيا خلال الفترة (1990 - 2014) .

د. فتحية أبو راوي اشتيوي منصور

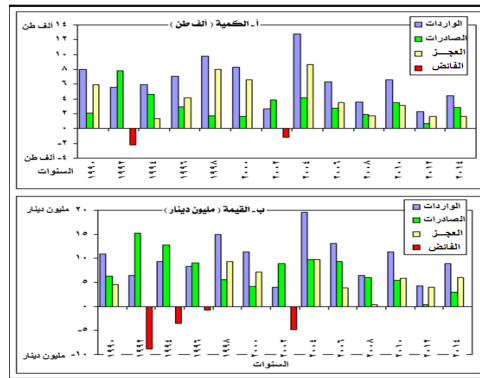
التجارة الخارجية للثروة السمكية الليبية ودورها في سد الفجوة الغذائية

-جدول (1) تطور كمية الواردات والصادرات السمكية وقيمتها في ليبيا للفترة (199)
(2014)

السنة	الواردات				الصادرات				الفاصل أو العجز	
	الرقم القياسي	الكمية (الف طن)	الرقم القياسي	القيمة (م.د.)	الرقم القياسي	الكمية (الف طن)	الرقم القياسي	القيمة (م.د.)	الكمية (الف طن)	القيمة (م.د.)
1990	100	8.04	100	6.33	100	2.07	100	4.60	5.97	
1992	69.1	5.55	58.6	15.24	379	7.82	240.9	+8.84	+2.26	
1994	74.2	5.96	84.9	12.77	224.9	4.65	201.8	+3.49	1.32	
1996	88.3	7.10	75.8	8.99	141.9	2.93	142.1	+0.71	4.17	
1998	21.1	9.74	137	5.57	83.8	1.73	88	9.40	8.01	
2000	103.1	8.29	103.5	4.17	79.9	1.65	65.8	7.15	6.64	
2002	33.2	2.67	37	8.83	186.7	3.86	139.5	+4.78	+1.18	
2004	158.5	12.74	179.5	9.83	199.9	4.13	155.3	9.78	8.61	
2006	77.9	6.27	119.5	9.27	131.8	2.72	146.5	3.79	3.54	
2008	44.5	3.58	59	6.08	91.8	1.88	96	0.37	1.70	
2010	82	6.59	103.4	5.50	167.5	3.46	86.9	5.80	3.13	
2012	28.4	2.29	39.6	0.34	32	0.66	5.3	4.00	1.63	
2014	55.2	4.44	81.6	2.96	136.2	2.81	46.8	5.96	1.63	
المتوسط العام	-	6.40	-	7.38	-	3.11	-	2.54	3.30	

المصدر: الهيئة الوطنية للتوثيق والمعلومات، إدارة التجارة الخارجية، قسم الحاسب الآلي، إحصاءات غير منشورة، 1990-2014.
(+) تعني فائض.

شكل (1) تطور كمية الواردات والصادرات السمكية وقيمتها في ليبيا للفترة (1990-2014)



المصدر: من إعداد الباحثة اعتماداً على بيانات الجدول (1).

ومن خلال الجدول (1) والشكل (1) يتضح أن

- تذبذب كمية الواردات من الأسماك من سنة إلى أخرى، فنجدها ترتفع تارة وتنخفض تارة أخرى، ففي سنة 1990 بلغت الواردات 8.04 ألف طن بقيمة بلغت 10.9 مليون دل، ثم تنخفض في السنوات التي تليها لترتفع في سنة 1998 إلى 9.74 ألف طن بقيمة بلغت 14.9 مليون دل، وكانت أعلى كمية للواردات. في سنة 2004، حيث بلغت 12.7 ألف. بقيمة تقدر بنحو 19.6 مليون دل، وذلك ارتبط بارتفاع الناتج المحلي من النفط والذي بلغ 32410 مليون دل.
- سجلت الواردات أعلى انخفاض لها في سنة 2002، حيث بلغت الكمية 2.67 ألف طن، بقيمة بلغت 4.05 مليون دل، وتزامنت مع انخفاض العائد من القطاع النفطي إلى 16525 مليون دل (10)، وكذلك في سنة 2012 انخفضت كمية الواردات إلى 2.2 ألف طن. بقيمة بلغت 4.33 مليون دل، وارتفاع القيمة بالرغم من انخفاض الكمية، مقارنة بعام 2002 يرجع إلى سعر الصرف للدينار الليبي.
- يعرف بالرقم القياسي، وهو مقياس إحصائي لقياس التغيرات في المتغير خلال سنوات مختلفة. = سنة المقارنة / سنة الأساس $\times 100$ ، (11) ، أما فيما يتعلق بالرقم القياسي و بالاعتماد على سنة 1990 (سنة أساس)، فيلاحظ ارتفاعه بارتفاع كمية الواردات، بحيث حقق أعلى ارتفاع في سنة 2004، بلغ 158.5، وأقل انخفاض في سنة 2012، حيث بلغ 28.4. وأعلى قيمة للرقم القياسي المتعلق بقيمة الواردات كانت في سنة 2004، وأقل قيمة للرقم القياسي كانت قيمة الواردات في سنة 2002. حيث بلغ 37، يليه عام 2012 حيث بلغ 39.6، وذلك لاختلاف سعر الصرف للدينار الليبي.
- بلغت كمية الصادرات 2.07 ألف طن في سنة 1990، لتحقيق أقصى ارتفاع لها في سنة 1992، حيث بلغت 7.82 ألف طن بقيمة 12.7 مليون دل، وذلك خلال الفترة 1990-2014، وذلك لارتفاع الإنتاج، والذي زاد عن 27 ألف طن، وبلغت نسبة

التجارة الخارجية للثروة السمكية الليبية ودورها في سد الفجوة الغذائية

- المصدر منه 34٪، وحققت هذه السنة أعلى ارتفاع في الرقم القياسي، مقارنة بسنة الأساس 1990. وذلك فيما يتعلق بكمية وقيمة الصادرات.
- جاءت سنة 1994 وسنة 2004، في المرتبة الثانية والثالثة من حيث كمية الصادرات، والتي بلغت 4.65 ألف طن و4.12 ألف طن لكل منهما. وذلك لتضاعف الإنتاج وخاصة في سنة 2004، والذي زاد عن 38 ألف طن، وارتفاع الواردات يرجع إلي استيراد أنواع من الأسماك. يرتفع الطلب عليها، بشكل يفوق الإنتاج، مثل سمكة الأوراتا والتونة والجمبري، في حين سجلت سنة 2012 أقل كمية للصادرات السمكية، حيث بلغت 0.66 ألف طن. بقيمة قدرها 0.34 مليون.د.ل، وكذلك انخفض الرقم القياسي في هذه السنة لكل من الكمية والقيمة، حيث بلغ 32 و28 لكل منهما.
 - فيما يختص بقيمة الفائض التصديري، فقد تحقق الفائض في سنوات (1992-1994-1996-2002)، وتحقق أعلى فائض عام 1992، حيث زاد عن 8 مليون دينار، وذلك لارتفاع قيمة الصادرات مقارنة بالواردات، أما من حيث الميزان السلعي، فلم يتحقق الفائض في الكميات سوى في عامي (1992. 2002)، بينما خلال عامي (1994. 1996) فيلاحظ ارتفاع القيمة إلا أن الكمية المصدرة كانت أقل، وذلك لارتفاع سعر أنواع الأسماك المصدرة، والتي كانت معظمها أسماك الدرجة الأولى والقشريات.
- ويلاحظ على تطور كمية وقيمة الصادرات أنها تعاني بوجه عام من العجز، وعدم وجود فائض وذلك لإرتفاع كمية الأسماك المستوردة، وارتفاع قيمتها مقارنة بالأسماك المصدرة.

المبحث الثاني- التوزيع الجغرافي للواردات السمكية:

بالرغم من طول السواحل الليبية على البحر المتوسط فإن ليبيا تلجأ إلى استيراد كميات من الأسماك لسد احتياجات السكان، وذلك لزيادة الطلب على الأسماك من ناحية، وتعويض الانخفاض في الإنتاج من ناحية أخرى، وتختلف الأنواع المستوردة من أسماك

د. فتحية أبو راوي اشتيوي منصور

التجارة الخارجية للثروة السمكية الليبية ودورها في سد الفجوة الغذائية

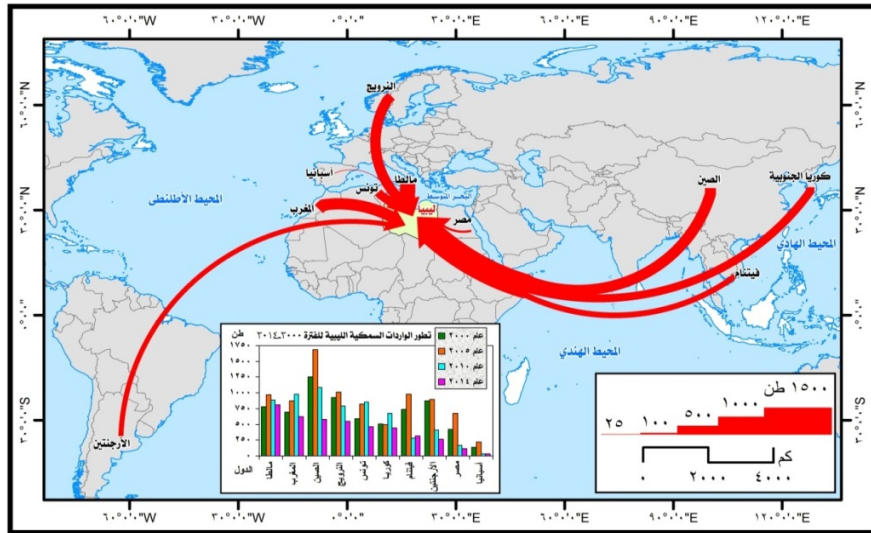
طازجة إلى مجمدة إلى مملحة إلى قشريات، هذا ويرتبط ارتفاع كمية الواردات وانخفاضها بكمية الإنتاج المحلي ومدى الطلب عليه، كذلك بارتفاع إنتاج النفط، وتوفر النقد الأجنبي، ومضاعفة قدرة الدولة على الاستيراد، واختلفت الدول التي تستورد منها ليبيا الأسماك، خلال الفترة (2000: 2014)، ويوضح الجدول (2) والشكل (2) تطور كمية الواردات السمكية الليبية خلال المدة (2000: 2014) حسب المصدر.

جدول (2) تطور كمية الواردات السمكية الليبية حسب المصدر للفترة (2000 - 2014)

نسبة التغير :2000 % (2014)	عام 2014		عام 2010		عام 2005		عام 2000		السنوات الدول
	%	طن	%	طن	%	طن	%	طن	
53.6-	13.1	583	16.4	1082	15.6	1691	15.2	1257	الصين
6.0-	14.3	633	14.8	976	8.1	878	8.4	692	المغرب
41.1-	12.3	544	12.1	795	9.4	1015	11.2	924	النرويج
4.4	18.3	814	13.4	884	9.0	972	9.4	780	مالطا
22.2-	10.2	457	12.9	851	7.6	827	7.2	593	تونس
69.6-	6.0	266	6.3	413	8.3	895	10.5	874	الأرجنتين
56.7-	7.2	320	4.3	285	9.1	981	8.9	739	فيتنام
73.2-	2.6	114	2.5	168	6.3	676	5.1	425	مصر
76.9-	0.7	31	0.5	36	2.0	217	1.6	134	أسبانيا
13.1-	10.0	443	10.2	672	4.5	491	6.2	510	كوريا الجنوبية
82.9-	5.2	232	6.5	430	20.1	2174	16.4	1358	دول اخرى
46.4-	100	4438	100	6592	100	10812	100	8285	الإجمالي

المصدر: حساب الباحثة استناداً إلى بيانات الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، إدارة التجارة الخارجية، قسم الحاسب الآلي، خلال المدة (2000 - 2014).

شكل (2) التوزيع الجغرافي للواردات السمكية الليبية حسب المصدر عام 2014



المصدر: من إعداد الباحثة اعتماداً على بيانات الجدول (2).

ومن الجدول (2) والشكل (2) يتبين أن:

- بلغت كمية الأسماك الموردة إلى ليبيا نحو 8285 طن، وذلك عام 2000، لترتفع إلى ما يزيد عن 10 آلاف طن، نتيجة لارتفاع نسبة إسهام قطاع النفط في الناتج المحلي الإجمالي إلى 77٪، وبذلك اتبحت إمكانية أكثر لاستيراد كميات أكبر، في حين انخفض ذلك في سنة 2010، حيث بلغت نسبة الإسهام 66٪ في الناتج المحلي (12)، وبالتالي انخفضت الواردات لتستمر في الانخفاض في عام 2014، لتبلغ كمية الأسماك الموردة 4438 طن، وبمعدل تغير بلغ -46.4٪ للفترة 2000-2014.

- ارتفعت معظم الواردات السمكية إلى ليبيا، من دول شرق وجنوب شرق آسيا. حيث أسهمت الدول الثلاث (الصين وكوريا الجنوبية وفيتنام) بنحو 30٪ من إجمالي

التجارة الخارجية للثروة السمكية الليبية ودورها في سد الفجوة الغذائية

الواردات لعام 2014، ويرجع ذلك إلى أن مصايد شمال غرب وغرب المحيط الهادي تعد من أبرز المصايد الطبيعية في العالم، حيث بلغ إنتاجها 21 مليون طناً، وأسهمت بنحو 25 % من إنتاج العالم من المصايد الطبيعية البحرية والتي بلغت 81 مليون طناً وذلك عام 2014، وذلك لتفاعل عدد من العوامل الطبيعية، أبرزها ضحالة المياه، وكذلك اختلاطها نتيجة التقاء تيار اليابان الدافئ مع تيار كمتشكا البارد، وتجلب هذه التيارات الكثير من المواد العضوية والبلانكتون الذي تتغذى عليه الأسماك.

- جاءت الصين في مركز الصدارة من حيث واردات الأسماك المجمدة الموردة إلى ليبيا، بوصفها الدولة الأولى بين دول العالم المنتجة والمصدرة، وخاصة في سنة 2014، حيث أسهمت بنسبة 14% من إنتاج العالم من الأسماك و9% من الصادرات السمكية العالمية. وذلك عام 2014، وبلغت نسبة الأسماك 15% من إجمالي الأسماك الموردة إلى ليبيا عام 2000، لترتفع عام 2005، لتحسن الاقتصاد الليبي، لتتخف من جديد عام 2010. لتستمر في الانخفاض الأكبر عام 2014، للظروف الاقتصادية وانخفاض الناتج المحلي وانخفاض الواردات بوجه عام.

- أسهمت النرويج بواردات سمكية إلى ليبيا بلغت نسبتها 11% من إجمالي الأسماك الموردة في عام 2000، وتعد النرويج من أبرز الدول المصدرة للأسماك. وخاصة لنوع السلمون. لترتفع الكمية في سنة 2005، لتتخف بعد ذلك في سنة 2010 و2014، متأثرة بالظروف الاقتصادية والسياسية في ليبيا. بمعدل تغير بلغ - 41%، هذا وقد ساعدت العوامل الطبيعية على وفرة الأسماك في مصايد النرويج، منها ضحالة المياه، والتقاء تيار الخليج الدافئ مع التيارات القطبية الباردة، شمال النرويج الذي أدى إلى اختلاط المياه، وتوفير احتياجات الأسماك من غذاء.

التجارة الخارجية للثروة السمكية الليبية ودورها في سد الفجوة الغذائية

وقد نجحت النرويج في تحقيق معدل فائق للنمو في قيمة صادراتها خلال الفترة 2004-2014، بلغ 8% بالمكرونة النرويجية، واحتلت المرتبة الثانية في دول العالم المصدرة للأسماك في سنة 2014⁽¹³⁾.

- أسهمت الأرجنتين ثم مالطا وفيتنام والمغرب، بنسب تراوحت ما بين 9.4% و8.9% و8.4%، من جملة الأسماك الواردة إلى ليبيا وذلك عام 2000، واشتهرت الأرجنتين بالأسماك المجمدة نوع (الهيك). الحاصلة على شهادة (ISO)، وارتفعت الكميات الموردة للدول الأربع في سنة 2005، لتتخف في سنة 2010، باستثناء المغرب، التي بلغت نسبة الأسماك الموردة منها 14%، ويرجع ذلك لتضاعف صادرات المغرب وتصديرها وبأسعار مناسبة، وخاصة من سمكة التونة والقشريات، ويلاحظ أن هذه الدول، كان معدل التغيير سالباً للكمية الموردة إلى ليبيا، خلال الفترة 2000-2014، باستثناء دولة مالطا. التي حققت معدلاً موجباً بلغ 4.4%، وذلك لزيادة إنتاجها وخاصة في سنة 2014، من سمكة الأوراتا وهي من الأسماك المفضلة، لدى السكان الليبيين.

- انخفض إسهام الدول الأربع الأخيرة في الأسماك الموردة إلى ليبيا خلال الفترة 2000-2014، وهي تونس وكوريا ومصر وأسبانيا، بحيث بلغت نسبتهم 7% و6% و5% و1% لكل منهم على التوالي، وذلك عام 2000. لترتفع عام 2005، ثم انخفضت الكميات الموردة في عامي 2010، 2014 وذلك لظروف البلاد، وانخفضت الواردات بوجه عام، واقتصر الاستيراد على أنواع معينة، فمصر اقتصر الاستيراد منها، على الرنجة والجمبري، وتونس على اللبوكة، وارتفاع سعر الأسماك الموردة من أسبانيا، وخاصة القاروص الذي تقوم بزراعته في الأنهار الطبيعية، جعل نصيبها الأقل بين الدول العشر المصدرة إلى ليبيا، هذا وسجلت الدول الأربع معدل تغير سالب، خلال الفترة 2000-2014، بحيث تراوح ما بين -13% و-76%، لكل من كوريا الجنوبية وأسبانيا.

د. فتحية أبوراوي اشتيوي منصور

التجارة الخارجية للثروة السمكية الليبية ودورها في سد الفجوة الغذائية

المبحث الثالث- التوزيع الجغرافي للصادرات السمكية: تُعدّ الصادرات السمكية إحدى طرق التسويق الدولي وتساعد على زيادة الدخل، وتوفير النقد الأجنبي للدولة، وتنويع مصادر الدخل، وعدم الاعتماد على مصدر واحد وهو النفط، وتقوم ليبيا بتصدير جزء من إنتاجها السمكي إلى الخارج، وقد تباينت كمية الصادرات من سنة إلى أخرى.

إن كمية الصادرات ارتبطت أساساً بكمية الإنتاج من ناحية، ومعدل الطلب عليه من ناحية أخرى. بالإضافة إلى الأنواع المنتجة، حيث يعتمد التصدير بشكل رئيس على أنواع الأسماك ذات الدرجة الأولى والثانية. ويمكن من خلال الجدول (3) والشكل (3) دراسة تطور الصادرات السمكية الليبية وفقاً لتوزيعها الجغرافي.

جدول (3) تطور كمية الصادرات الليبية السمكية حسب المصدر للفترة (2000 - 2014)

الدول	عام 2000		عام 2005		عام 2010		عام 2014		نسبة التغير % (2014:2000)
	طن	%	طن	%	طن	%	طن	%	
تونس	441	26.7	931	24.4	883	25.5	941	33.5	113.4
تركيا	193	11.7	522	13.7	520	15.0	457	16.3	136.8
كوريا	86	5.2	381	10.0	351	10.1	166	5.9	93.0
مالطا	317	19.2	616	16.1	581	16.8	343	12.2	8.2
الصين	121	7.3	73	1.9	215	6.2	183	6.5	51.2
اليونان	152	9.2	386	10.1	430	12.4	247	8.8	62.5
مصر	83	5.0	241	6.3	136	3.9	106	3.8	27.7
الأردن	71	4.3	175	4.6	115	3.3	89	3.2	25.4
اليابان	93	5.6	223	5.8	87	2.5	91	3.2	2.2-
سنغافورة	45	2.7	60	1.6	40	1.2	74	2.6	64.4
دول أخرى	48	2.9	254	6.6	102	2.9	57	2.0	18.8
الإجمالي	1650	100	3822	100	3460	100	2812	100	70.4

المصدر: حساب الباحثة استناداً إلى بيانات الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، إدارة التجارة الخارجية، قسم الحاسب الآلي، خلال المدة (2000: 2014).

يتضح من الجدول والشكل:

- تطورت كمية الأسماك الليبية المصدرة إلى دول العالم الخارجي، للفترة 2000-2014، حيث بلغت 1650 طن عام 2000، لترتفع إلى 3822 طن لتضاعف الإنتاج السمكي، لتتخفف عام 2010، لتستمر في الانخفاض حتى عام 2014، حيث بلغت الكمية المصدرة 2812 طن، بمعدل تغير بلغ 70.4%. للفترة 2000-2014.

- تعد تونس أكبر الدول المستوردة للإنتاج السمكي الليبي، وذلك بحكم قربها من إقليم الدراسة الذي يستحوذ على أكبر كمية إنتاج، بالإضافة إلى الإمكانيات المحدودة الخاصة بتجهيز السمك، حيث يصل معظمه طازجاً إلى تونس وتقوم بإعادة تصنيعه، وتصديره إلى السوق الأوروبي، هذا وقد تطورت الصادرات الليبية إلى تونس من 441 طن عام 2000. بنسبة 26% إلى 941 طن عام 2014، بنسبة 33%، وأبرز الأنواع المصدرة هي الفروج والمناني.

• احتلت مالطا المرتبة الثانية من حيث استيراد الأسماك الليبية، وبلغت نسبتها 19% وذلك عام 2000، ثم انخفضت إلى 16% عام 2005 بالرغم من ارتفاع الكمية، وذلك لزيادة الكمية الاجمالية المصدرة، ثم انخفضت نسبة الصادرات إليها إلى 12% وذلك عام 2014، في حين جاءت تركيا في المرتبة الثالثة من حيث استيرادها للأسماك الليبية، وبالتحديد نوع التريليا الدرجة الأولى والثانية، بلغت أقصاها في عام 2014، حيث بلغت نسبتها 16%، بالرغم من انخفاض الكمية مقارنة بعام 2010، وذلك لانخفاض الكمية المصدرة بوجه عام في سنة 2014، وتعد مالطا وتركيا من الدول القريبة من الساحل الليبي. واستحوذت على ما يقارب 28% من إجمالي الصادرات الليبية لعام 2014، ومعظم الصادرات عبارة عن أسماك طازجة.

• انخفضت الكمية المصدرة من الأسماك إلى باقي الدول، وكانت دولة اليونان هي الأعلى نسبة بين هذه الدول، حيث بلغت نسبة صادرات السمك 9%، وذلك عام 2000. لترتفع عام 2010، ثم تنخفض الكمية المصدرة في عام 2014، وكانت الأنواع المصدرة

د. فتحية أبوراوي اشتيوي منصور

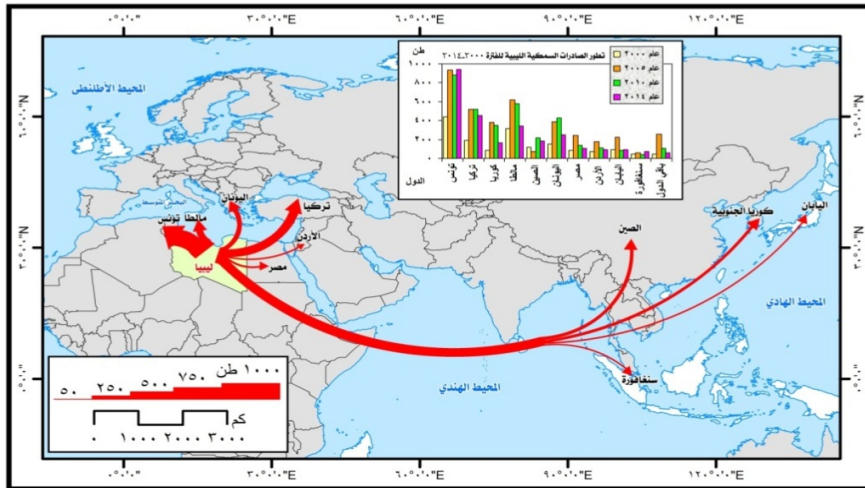
التجارة الخارجية للثروة السمكية الليبية ودورها في سد الفجوة الغذائية

من الفروج والمرجان، وترواحت نسب الكميات المصدرة بين الدول الأخرى ما بين 6.5% لدولة الصين و2.6% لدولة سنغافورة، وذلك عام 2014، وأهم الأسماك المصدرة هي سمكة الفروج والبوري والبا فرو.

• اختلفت الدول من حيث معدل التغير في الكميات المصدرة إليها من الأسماك، حيث بلغ معدل التغير أقصاه في دولة تركيا 136.8%، ثم تونس بمعدل تغير بلغ 113%، أقل معدل للتغير كان في اليابان، وبلغ -3.2% وذلك للفترة 2000-2014.

• تعد الأنواع المصدرة من أفضل الأنواع، حيث أن معظمها من أسماك الدرجة الأولى مثل الفروج والمناني والبوري والتريليا، وأسماك الدرجة الثانية مثل البافرو والتريليا التي يتراوح وزنها ما بين 80-150 جرام، و تعد سمكة الفروج والمناني من أكثر الأنواع تصديرا، ويمكن تفسير ذلك بأنها من الأسماك الكبيرة الحجم، (متوسط طولها 30-50 سم)، الثقيلة الوزن، مما يزيد من تكلفتها للمستهلك المحلي، وتعد من الأسماك القاعية الدائمة، مما ساعد على صيدها وبكميات كبيرة.

شكل (3) التوزيع الجغرافي للصادرات الليبية السمكية عام 2014 (طن)



المصدر: من إعداد الباحثة اعتماداً على بيانات الجدول (3).

د. فتحية أبو راوي اشتيوي منصور

التجارة الخارجية للثروة السمكية الليبية ودورها في سد الفجوة الغذائية

المبحث الرابع- معدل التغطية الكلية للصادرات: يعبر معدل التغطية الكلية عن مدى مقدرة قيمة الصادرات من سلعة معينة على تغطية قيمة الواردات من هذه السلعة، ويتم حسابه (قيمة الصادرات ÷ قيمة الواردات × 100)⁽¹⁴⁾ وبالنسبة للأسماك تعتبر ليبيا دولة مستوردة، إلا أنه تُصدّر كميات من الأنواع الممتازة إلى الخارج، وقد قُدّر معدل التغطية الكلية، لكي يعبر عن النسبة المئوية التي تُغطّي من قيمة واردات الأسماك من خلال قيمة صادراتها، ويوضح الجدول (4) والشكل (4) معدل التغطية للصادرات السمكية في ليبيا خلال المدة 1990:2014.

جدول (4) معدل التغطية للصادرات السمكية في ليبيا للفترة (1990 - 2014)

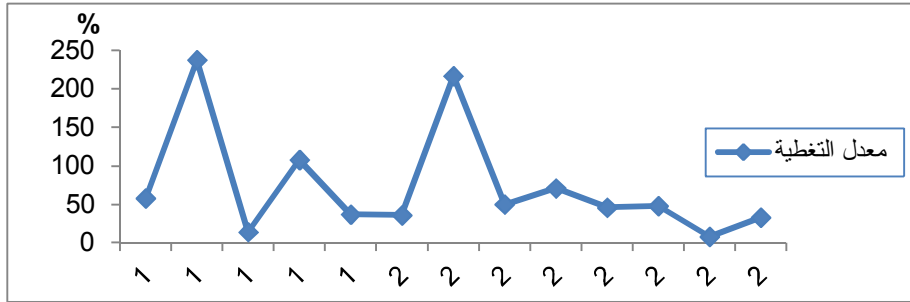
السنة	قيمة الصادرات (دينار)	قيمة الواردات (دينار)	معدل التغطية (%)
1990	6.326.102	10.923.153	58
1992	15.243.010	6.402.199	238
1994	12.766.673	9.276.787	14
1996	8.993.124	8.282.635	108
1998	5.567.459	14.965.707	37
2000	4.166.403	11.316.070	36
2002	8.830.490	4.051.562	217
2004	9.829.822	19.611.209	50
2006	9.272.191	13.060.798	71
2008	6.077.348	6.451.996	46
2010	5.503.512	11.302.045	48
2012	335.297	4.334.041	8
2014	2.963.623	8.921.728	33
المتوسط العام	7.375.004	9.915.379	74

المصدر: حساب الباحثة استنادا إلى الهيئة الوطنية للتوثيق والمعلومات ، إدارة التجارة الخارجية ، قسم الحاسب الآلي.

ويتضح من الجدول (4) والشكل (4) أن:

- يزيد معدل التغطية بزيادة قيمة صادرات الأسماك نسبيا عن قيمة وارداتها، وزيادة قيمة الصادرات أو انخفاضها تتأثر بمقدار الكمية المصدرة وأسعارها، كما أن انخفاض قيمة الواردات أو زيادتها، تتأثر بمقدار الكمية المستوردة وأسعارها .
- بلغ معدل التغطية الكلية 58 % عام 1990، وهذا يعني أن قيمة صادرات الأسماك الليبية قد ساهمت في تغطية 58 % من قيمة واردات الأسماك، غير أن هذا المعدل كان متذبذبا بشكل واضح خلال الفترة 1990 - 2014 ، فقد حقق معدلات مرتفعة ، كما حدث في عام 1992 حيث بلغ معدل التغطية 238%، وكذلك ارتفع في عام 2002 فبلغ حوالي 217% ، لإرتفاع قيمة الصادرات، ويرتبط ذلك بنوع الأسماك المصدرة، والتي بلغت قيمتها 15.2 مليون.دل، وانخفضت قيمة الواردات إلى 6.4 مليون دل عام 1992، في حين ارتفعت قيمة الصادرات عام 2002 إلى 8.8 مليون دل، وانخفضت قيمة الواردات إلى 4 مليون دل.
- بلغ أقصى انخفاض لمعدل التغطية في عام 2012، حيث بلغ 8%، وذلك نتيجة لانخفاض قيمة الصادرات التي بلغت 335 ألف دينار، وارتفاع قيمة الواردات إلى 4.3 مليون دل ، ليرتفع من جديد عام 2014 ليحقق 33%، وذلك لإرتفاع قيمة الصادرات والتي بلغت 2.9 مليون دل، مقارنة بعام 2012، لذلك ينبغي الإهتمام بالصادرات السمكية وأسواقها، من أجل تغطية قيمة الواردات.

شكل (4) معدل التغطية للصادرات السمكية في ليبيا للفترة (1990 - 2014)



ويتضح من الجدول (4) والشكل (4) أن:

- يزيد معدل التغطية بزيادة قيمة صادرات الأسماك نسبيا عن قيمة وارداتها، وزيادة قيمة الصادرات أو انخفاضها تتأثر بمقدار الكمية المصدرة وأسعارها، كما أن انخفاض قيمة الواردات أو زيادتها، تتأثر بمقدار الكمية المستوردة وأسعارها.
- بلغ معدل التغطية الكلية 58 % عام 1990، وهذا يعني أن قيمة صادرات الأسماك الليبية قد أسهمت في تغطية 58 % من قيمة واردات الأسماك، غير أن هذا المعدل كان متذبذبا بشكل واضح خلال الفترة 1990 - 2014، فقد حقق معدلات مرتفعة، كما حدث في عام 1992 حيث بلغ معدل التغطية 238%. وكذلك ارتفع في عام 2002 فبلغ حوالي 218%. لارتفاع قيمة الصادرات، ويرتبط ذلك بنوع الأسماك المصدرة، والتي بلغت قيمتها 15.2 مليون د.ل، وانخفضت قيمة الواردات إلى 6.4 مليون د.ل عام 1992، في حين ارتفعت قيمة الصادرات عام 2002 إلى 8.8 مليون د.ل، وانخفضت قيمة الواردات إلى 4 مليون د.ل.
- بلغ أقصى انخفاض لمعدل التغطية في عام 2012، حيث بلغ 7.7%، وذلك نتيجة لانخفاض قيمة الصادرات التي بلغت 335 ألف دينار، وارتفاع قيمة الواردات إلى 4.3 مليون د.ل، ليرتفع من جديد عام 2014 ليحقق ما يقارب 33%، وذلك لارتفاع قيمة

التجارة الخارجية للثروة السمكية الليبية ودورها في سد الفجوة الغذائية

الصادرات والتي بلغت 2.9 مليون دل، مقارنة بعام 2012، لذلك ينبغي الاهتمام بالصادرات السمكية وأسواقها، من أجل تغطية قيمة الواردات.

المبحث الخامس- متوسط نصيب الفرد من الأسماك والفجوة الغذائية: تعمل ليبيا على توفير الغذاء من البحر، خاصة وأن هناك قيمة غذائية متنوعة في لحوم الأسماك حيث يحتوي على نسبة جيدة من البروتين، تصل إلى 20% من وزن السمكة⁽¹⁵⁾، ويحتوي البروتين على نسبة عالية من الأحماض الأمينية التي تنتمي إلى مجموعة الأوميغا-3، والتي تساعد على إذابة الكوليسترول، ويقلل من سرعة تخثر الدم، كما أنه مضاد للاكتئاب، ويساعد على مكافحة التوتر النفسي، وبالتالي فإن تناول السمك يقي من الإصابة بفقر الدم، وسوء التغذية، كما يحوي جسم السمكة البوتاسيوم، حيث تحتوي على نسبة من الكالسيوم بمتوسط قدره 30 مليجرام لكل 100 جرام من وزنها، في حين يوجد عنصر الفوسفور بمتوسط 220 مليجرام /100 جرام من وزنها على نسبة من الكالسيوم بمتوسط قدره 30 مليجرام لكل 100 جرام من وزنها، و يوجد عنصر الفوسفور بمتوسط 220 مليجرام /100 جرام من وزنها، وهذان العنصران لهما دور مهم في بناء العظام والأسنان ، وتنظيم العمليات الحيوية داخل الجسم، كما تحتوي الأسماك على عنصر اليود ، الذي يؤدي نقصه إلى تضخم الغدة الدرقية.

هذا وبالرغم من القيمة الغذائية للأسماك، إلا أن متوسط نصيب الفرد منها كان منخفضاً ومتذبذباً في ليبيا، من سنة إلى أخرى، خلال الفترة 1990-2014، ويرتبط ذلك بعدة عوامل أبرزها كمية الإنتاج، وكمية الواردات وعدد السكان، والجدول (5) يوضح تطور الإنتاج والمتاح للاستهلاك من الأسماك.

التجارة الخارجية للثروة السمكية الليبية ودورها في سد الفجوة الغذائية

جدول (5) تطور متوسط نصيب الفرد من الأسماك في ليبيا خلال المدة (1990: 2014)

السنون	الإنتاج المحلي (طن)	المتاح للاستهلاك (طن)	الفجوة (طن)	نسبة الإكتفاء %	عدد السكان (مليون نسمة)	متوسط نصيب الفرد (كجم/سنة)
1990	12771	18741	5970	68	4.334	4.3
1992	22788	20524	2264	110	4.521	4.5
1994	33500	34819	1319	98	4.687	7.4
1996	30203	34373	4170	87	4.862	7.0
1998	37000	45004	8004	82	5.041	7.1
2000	17617	26252	8635	68	5.231	5.0
2002	19831	25649	5818	77	5.434	4.8
2004	38510	47121	8611	80	5.542	8.3
2006	39215	42748	3533	92	5.657	7.5
2008	28350	30046	1696	93	6.149	4.8
2010	22604	25735	3131	94	6.355	4.0
2012	15831	17458	1627	90	5.363	3.2
2014	20374	22001	1625	90	5.813	3.7

المصدر: حساب الباحثة استنادا إلى الهيئة العامة للثروة البحرية، إحصاءات غير منشورة ، 1990-2014.

المتاح للاستهلاك = الإنتاج + الواردات - الصادرات (16)

الفجوة السمكية = المتاح للاستهلاك - الإنتاج.

نسبة الإكتفاء الذاتي = كمية الإنتاج / المتاح للاستهلاك × 100

متوسط نصيب الفرد = المتاح للاستهلاك / عدد السكان.

ومن خلال الجدول (5) والشكل (5) يتضح الآتي:

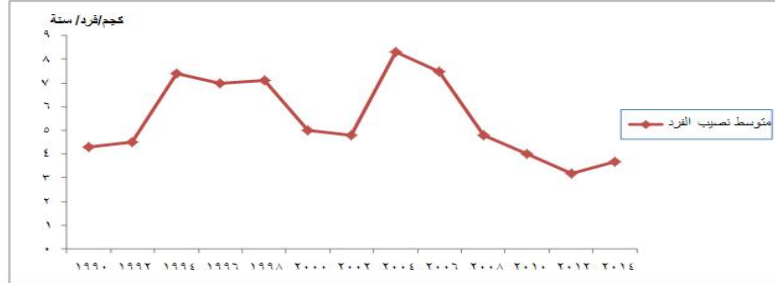
- تباينت كمية المتاح للاستهلاك من الأسماك، خلال الفترة 1990-2014، ليلبغ أقصى ارتفاع له في سنة 2004، حيث بلغ مايزيد عن 47 ألف طن، من الأسماك ويرجع ذلك إلى ارتفاع الإنتاج الذي بلغ 48 ألف طن، وكذلك تضاعف الواردات في هذه السنة، في حين انخفض المتاح للاستهلاك وبشكل كبير في سنة 2012، نظرا لانخفاض الإنتاج والواردات، حيث بلغ المتاح للاستهلاك 17458 طن.

د. فتحية أبو راوي اشتيوي منصور

التجارة الخارجية للثروة السمكية الليبية ودورها في سد الفجوة الغذائية

- ارتفعت نسبة الاكتفاء الذاتي إلى 110٪، وذلك لارتفاع كمية الإنتاج بالنسبة للمتاح للاستهلاك، وذلك في سنة 1992، تليها سنة 1994، حيث بلغت نسبة الاكتفاء الذاتي 98٪ لتقارب كمية الإنتاج مع المتاح للاستهلاك، وانخفضت نسبة الاكتفاء الذاتي من الأسماك في سنة 1990، حيث بلغت نسبة الاكتفاء 68٪، وذلك نتيجة انخفاض كمية الإنتاج مقارنة بالمتاح للاستهلاك.
- بلغ أقصى ارتفاع لمتوسط نصيب الفرد من الأسماك سنة 2004، وذلك لارتفاع كمية المتاح للاستهلاك، إلى عدد السكان، الذي لم يسجل نمواً كبيراً، فبلغ متوسط نصيب الفرد 8.3 كجم /سنة، تليها سنة 2006، حيث بلغ متوسط نصيب الفرد 7.5 كجم /سنة، في حين انخفض متوسط نصيب الفرد إلى 3.2 كجم/سنة، في سنة 2012 وذلك لانخفاض المتاح للاستهلاك إلى 17458 طن، ليرتفع متوسط نصيب الفرد قليلا في سنة 2014، ويصل إلى 3.7 كجم/سنة.

شكل (5) تطور متوسط نصيب الفرد من الأسماك في ليبيا خلال الفترة (1990 : 2014)



المصدر: اعداد الباحثة اعتمادا على جدول (5)

ب- الفجوة الغذائية السمكية في ليبيا: ومن بيانات الجدول (5) والشكل (6) الذي يوضح الإنتاج، والمتاح للاستهلاك ، وتذبذب حجم الفجوة الغذائية السمكية من خلال الفترة (1990 : 2014) يتضح أن:

- اتسعت الفجوة السمكية في كل من عامي 2000، و2004، حيث بلغت 8685 طن و8611 طن في كل منهما على التوالي، ويرجع اتساع الفجوة في عام 2000 إلى

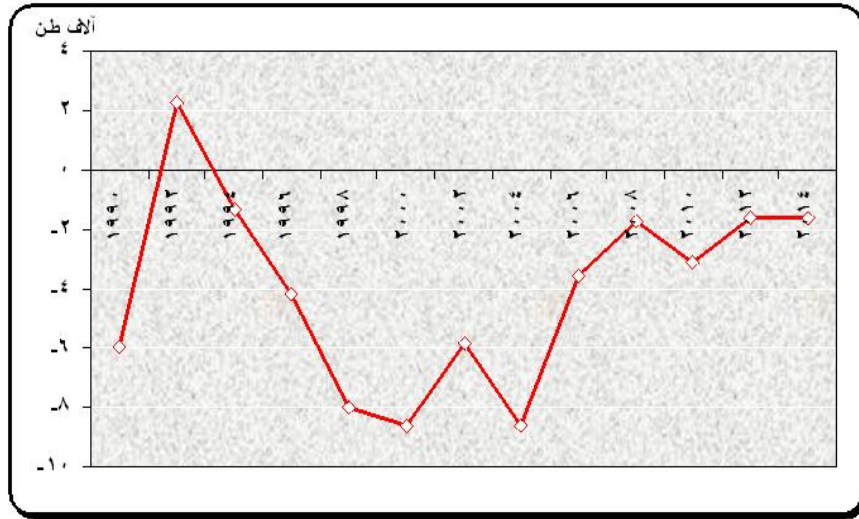
د. فتحية أبو راوي اشتيوي منصور

التجارة الخارجية للثروة السمكية الليبية ودورها في سد الفجوة الغذائية

انخفاض الإنتاج وارتفاع الكمية المستوردة من الأسماك، أما في سنة 2004، فبالرغم من ارتفاع الإنتاج، فقد كان هناك انتعاش في الاقتصاد، فعملت الدولة على توفير أنواع من الأسماك يقل إنتاجها محلياً، أو استيراد أنواع غير متوفرة، ويشتد الطلب عليها.

- تحقق فائض في الإنتاج وذلك في سنة 1992، حيث انخفضت الواردات وارتفع الإنتاج مقارنة بها، وبلغ حجم الفائض 2264 طناً، وارتفعت نسبة الاكتفاء الذاتي، وسجل أقل معدل للفجوة الغذائية السمكية في سنة 1994، حيث بلغ حجمها 1319 طناً، لانخفاض كمية الواردات بالنسبة للإنتاج السمكي.

شكل (6) تطور حجم الفجوة الغذائية السمكية في ليبيا للفترة 1990 - 2014



المبحث السادس - المشاكل التصديرية للأسماك: يشكل التصدير بصفة عامة، وتصدير الأسماك بصفة خاصة مصدراً هاماً من مصادر النقد الأجنبي، إلا أنه يلاحظ أن هناك فجوة ما بين قيمة الصادرات السمكية وقيمة الواردات في ليبيا، وهناك عجزاً في الميزان التجاري السمكي في معظم السنوات، بحيث يمكن القول أن نشاط التصدير السمكي في ليبيا يواجه أزمات عديدة ومتنوعة، تتمثل في:

التجارة الخارجية للثروة السمكية الليبية ودورها في سد الفجوة الغذائية

- المشاكل الإنتاجية والمرتبطة أساساً بهيكل القطاعات المنتجة للأسماك سواء من ناحية انخفاض الكميات المنتجة أو ثباتها، بالشكل الذي يؤدي إلى عدم الوفاء بحاجة السوق المحلي، وبالتالي عدم وجود فائض كبير للتصدير.
- قدرة السوق المحلي على استيعاب أي كميات من الأسماك، في أي وقت وبأي سعر، بحيث أصبح التصدير يعتمد على الفائض من السوق المحلي من أنواع معينة، وليس على الإنتاج المخصص للتصدير.
- صعوبة رسم سياسات واستراتيجيات طويلة المدى، للتعامل مع الأسواق الخارجية في مجال تصدير الأسماك ، كذلك إفتقار العلاقة بين الأجهزة المتعاملة في التصدير والإنتاج، للتنسيق فيما بينهم لنجاح النشاط التصديري .

النتائج:

1. اختلفت كمية الواردات السمكية الليبية، من سنة إلى أخرى، وارتفعت عام 2004، حيث بلغ الرقم القياسي أعلى قيمة له؛ ويرجع ارتفاع قيمة الواردات، إلى ارتفاع كمية الأسماك الموردة، وكانت مالطا هي أكثر دول العالم تصديراً لأسماكها إلى ليبيا تليها الصين ثم المغرب .
 2. بلغت أقصى قيمة للصادرات السمكية الليبية عام 1992 ، وكان الرقم القياسي 379 ، مقارنة بسنة الأساس 1990 ، وتوجهت معظم الصادرات إلى تونس التي استحوذت على 32 % من إجمالي الصادرات السمكية الليبية عام 2014 ، تليها تركيا.
 3. معدل تغطية الصادرات للواردات في ليبيا تباين من سنة لأخرى، وبلغ أعلى قيمة له عام 1992؛ لإرتفاع قيمة الصادرات الذي بلغ 238% ، وأقل قيمة كانت في عام 2012، وبعد ارتفاع هذا المعدل إنعكاس للإهتمام بتنمية الثروة السمكية.
- 1- يواجه نشاط التصدير السمكي أزمات عديدة، أهمها انخفاض الكميات المنتجة من الأسماك ، بالشكل الذي يؤدي إلى عدم توفير احتياجات السوق المحلي، وبالتالي عدم

التجارة الخارجية للثروة السمكية الليبية ودورها في سد الفجوة الغذائية

وجود فائض للتصدير، والذي يعتمد على وجود فائض وليس على إنتاج مخصص للتصدير، الأمر الذي ترتب عليه صعوبة رسم سياسات تتعامل مع الأسواق الخارجية

التوصيات:

- 1- العمل على زيادة الطاقة الإنتاجية السمكية من خلال العناية، بالإستزراع السمكي وتحسين وسائل الصيد، وتوفير المعدات الحديثة.
- 2- تحسين الكفاءة التسويقية وتحقيق التكامل بين قطاعات التجارة الخارجية .
- 3- العمل على تنمية وسائل النقل المجهزة، وخاصة مايتعلق باستخدام المبردات المناسبة لتجميد الأسماك، والمحافظة عليها من التلف، كما لا بد من تضافر خدمات وسائل النقل البري والبحري والجوي للنهوض بالتصدير.
- 4- دراسة السوق العالمي أمام الأسماك الليبية، والعمل على تحسين المنتج الليبي بما يتفق وأذواق المستهلكين على مختلف مستوياتهم .
- 5- تعديل وتفعيل بعض القوانين واللوائح الخاصة لهذا القطاع، والعمل على تشجيع استيراد وتوفير السلع الوسيطة، التي تدخل ضمن عناصر إنتاج الأسماك سواء في مجال الإصطياد أو التصنيع.
- 6- زيادة الوعي مع الجهات الحكومية والكوادر الوطنية التي تتعامل مع المصدرين، حيث يفترض في هذه الجهات أن تعمل على إزالة العقبات التي تواجه المصدر.

الهوامش:

- (1) محمد الأعور، المظاهر الساحلية وعلاقتها بالتشريعات البحرية الليبية، الساحل الليبي، تحرير الهادي أبولقمة، 1997، ص 123.
- (2) محمد السيد حافظ علي، المناخ وأثره على النشاط البشرى في شبه جزيرة سيناء- دراسة في المناخ التطبيقي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة القاهرة، 2001 .

د. فتحية أبو راوي اشتيوي منصور

التجارة الخارجية للثروة السمكية الليبية ودورها في سد الفجوة الغذائية

- (3) مصباح العرفي، الإنتاج السمكي في الجزء الشرقي من الساحل الليبي - مقوماته الجغرافية ومعوقاته، دار قباء الحديثة ، القاهرة ، 2008 .
- (4) مريم عوض الله حنا، تسويق الأسماك في مصر، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الإقتصاد الزراعي، كلية الزراعة، جامعة المنوفية، 2011 .
- (5) الشيباني علي الغنودي، مظاهر الثروة البحرية في ليبيا، دار الكتاب الوطنية، بنغازي، 2012.
- (6) أبو عبدة عبد القادر حويل، صيد الأسماك في ليبيا باستخدام تقنية الإستشعار عن بعد، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية النبات - جامعة عين شمس، 2015 .
- (7) فتحية أبو راوي اشتيوي منصور، تنمية الثروة السمكية في الساحل الشمالي الغربي الليبي فيما بين مصراتة ورأس جدير، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2018.
- (8) حميد الجميلي، دراسات في العلاقات الاقتصادية الدولية، أكاديمية الدراسات العليا، طرابلس، 2004، ص38.
- (9) Bagchi , S.(2006),Economic Geography , past present and future , Routledge ,New york .p23
- (10) رمضان علي أبو راوي، مؤتمر إشكالية التنمية الاقتصادية في ليبيا، 90-2010، عمان، 2014، ص13.
- (11) فتحي أبو راضي، الإحصاء التطبيقي في العلوم الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، 2001، ص 132.
- (12) مصرف ليبيا المركزي، النشرة الاقتصادية، 2013 ، ص 17.
- (13) F A O,(2016) The State Of World Fisheries And Aquaculture.p164.
- (14) مريم عوض الله حنا، مرجع سابق، 2011، ص 152.

د. فتحية أبوراوي اشتيوي منصور

التجارة الخارجية للثروة السمكية الليبية ودورها في سد الفجوة الغذائية

(15) محمد الزرقاني، دراسة حول برنامج تنمية الثروة البحرية، مجلة آفاق البحار، العدد 5، 1992، ص28.

(16) صابر مصطفى محمد، تطور إنتاج وتسويق الأسماك في ج. م. ع، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الزراعة، قسم الاقتصاد الزراعي، جامعة الأزهر، 1995، ص145.

د. مولود الهادي إبراهيم سليمان

كلية الآداب - جامعة الزاوية

مقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسول الله النبي المجتبي، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى.

فقد راعى المشرع الحكيم اعتبار المصالح عند التصرف في أموال الغير، ومن جملة هذه التصرفات التصرف في مال المدين المفلس عند الحجر عليه، كما راعى المشرع أيضاً مصلحة الدائنين التي تعلقت ديونهم بذمة المفلس؛ فاختار المشرع الأصلح والأنفع لكل من المدين والدائن، وتظهر هذه المصلحة في مشروعية مراعاة الترتيب في بيع مال المفلس أو تقسيمه عند إحاطة الدين بماله؛ فيراعى الترتيب فيما يقدم بيعه، وما يؤخر من أمواله كما يراعى أيضاً عند كثرة ديونه وما يترك له من نفقة نفسه وعياله، ومن جملة ما يراعى كذلك حق الدائنين عند إعلان الإفلاس على المدين والحجر عليه بتقديم حقوقهم على غيرهم، ومسألة مراعاة الترتيب في مال المفلس من المسائل القديمة؛ فقد تناولها الفقهاء كثيراً في باب أحكام المفلس أو الحجر مما يدل على اهتمامهم بها، كما أنها من المسائل المتجددة وكثيرة الحدوث في واقعنا المعاصر وخاصة في القضاء عند الحجر على المدين المفلس.

والناظر في هذه المسألة يجد أنها جاءت مفرقة بين كتب الفقه والحديث وشروحه وغيرها، كما أن الأقوال الفقهية فيها بحاجة إلى تحرير محل النزاع من حيث بيان وجه الاتفاق والاختلاف، كما أنها من حيث التأصيل والتدليل تحتاج إلى دراسة، وخاصة أحاديث التقليل من حيث ثبوتها ودالاتها على مراعاة الترتيب في ديون المفلس، من حيث التقدم والتأخر بتعلق حقوق الدائنين فيها، وهو ما تقصد إليه هذه الدراسة المتواضعة. ويقوم منهج الدراسة على تتبع وذكر أقوال الفقهاء في المذاهب الفقهية الأربعة وأحياناً الظاهرية - إن وجدت قولاً لهم - مراعيًا في ذكر الأقوال وجه الاتفاق والاختلاف في

المسألة وأدلة الأقوال مع ذكر المناقشة وأجوبتها ثم أعقبه بالترجيح مختاراً فيه القول الذي يؤيده الدليل، واقتضت طبيعة هذه الدراسة تقسيمها إلى تمهيد ومقدمة ومطلبين وخاتمة وذلك على النحو التالي:

تمهيد: التعريف بالترتيب والمفلس.

أولاً: تعريف الترتيب لغة واصطلاحاً.

ثانياً: تعريف المفلس لغة واصطلاحاً.

المطلب الأول: الترتيب في بيع مال المفلس.

المطلب الثاني: الترتيب في قسمة مال المفلس.

أما الخاتمة فتشتمل على أهم النتائج المستخلصة من البحث.

تمهيد: التعريف بالترتيب والمفلس.

أولاً- تعريف الترتيب لغة واصطلاحاً:

أ-الترتيب في اللغة: له أكثر من معنى؛ فهو مشتق من أصل المادة (رتب)؛ فيقال: رتب يرتب ثبت فلم يتحرك، وأمر راتب أي: دائم ثابت، والرتبة والمرتبة: المنزلة الرفيعة عند الملوك ونحوها وجمعها مراتب⁽¹⁾.

والترتيب في اللغة -أيضاً- "جعل كل شيء في مرتبته"⁽²⁾، والمعنى: أن الترتيب بين الأشياء في اللغة هو وضع كل شيء منها في مرتبة له عند المرتب... وفيه إشارة إلى أنه لا بد في الترتيب من اعتبار ومراعاة المرتبة؛ فلو وضع شيء في مرتبة ولم يلاحظها المرتب لا يكون ترتيباً ويظهر من التعريف اللغوي أن الترتيب هو وضع شيء بعد شيء إلا أن ذكر لفظة (كل) فيها إشارة إلى أن الترتيب في اللغة إنما يتحقق إذا وضع كل شيء في موضعه؛ فلو انتفى في شيء منها انتفى الترتيب⁽³⁾.

ب-الترتيب في الاصطلاح:

اشتهرت تعريفات الترتيب عند الأصوليين والفقهاء؛ فكانت لهم تعريفات مختلفة أهمها:

مراعاة الترتيب في مال المفلس "دراسة فقهية تأصيلية

1- عرفه بعض الأصوليين بأنه: "جعل كل واحد من شيئين فأكثر في رتبته التي يستحقها بوجه ما"⁽⁴⁾. فقولهم: (جعل كل واحد من شيئين فأكثر) معناه: أن الترتيب يكون بين شيئين أو أكثر من شيئين أما تصور الترتيب في الشيء الواحد؛ فلا يعتبر ترتيباً⁽⁵⁾.

وقولهم: (في رتبته) أي: منزلته⁽⁶⁾، وقولهم: (التي يستحقها بوجه ما) أي: يستحقها بوجه من الوجوه المعتبرة لأن أسباب الترتيب ومرجاته متفاوتة ومتنوعة في المراتب؛ فقد يستحق الشيء التقديم من جهة قوته أو قربه أو حسنه أو غيرها من الجهات⁽⁷⁾.

2- ما عرفه بعض المعاصرين من الفقهاء وهو تعريف أهل اللغة: "جعل كل شيء في مرتبته"⁽⁸⁾. وبالنظر في هذا التعريف يتضح أن فيه نوعاً من الإجمال وعدم تعيين صريح للمرتبات حيث يدخل فيه الشيء الواحد، إذا وضع في مرتبته، والترتيب لا يكون إلا بين شيئين فأكثر؛ فهذا التعريف أقرب إلى التعريف اللغوي وهو غير مراد عند الفقهاء.

3- عرف بعض الفقهاء الترتيب بأنه: "جعل الأشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها اسم الواحد ويكون لبعض أجزائه نسبة إلى البعض بالتقدم والتأخر"⁽⁹⁾.

فقولهم: (جعل الأشياء الكثيرة) معناه: أن الشيء الواحد لا يدخل ضمن الترتيب؛ فلا يطلق الترتيب إلا مع كثرة الأشياء وتعددتها كما سبق في بيان المأخذ على التعريف اللغوي. وقولهم: (ويكون لبعض أجزائه نسبة إلى البعض بالتقدم والتأخر) هذا القيد أخرج التأليف إذ لا يعتبر فيه نسبة بعض الأجزاء إلى البعض بالتقدم والتأخر⁽¹⁰⁾.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

من خلال النظر في التعريفين يظهر بعض التفاوت من حيث أن التعريف الاصطلاحي أعم وأشمل؛ فهو لا يكون إلا بين شيئين فأكثر بخلاف التعريف اللغوي؛ فلا يشترط فيه ذلك فهو لشيء واحد والشيء الواحد لا يتصور فيه التعدد ومن ثم يفقد نسبة التقدم والتأخر⁽¹¹⁾.

ثانياً- تعريف المفلس لغة واصطلاحاً:

أ- **التفليس في اللغة:** من الإفلاس وهو مصدر من أفلس، يقال: أفلس الرجل إذا صار ذا فلوس بعد أن كان ذا ذهب وفضة، أو صار إلى حال ليس له فلوس، والمفلس اسم

مفعول من أفلسه القاضي تفلّيساً نادى عليه وشهّره بين الناس بأنه صار مفلساً، والإفلاس الانتقال من حالة اليسر إلى حالة العسر⁽¹²⁾.

ب- **التفليس في الاصطلاح:** يطلق التفليس أو الإفلاس في الاصطلاح الفقهي على معنيين: أحدهما: أن يستغرق الدين مال المدين؛ فلا يكون في ماله وفاء بدينه. الثاني: أن لا يكون له مال معلوم أصلاً⁽¹³⁾.

والظاهر أن المعنى المراد هو الأول؛ فهو الغالب في استعمال الفقهاء؛ فيكون الإفلاس في الاصطلاح هنا: أن يكون الدين الذي على الرجل أكثر من ماله، سواء أكان غير ذي مال أصلاً، أم كان له إلا أنه أقل من دينه⁽¹⁴⁾. وعلى حسب المعنيين السالف ذكرهما عرف العلماء المفلس: فمن المعنى الأول: عرفه بعض الشافعية أنه "من حُجّر عليه لنقص ماله عن دين عليه لأدمي"⁽¹⁵⁾. ومن المعنى الثاني: هو الذي لا مال له ولا ما يدفع به حاجته⁽¹⁶⁾. وإنما سمي هذا مفلساً لأنه لا مال له إلا الفلوس وهي أدنى أنواع المال، وتقدم أن المعنى المقصود لدى الفقهاء هو المعنى الأول ولهذا كان المفلس في عرف الفقهاء: من دينه أكثر من ماله وإنفاقه أكثر من دخله، وسموه مفلساً، وإن كان ذا مال لأن ماله مستحق الصرف في جهة دينه فكأن ماله معدوم⁽¹⁷⁾.

علاقة الترتيب بمال المفلس:

يدخل الترتيب تحت فروع وجزئيات كثيرة في الأحكام الفقهية سواء أكانت هذه الفروع في العبادات أم المعاملات، ومن جملة ما يتصور فيه الترتيب في باب المعاملات مال المفلس عند إحاطة الدين بماله وطلب الدائنين من القاضي الحجر عليه لاستيفاء حقوقهم المالية أو العينية من المفلس المدين، وتقدم في تعريف الترتيب أنه يكون بين شيئين فأكثر حيث يظهر و يتصور في مال المفلس عند بيع ماله أو تقسيمه؛ ففي بيع أمواله العينية أو المالية يتصور الترتيب فيما يقدم في البيع من الأشياء ويبدأ به هل يقدم في البيع ويبدأ بالحيوان ثم العقار أو تقدم النقود؟ كما يتصور الترتيب ويظهر في قسمة ماله بين الدائنين فيما امتازت ديونهم عن غيرهم كمن وجد عين ماله عند المفلس هل تكون الأولوية للدائنين أو لمن وجد عين ماله عند المفلس؟ كما يظهر -أيضاً- في تقسيم

ماله كحق المرتهن الذي تعلق بعين الرهن وذمة المفلس وحقوق باقي الغرماء الذين تعلقت حقوقهم بذمة المدين وغيرها.

المطلب الأول- الترتيب في بيع مال المفلس:

تحرير محل النزاع:

إذا أفلس المدين وكان له مال⁽¹⁸⁾ يفي بالديون التي عليه للغرماء؛ فلا يحجر عليه لأنه لا حاجة للحجر عليه، بل يأمره القاضي بقضاء الديون، أما إذا أفلس المدين وطلب الغرماء من القاضي الحجر عليه وبيع ماله، فإنهم يجابون إلى ذلك في قول جمهور الفقهاء من المالكية، والشافعية، والحنابلة، وهو قول صاحبي أبي حنيفة أبو يوسف ومحمد، وعليه الفتوى عند الحنفية⁽¹⁹⁾، ثم اختلف القائلون ببيع ماله فيما يبدأ به من حيث مراعاة الترتيب على قولين، القول الأول: أنه يبدأ أولاً ببيع ما يسرع إليه الفساد كالفواكه والبقول ونحوها، ثم بالحيوان، ثم بالمنقول من الأثاث، ثم بالعقار، وهذا مذهب المالكية، والشافعية، والحنابلة، وهو قول عند الحنفية⁽²⁰⁾.

القول الثاني: أنه يبدأ في البيع بالنقود ثم بالعروض ثم العقار وهذا هو المذهب عند الحنفية⁽²¹⁾.

الأدلة: استدلت أصحاب القول الأول بأدلة منها:

أولاً: أن ما يسرع إليه الفساد إذا أخر هلك؛ فلا يستفاد منه؛ فكان الواجب تقديمه⁽²²⁾.

ثانياً: أن الحيوان يحتاج إلى العلف ويخشى عليه الهلاك والتلف، وكذا الأثاث تتاله الأيدي ويخشى تلفه⁽²³⁾.

ثالثاً: أن العقار أبعداها عن التلف، وتأخيرها أكثر لمطالبته فيزداد ثمنه⁽²⁴⁾.

واستدل أصحاب القول الثاني بأدلة منها:

أولاً: أن هذا بيع للأهون فالأهون؛ ففيه مسارعة لقضاء دينه ومراعاة المدين⁽²⁵⁾.

ثانياً: أن العروض معدة للتلف، والتصرف والاسترباح؛ فلا يلحقه ضرر في بيعه فإن لم تف حينئذ بيع العقار⁽²⁶⁾.

المناقشة:

مناقشة أدلة القول الأول: يمكن أن يناقش تعليلهم الأول، أنه قد يتوفر من وسائل الحفظ ما يتأخر معه الفساد، من وجود حافظات للفاكهة وكذلك غيرها، فلا يتعين الابتداء بها حينئذ.

ويمكن مناقشة التعليل الثاني، بأن احتياج الحيوان إلى العلف لا يعني سرعة التخلص منه؛ فإنه وإن احتاج إلى نفقة ورعاية؛ فقد يكون ذلك زيادة في سعره أضعاف ما كان عليه. ويمكن القول -أيضاً- بأنه لا يلزم من تأخير بيع العقار، أن يكون أربح وأفضل، بل قد يكون الأمر بخلاف ذلك، ويمكن أن يناقش تعليل القول الثاني، من قولهم: أن العروض معدة للتلف والتصرف والاسترباح فيناقش: ولكن مع ذلك فإنه قد يكون الخسارة في بيعها أكثر من بيع العقار أو غيره، لنزول في أسعار العروض أو لكساد تجارتها.

حكم الترتيب:

اختلف الفقهاء في حكم الترتيب لأموال المفلس من حيث تقديمها للبيع بين الوجوب والاستحباب؛ فمنهم من صرح بحكم الترتيب، ومنهم من لم يصرح بحكمه ولكن يفهم منه الترتيب؛ فالمالكية من الذين لم يصرحوا بحكم الترتيب في بيع أموال المفلس وذلك -فيما اطلعت عليه- ولكن يفهم من كلام بعضهم: أن الإمهال أو الانتظار في بيع العقار كان على سبيل الوجوب ولا يباع في الحال بل ينتظر به الشهر والشهران حتى يطلب به أعلى الأسعار بخلاف الحيوان فينتظر بيعه مدة يسيرة كتلاثة أيام ونحوها يكون فيها الخيار للبائع المفلس لطلب الزيادة في السعر، فهذا الانتظار في البيع بين العقار والحيوان من حيث طول المدة ويسيرها يفهم منها وجوب الترتيب وذلك في قولهم: وعجل ببيع الحيوان بلا تأخير ولا يستأني به كالعقار⁽²⁷⁾، أما الذين صرحوا بحكم الترتيب فهم فقهاء الشافعية ولكنهم اختلفوا في حكم هذا الترتيب فذهب بعضهم إلى أن الترتيب واجب، بينما ذهب بعضهم الآخر إلى أن الترتيب مستحب، والظاهر عند الشافعية أن الترتيب في غير ما يسرع فساده وغير الحيوان مستحب⁽²⁸⁾.

الترجيح:

يظهر من خلال عرض القولين والتعليقات أن المسألة عارية من الدليل النقلية، وإنما هو اجتهاد من الفقهاء في اختيار الأصلح لكل من المدين والدائن، ولما كان كذلك فإن من الصعب تحديد ترتيب معين لجميع الأوقات والأماكن والأعراف؛ فإنه لا يزال الانتفاع بالسلع يختلف من وقت إلى آخر، ومن مكان إلى آخر، وكذلك يختلف تقويم تلك السلع والرغبة في شرائها، ووسائل حفظها مع وجود الاختلافات الخاصة، لذا كان الأظهر والأصح أن يبقى الأمر خاضعاً لنظر الحاكم أو القاضي في كل قضية بحسبها، وكل وقت بحسبه كما أشار إلى ذلك بعض الفقهاء بقوله: "والحاصل أن القاضي نصّب ناظراً؛ فينبغي أن ينظر للمدين كما ينظر للمدين فيبيع ما كان أنظر إليه"⁽²⁹⁾. وجاء في مغني المحتاج: "وقد تقتضي المصلحة تقديم بيع العقار أو غيره إذا خيف عليه من ظالم؛ فالأحسن تفويض الأمر إلى اجتهاد الحاكم"⁽³⁰⁾. ولكن ينبغي للقاضي أن لا يغفل عما ذكره الفقهاء في هذا الترتيب والله أعلم.

المطلب الثاني - الترتيب في قسمة مال المفلس:

إن مراعاة الترتيب في قسمة مال المفلس يراعى فيه جانب الغرماء وجانب المفلس أما جانب الغرماء؛ فيظهر ذلك في المساواة بين الغرماء وهو من تحقيق العدالة غير أن من الغرماء من امتازت ديونهم على غيرهم فاستحقوا التقديم لأسباب ومرجحات معتبرة، وأما مراعاة جانب المفلس فيظهر في تقديم حاجاته الضرورية من نفقة وكسوة هو ومن تلزمه نفقته، وهذا ما يمكن استعراضه في المسائل التالية:

المسألة الأولى - تقديم من وجد عين ماله:

تحرير محل النزاع.:

إذا ثبت إفلاس شخص وقضى الحاكم ببيع ماله وتقسيمه وتوزيعه بين الغرماء؛ فوجد أحد الغرماء عين ماله التي باعها للمفلس فما هو مدى استحقاق هذا الغريم لعين ماله إذا وجدها قائمة عند المفلس وتقديمه على بقية الغرماء؟ ذكر الفقهاء أموراً مقدمة ومستحقة لبعض الغرماء لمسوغات جاءت في السنة بشكل مستفيض، وحكم بها الفقهاء، ومن ذلك

من وجد عين ماله لدى المفلس؛ وأقبضها له⁽³¹⁾؛ فقد اختلف الفقهاء في تقديمه على سائر الغرماء وأحقيقته باسترجاعه على قولين:

القول الأول: أن الرجل إذا وجد متاعه بعينه عند المفلس فهو أحق به من سائر الغرماء بشروطه⁽³²⁾، وهذا مذهب الجمهور من المالكية، والشافعية، والحنابلة، والظاهرية⁽³³⁾.

القول الثاني: أن الرجل إذا وجد متاعه عند المفلس فهو أسوة الغرماء ليس له مزية عليهم، وهذا مذهب الحنفية⁽³⁴⁾.

الأدلة: استدلت أصحاب القول الأول بأدلة منها:

أولاً: ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: (من أدرك ماله بعينه عند رجل قد أفلس؛ فهو أحق به من غيره)⁽³⁵⁾؛ فهو صريح الدلالة: على أن البائع أحق بسلعته إذا وجدها بعينها عند المفلس⁽³⁶⁾.

ثانياً: أن هذا عقد يلحقه الفسخ بالإقالة، فجاز فيه الفسخ لتعذر العوض، كالمسلم فيه إذا تعذر⁽³⁷⁾.

ثالثاً: القياس على شرط الرهن، فكما أن من شرط في البيع رهناً فعجز عن تسليمه استحق الفسخ، وهو وثيقة بالثمن، فالعجز عن تسليم الثمن بنفسه أولى⁽³⁸⁾.

رابعاً: أن فلس المبتاع بثمن المبيع مع بقاءه على صفته، وعدم تعلق حق الغير به يوجب للبائع الفسخ، أصله قبل القبض⁽³⁹⁾.

واستدل أصحاب القول الثاني بأدلة من أهمها ما يلي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾⁽⁴⁰⁾. وجه الدلالة: أن البائع إذا سلم المبيع للمشتري فله أن يسترده و لكنه أسوة الغرماء و ليس للبائع أن يفسخ البيع، لأن المشتري المفلس حين أفلس بالثمن قد استحق الإنظار شرعاً، ولو أجله البائع لم يكن له أن يفسخ العقد قبل مضي الأجل حيث صار مؤجلاً إلى ميسرة بتأجيل الشارع، و هو أولى وأقوى من أن يتمكن البائع من استرداد المبيع لنفسه دون مشاركة الغرماء⁽⁴¹⁾.

ثانياً: استدلو بما روي عن ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن أن رسول الله صلى الله عليه (قضى بالسلعة يبتاعها الرجل فيفلس وهي عنده بعينها، لم يقبض صاحبها من

ثمنها شيئاً فهو أسوة الغرماء⁽⁴²⁾. فهذا الحديث صريح الدلالة: أن صاحب المتاع ممن وجد متاعه بعينه أسوة الغرماء في كل حال وبكل اعتبار⁽⁴³⁾.

ثالثاً: قالوا إن العقد يوجب ملك الثمن للبائع في ذمة المشتري وهو الدين، وذلك وصف في الذمة، ولا يتصور فيه العجز، ولا يتغير عليه موجب عقده أبداً لأن بقاء محله وهو الذمة؛ فصار كما إذا كان ملياً⁽⁴⁴⁾.

المناقشة:

مناقشة أدلة القول الأول:

نوقش حديث أبي هريرة رضي الله عنه بعدة مناقشات أهمها:

أولاً: أن حديث أبي هريرة جاء من وجوه وروايات مختلفة فروي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أيما رجل باع سلعة فأدركها عند رجل قد أفلس؛ فهو ماله بين غرمائه)⁽⁴⁵⁾؛ فاختلفت الرواية وذلك يوجب وهنا في الحديث⁽⁴⁶⁾.

ثانياً: قال الخطابي: "قال من يحتج لقولهم هذا مخالف للأصول الثابتة ولمعانيها، المبتاع قد ملك السلعة وصارت من ضمانه، فلا يجوز أن ينقض عليه ملكه"⁽⁴⁷⁾؛ فتأولوا الحديث بأنه خبر واحد مخالف للأصول⁽⁴⁸⁾.

ثالثاً: أن الحديث قال: "فأصاب رجل ماله بعينه وإنما ماله بعينه يقع على المغصوب والعواري والودائع وما شابه ذلك؛ فذلك ماله بعينه فهو أحق من سائر الغرماء، وإنما يكون الحديث حجة لقولهم لو كان لفظه "فأصاب رجل غير ماله قد كان له؛ فباعه من الذي وجدته في يده ولم يقبض منه ثمنه فهو أحق به من سائر الغرماء"⁽⁴⁹⁾.

رابعاً: نوقش الحديث بأن المراد إذا باع شيئاً على أنه بالخيار؛ فوجد المشتري مفلساً في مدة الخيار فهو أحق بماله⁽⁵⁰⁾.

رابعاً: نقل عن بعضهم أنه حمل على ما قيل القبض⁽⁵¹⁾.

الجواب عن هذه الاعتراضات: من وجهين مجمل ومفصل أما المجمل: فهو ما قاله ابن عبد البر: في الكلام على هذا الحديث: "وحديث التفليس هذا من رواية الحجازيين والبصريين حديث صحيح عند أهل النقل ثابت وأجمع فقهاء الحجازيين وأهل الأثر على

القول بجملته، وإن اختلفوا في أشياء من فروعهم، ودفعه من أهل العراق أبو حنيفة وأصحابه وسائر الكوفيين وردوه، وهو مما يعد عليهم من السنن التي ردوها بغير سنة صاروا إليها، وأدخلوا النظر حيث لا مدخل له، ولا مدخل للنظر مع صحيح الأثر، وحثهم أن السلعة ملك المشتري وثمنها في ذمته؛ فغرماته أحق بها كسائر ماله، وهذا مما لا يخفى على أحد، لولا أن صاحب الشريعة جعل لصاحب السلعة إذا وجدها بعينها ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾⁽⁵²⁾، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾⁽⁵³⁾.

ولو جاز أن ترد مثل هذه السنة المشهورة عند علماء المدينة وغيرهم، بأن الوهم والغلط ممكن فيها، لجاز ذلك في سائر السنن حتى لا تبقى بأيدي المسلمين سنة إلا قليل مما اجتمع عليه⁽⁵⁴⁾.

أما الجواب التفصيلي فهو كما يلي: أما ما جاء في الرواية التي استدلوا بها، التي قالوا أنها توجب وهنا في حديث أبي هريرة؛ فإنها رواية ضعيفة وقد أعلت بالإرسال⁽⁵⁵⁾، ومثل هذه الرواية الضعيفة لا تعارض بحديث أبي هريرة الصحيح.

وأما المناقشة الثانية، بأنه مخالف للأصول؛ فإنه يجاب عنه بقول الخطابي: "والحديث إذا صح وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس إلا التسليم له، وكل حديث أصل برأسه، ومعتبر بحكمه في نفسه؛ فلا يجوز أن يعترض عليه بسائر الأصول المختلفة، أو يتذرع إلى إبطاله بعدم النظر له وقلة الأشباه في نوعه، وهنا أحكام خاصة وردت بها أحاديث؛ فصارت أصولاً كحديث المصراة"⁽⁵⁶⁾. وأجاب كثير من العلماء بمثل هذا الجواب أو بمعناه⁽⁵⁷⁾.

وأما قولهم بأن الحديث خبر واحد فقد أجاب عنه ابن حجر بقوله: بأنه مشهور من غير هذا الوجه؛ فقد أخرجه ابن حبان عن ابن عمر بإسناد صحيح وأخرجه أحمد وأبو داود من حديث سمرة، وإسناده حسن، وقضى به عثمان، وعمر بن عبد العزيز، بل قال ابن المنذر

روينا عن عثمان وعلي رضي الله عنهما وغيرهما هذا القول، ولا نعلم أحداً من أصحاب رسول الله خالف عثمان وعلياً⁽⁵⁸⁾، يعني - بمثل رواية حديث أبي هريرة - المشهورة. وأما قولهم: إن المراد بالحديث العواري والمغصوب، قال ابن عبد البر: "ومن أفبح ما جاء به أهل الكوفة في هذه المسألة، دعواهم أن ذلك في الودائع والأمانات، وهذا تجليح وتصريح برد السنة بالرأي، لأنه في حديث هذا الباب قوله "من باع متاعاً فأفلس المبتاع" فذكر البيع من وجوه كثيرة بألفاظ البيع و الإبتياح..."⁽⁵⁹⁾؛ فمنها ما جاء في رواية ابن شهاب الزهري (أيما رجل باع متاعاً...) ⁽⁶⁰⁾، ورواية (إذا أفلس الرجل فوجد الرجل عنده سلعته...) ⁽⁶¹⁾. قال البيهقي: "فهذه الروايات الصحيحة في البيع أو السلعة، تمنع حمل الحكم فيها على الودائع. . ." ⁽⁶²⁾.

و أجب أيضاً؛ بأن لو أريد هذا المعنى لم يقيد بالفلس، ولما جاء الفعل "أحق" على صيغة أفعال لما يقتضيه من الاشتراك ⁽⁶³⁾.

و أما قولهم: إن المراد به في زمن الخيار؛ فيمكن الجواب عن ذلك بأنه لا يصح فإنه في زمن الخيار لا أحد يشارك البائع في استحقاق المتاع، لأنه لا زال في ملكه، ولكن كما قال النووي لما ذكر روايات الحديث: "و تأولها أبو حنيفة تأويلات ضعيفة مردودة"⁽⁶⁴⁾ وقولهم: قبل القبض؛ فذلك مردود عليه أيضاً بنص الأحاديث فقد جاء في رواية البخاري "عند رجل"، وفي رواية أخرى "ثم أفلس وهي عنده بعينها" فلو لم يقبضه المشتري ما نص في الحديث على أنه عنده ⁽⁶⁵⁾ كما يرد عليهم برواية "أدرك ماله أو وجد ماله" فلو كانت في يده ما قال "أدرك" و"وجد" إذ لا يقال وجدها صاحبها، وأدركها عند نفسه ⁽⁶⁶⁾. وعلى التسليم بأنه قبل القبض فإن من العلماء من لم يفرق بينهما قال ابن حزم "ولا فرق بين من قبض وبين من لم يقبض"⁽⁶⁷⁾.

مناقشة أدلة القول الثاني:

أما استدلالهم بالآية فجوابه أن يقال: إنها خارجة عن محل النزاع؛ فالإنظار فيما لا يوجد عند المفلس، وهذا لا نزاع فيه، وإنما الخلاف فيما إذا وجد عند المفلس هل يكون صاحبها أولى بها أو يكون أسوة الغرماء؟، وعلى فرض دخوله في الآية؛ فيكون

مخصوصاً بالحديث⁽⁶⁸⁾ وأما ما استدلوا به من خبر عن أبي بكر بن عبد الرحمن فهو مرسل لا يلزم الاحتجاج به كما أنه مخالف للمشهور الذي روي من طرق مختلفة في الصحيحين وغيرهما⁽⁶⁹⁾. وأما تعليلهم فيمكن القول: إنه لا يصلح للاحتجاج به لمعارضته لصريح السنة.

الترجيح: يظهر من خلال عرض المسألة بأدلتها رجحان القول الأول وذلك لما يأتي:

1- ظهور وقوة الدليل النقلي سواء من حيث الثبوت أو الدلالة؛ فهو صريح صحيح في الدلالة على ذلك.

2- أن ما استدل به أصحاب القول الثاني إنما هي تأويلات لا تقوم على أساس ليعارضوا بها السنة دون دليل يسوغ لهم ذلك.

فرع في التفريق بين حال الحياة والموت: لما ذهب جمهور الفقهاء غير الحنفية إلى تقديم من وجد عين ماله عند المفلس، جرى بينهم خلاف في عموم استحقاقه وتقديمه في حال الحياة والممات، أو اختصاص التقديم بالحياة على قولين: القول الأول: أن الرجل أحق بعين ماله، سواء كان المفلس حياً أو ميتاً، وهذا قول الشافعية والظاهرية⁽⁷⁰⁾. القول الثاني: أنه أحق بعين ماله في حال الحياة، أما في حال الموت فهو أسوة الغرماء، وهذا مذهب المالكية والحنابلة⁽⁷¹⁾.

الأدلة: استدل أصحاب القول الأول بما يلي:

أولاً: ما جاء عن أبي المعتمر، عن عمر بن خلدة، قال أتينا أبا هريرة رضي الله عنه - في صاحب لنا قد أفلس فقال: لأفضين بينكم بقضاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (من أفلس أو مات فوجد رجل متاعه بعينه ؛ فهو أحق به)⁽⁷²⁾.

وجه الدلالة: أن الحديث صريح في أن الرجل أحق بسلعته، إذا وجدها بعينها في حال الحياة أو الممات⁽⁷³⁾.

ثانياً: أنه استحق بفلس الحي أن يرجع بعين ماله مع بقاء ذمته ؛ فرجوعه بفلس الميت أولى⁽⁷⁴⁾.

ثالثاً: أن كل حق تعلق بالعين، لم يبطل بالموت مع بقاء العين كالرهن إذا مات راهنه⁽⁷⁵⁾.

رابعاً: أن من أقوى أحوال الميت أن يكون مثل موروثه ؛ فلما لم يكن للمفلس أن يمنع البائع من الرجوع بعين ماله ؛ فوارثه أولى أن لا يكون له منع البائع من الرجوع بعين ماله⁽⁷⁶⁾.

واستدل أصحاب القول الثاني بأدلة منها:

أولاً: ما جاء في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم - قال: (فإن مات فصاحب المتاع أسوة الغرماء)، وفي لفظ آخر (أيما امرئ مات وعنده مال امرئ بعينه، اقتضى من ثمنه شيئاً أو لم يقتض، فهو أسوة الغرماء)⁽⁷⁷⁾؛ فهذا الحديث دلالة صريحة على التفريق بين الموت والفلس في إثبات الرجوع للبائع في حالة الفلس، وفي حالة الموت يكون أسوة الغرماء⁽⁷⁸⁾.

ثانياً: أنه حق تعلق به حق غير المفلس والغرماء، وهم الورثة فأشبه المرهون⁽⁷⁹⁾.

ثالثاً: أن هناك فرقاً بين الفلس والموت؛ فإن ذمة المشتري في حال الفلس كمن اشترى معيماً فله استرجاعه ولا ضرر على الغرماء، وأما الموت وإن عينت الذمة لكنها خربت ؛ فلو اختص البائع بسلعته عظم الضرر على بقية الغرماء⁽⁸⁰⁾.

المنافشة: نوقشت أدلة القول الأول بمعارضات من أهمها ما يلي:

أولاً: أن حديث أبي هريرة في إسناده رواة مجهولون، لأن فيه أبو المعتمر مجهول وغير معروف بحمل العلم كما ذكر ذلك ابن المنذر وأبو داود وابن قدامة⁽⁸¹⁾. وأجيب بأن ابن حجر حسنه وقال: "إنه يحتج بمثله"⁽⁸²⁾.

ويمكن الإجابة بعدم التسليم بتحسين الحديث، إذ قد نص المحدثون وعلماء الرجال على أن أبا المعتمر مجهول⁽⁸³⁾، وذلك يوجب ضعف الحديث.

ونوقش الحديث أيضاً، بأنه غير معمول به إجماعاً ؛ فإنه جعل المتاع لصاحبه بمجرد الموت من غير شرط فلسه، ولا تعذر وفائه، ولا عدم قبض ثمنه، والأمر بخلاف ذلك عند جميع العلماء إلا ما حكى عن بعض من أصحاب الشافعي. ونوقش أيضاً؛ بأنه وجد متاعه عند ورثته، وليس عنده⁽⁸⁴⁾.

ونوقش أيضاً، بأنه مطلق وحديث المفرقين بين الموت والحياة يقيدده (85) ويمكن الإجابة، بأنه ليس مطلقاً بل فيه تقييد بالموت؛ فهو مخالف له وليس بينهما عموم وخصوص.

ونوقش أيضاً: بأن في حديث المفرقين زيادة، والزيادة من الثقة مقبولة (86)، ويمكن الإجابة عن هذا بأنه زيادة في حديث مرسل مخالف لما في الصحيحين، كما أن إطلاق القول: بأن زيادة الثقة مقبولة فيه نظر فقد جاء في كتاب توجيه النظر: فقد اشتهر عن جمع من العلماء إطلاق القول بقبول زيادة الثقة مع أن قبولها مقيد بشروط، وأما الذين لم يطلقوا القول في قبول زيادة الثقة فكثير من أئمة الحديث المتقدمين؛ فقد نقل عنهم اعتبار الترجيح في الزيادة وغيرها ولم يعرف عن أحد منهم إطلاق قبول الزيادة (87).

ونوقش تعليلاً: في أن استحقاق الميت في فلس أولى، بأن حال الحياة يفارق الموت من جهة الملك ففي الحياة للمفلس، وفي الموت لغيره، ومن خراب ذمة الميت فاختصاص هذا بالعين يضر بالغماء (88).

مناقشة أدلة القول الثاني: نوقش استدلالهم بالحديث في الرواية الأولى، بأنه مرسل كما ذكر ذلك الشافعي وقال: إن زيادة "وإن مات فهو أسوة الغرماء" أشبه أن يكون قالها برأيه، وكذا الرواية الأخرى الأصح فيها الإرسال (89).

ويمكن مناقشة تعليلاً: بأنه حق تعلق بالورثة فأشبهه المرهون؛ أنه لا يسلم بذلك لأنه لا حق للورثة إلا بعد الدين والوصية قال تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ (90) وكان صاحب العين أحق بعينه كما في الفلس.

ونوقش تعليلاً الثالث، بعدم التفريق بين ذمة الحي والميت؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم سوى بينهما (91).

ويمكن الإجابة على التسوية وعدم التفريق؛ بضعف صحة الحديث -يعني حديث عمر بن خلدة- كما تقدم (92).

الترجيح: يظهر من خلال عرض المسألة بأدلتها، رجحان المذهب الأول القاضي بعدم التفريق بين الحياة والموت، وذلك لما يلي:

- 1- أن الأصل هو العموم ولا يتخصص هذا العموم إلا بدليل، ولم يرد دليل صحيح يخصصه بذلك.
 - 2- ضعف ما استدلل به أصحاب القول الثاني في التفريق؛ فجمهور الحفاظ على أنه مرسل، والمرسل من قسم الضعيف عند أهل الاصطلاح كما أنه مخالف لما في الصحيح من عدم الزيادة.
 - 3- أنه ورد ما يدل على التسوية بين الحياة والموت، كما في حديث عمر بن خلدة، وإن كان فيه نوع من الجهالة إلا أنها أقل قدحاً من الإرسال، كما أنه مؤيد بعموم الحديث عن أبي هريرة في الصحيحين، والله أعلم.
- المسألة الثانية- تقديم حق المرتهن:** اتفق جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة⁽⁹³⁾، على أن من كثرت ديونه ولم يستطع قضاءها وأريد قسمة ماله على الغرماء؛ فإن حق المرتهن مقدم على غيره بعد حق المجني عليه⁽⁹⁴⁾؛ فيختص بثمن الرهن دون سائر الغرماء، قال ابن قدامة: لا نعلم في هذا خلافاً⁽⁹⁵⁾.
- وتعليل ذلك:** أن حق المرتهن متعلق بعين الرهن، وذمة الراهن معاً، وبقية الغرماء تتعلق حقوقهم بذمة المدين دون عين ماله؛ فكان حقه أقوى من غيره فقدم عليهم⁽⁹⁶⁾؛ فيباع الرهن ويوفى المرتهن، فإن وفاه حقه فهو كما أراد، وإن بقي له بقية دين فهو أسوة الغرماء فيما بقي، وإن زاد الرهن أعيد إلى الغرماء ليستوفوا منه⁽⁹⁷⁾.
- المسألة الثالثة- تقديم نفقة المفلس وكسوته:** لا يخلو حال المفلس إذا كثرت ديونه وقل ماله من حالين: إما أن يكون ذا كسب يفي بحاجاته وحاجة من تلزمه نفقته فهنا يكتفي بهذا الكسب ويمنع أن يُنتفع من ماله بشيء، وإما أن يكون ليس له كسب، أو يكون له كسب لا يكفي؛ ففي هذه الحالة تقدم نفقته وكسوته وحاجته على حق الغرماء، ويقتصر في هذه الحالة على حاجاته الأصلية وكذلك الأمر في الكسوة، وإلى هذا القول ذهب عامة الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة⁽⁹⁸⁾، قال ابن قدامة: "و ممن أوجب الإنفاق على المفلس وزوجته وأولاده من ماله أبو حنيفة ومالك والشافعي، ولا نعلم أحداً خالفهم"⁽⁹⁹⁾.

و دليلهم على ذلك:

أولاً: ما جاء في الحديث "ابدأ بنفسك ثم بمن تعول"⁽¹⁰⁰⁾، ومعلوم أن في من يعوله من تجب نفقته عليه، ويكون ديناً عليه؛ فإذا قدم نفقة نفسه على نفقة زوجته، فكذلك على حق الغرماء⁽¹⁰¹⁾.

ثانياً: أن الحي أكد حرمة من الميت، لأنه مضمون بالإتلاف، وتقديم تجهيز الميت على دينه متفق عليه فنفقته أولى⁽¹⁰²⁾.

ثالثاً: إنها من حاجاته الأصلية نفقته وكسوته؛ فهي مقدمة على حق الغرماء⁽¹⁰³⁾.

الخاتمة: إن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة ما يلي:

- 1- أن مراعاة الترتيب يدخل في بيع مال المفلس وقسمته بين الغرماء وتكون الأولوية من حيث التقديم على حسب قوة الدليل النقلي واعتبار المصلحة.
- 2- أن الترتيب في بيع مال المفلس راجع لسلطة القاضي أو الحاكم؛ إذ ليس في الترتيب دليل يرجع إليه؛ فيقدم في البيع ما يرى المصلحة في تقديمه سواء للمفلس أو الغرماء، ويؤخر ما يستحق التأخير مع مراعاة اجتهادات الفقهاء في ذلك.
- 3- أن الترتيب في قسمة مال المفلس يكون البدء بمن وجد عين ماله لعموم الحديث وقوة دلالاته وصحة ثبوته، كما يقدم من كان ذا رهن إذ أنه لم يرهن ذلك إلا لتلافي ذهاب ماله في مثل هذه الأحوال ثم يقدم نفقة المفلس وكسوته لأنها من حاجته الأصلية فيترك له ومن تلزمه نفقته مما تقوم عليه حياته إذا كان ليس له كسب.

الهوامش:

- (1) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، ط الأولى، ج1 ص409، 410، مادة-رتب-.
- (2) التعريفات، الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى، 1405هـ، تحقق: إبراهيم الأبياري، ص78.
- (3) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، دار صادر، بيروت، ج2، ص527.

- (4) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد، ابن بدران، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثالثة، تح: عبد الله التركي، ص394.
- (5) ينظر: شرح مختصر الروضة، الطوفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، 1410هـ، ج3، ص674.
- (6) ينظر: المصدر نفسه.
- (7) ينظر: المصدر نفسه.
- (8) معجم لغة الفقهاء، قلعهي، دار النفائس، بيروت، ط الأولى، 1416هـ، 1996م، ص107.
- (9) التعريفات، الجرحاني، ص78، مرجع سابق.
- (10) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون، ج2، ص527، 528، مرجع سابق.
- (11) ينظر: المصدر نفسه.
- (12) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، دار الجيل، بيروت، ط الثانية، 1420هـ، 1999م، تحق: عبد السلام هارون، ج4، ص451؛ والموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت، ط الثالثة، 1425هـ، 2004م، ج5، ص300.
- (13) بداية المجتهد، ابن رشد، دار الفكر، بيروت، ج2، ص213.
- (14) ينظر: الموسوعة الفقهية، ج5، ص300، مرجع سابق.
- (15) أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، 1422هـ، 2000م، تحق: محمد تامر، ج2، ص183.
- (16) المغني، ابن قدامة، دار الفكر، ط الأولى، 1405هـ، ج4، ص265.
- (17) ينظر: المصدر نفسه.
- (18) قسم الفقهاء المال بالنظر إلى إمكان نقله وتحويله إلى قسمين: منقول وعقار؛ فالمال المنقول: هو كل ما يمكن نقله وتحويله كالنقود والعروض والحيوانات والموزونات وغيرها. والعقار: هو ما له أصل ثابت ولا يمكن نقله وتحويله كالأرض وما اتصل

بها كالبناء والدور والأشجار ونحوها؛ كما قسمه الفقهاء بالنظر إلى اتصافه بالنقدية إلى قسمين: نقود وعروض؛ فالنقود: جمع نقد، وهو الذهب والفضة ويقال لهما النقدان، ويلحق بهما في الحكم الأوراق الرائجة في العصر الحاضر. والعروض: جمع عرض؛ وهو كل ما ليس بنقد من المتاع؛ فهو غير الأثمان من المال على اختلاف أنواعه. ينظر الموسوعة الفقهية، ج 36، ص 631، 637، 638.

(19) ينظر: بداية المجتهد، ج 2، ص 214؛ والشرح الكبير، الدردير، دار الفكر، بيروت، تحقق: محمد عليش، ج 3، ص 265؛ والمهذب، الشيرازي، دار الفكر، بيروت، ج 1، ص 320؛ والمغني، ج 4، ص 265؛ والاختيار لتعليل المختار، الموصلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثالثة، تحقق: عبد اللطيف عبد الرحمن، ج 2، ص 106؛ وبدائع الصنائع، الكاساني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثانية، 1982م، ج 7، ص 174.

(20) ينظر: الشرح الكبير، ج 3، ص 271، ومغني المحتاج، الشربيني، دار الفكر، بيروت، ج 2، ص 150؛ والمبدع، ابن مفلح، المكتب الإسلامي، بيروت، 1400هـ، ج 4، ص 324؛ وتبيين الحقائق، الزيلعي، دار الكتب الإسلامي، القاهرة، 1313هـ، ج 5، ص 200.

(21) ينظر: تبيين الحقائق، ج 5، ص 200.

(22) ينظر: أسنى المطالب، ج 2، ص 190؛ والمهذب، ج 1، ص 322؛ والمبدع، ج 4، ص 324.

(23) ينظر: الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي، الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، 1419هـ، 1999م، تحقق: علي معوض، عادل أحمد، ج 6، ص 317؛ والمبدع، ج 4، ص 324، مرجع سابق.

(24) ينظر: أسنى المطالب، ج 2، ص 190؛ والمصدران السابقان.

(25) ينظر: تبيين الحقائق، ج 5، ص 200، مرجع سابق.

(26) ينظر البحر الرائق، ابن نجيم، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية، ج 8، ص 95.

- (27) ينظر بتصرف قليل: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، بيروت، ج3، ص271.
- (28) ينظر: نهاية المحتاج، الرملي، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1404هـ، 1984م، ج4، ص321.
- (29) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، شيخي زاده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، 1419هـ، 1998م، خرّج آياته وأحاديثه: خليل عمران المنصور، ج4، ص59.
- (30) مغني المحتاج، ج2، ص150، مرجع سابق.
- (31) أما إن لم يسلمها له أي للمشتري الذي أفلس؛ فقد نقل ابن رشد اتفاق العلماء أن صاحب السلعة (البائع) أحق بها لأنها في ضمانه. بداية المجتهد، ج2، ص216.
- (32) اشترط الفقهاء القائلين بالرجوع في عين المال التي عند المفلس شروطاً كثيرة ليس محل ذكرها ولا يسعها المقام. ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، ج36، ص311، 312، 313، 314.
- (33) المقدمات الممهّدات، ابن رشد الجد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الأولى، 1408هـ، 1988م، تحقق: سعيد أعراب، ج2، ص334؛ والحاوي الكبير، ج6، ص266، مرجع سابق؛ وشرح الزركشي على مختصر الخزقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، 1423هـ، 2002م، ج2، ص120؛ والمطى، ابن حزم، دار الأفق الجديدة، بيروت، تحقق: لجنة إحياء التراث، ج8، ص175.
- (34) تبيين الحقائق، ج5، ص201.
- (35) رواه البخاري، كتاب الاستقراض، باب إذا وجد ماله عند المفلس، حديث رقم: 2272، صحيح البخاري، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط الثالثة، 1407هـ، 1987م، تحقق: مصطفى البغا، ج2، ص886.
- (36) ينظر: أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، ص201.

- (37) المغني، ج4، ص266، مرجع سابق.
- (38) المصدر نفسه.
- (39) المعونة على مذهب عالم المدينة، القاضي عبد الوهاب، المكتبة التجارية، مكة، تح: حميش عبد الحق، ج2، ص1184.
- (40) سورة البقرة، الآية280.
- (41) ينظر: تبين الحقائق، ج5، ص201،202؛ والبحر الرائق، ج8، ص95، 96، والمبسوط، السرخسي، دار المعرفة، ج13، ص198،197.
- (42) أخرجه الطحاوي في كتاب البيوع، باب في الرجل يبتاع سلعة في قبضها ثم يموت وثنمها عليه دين، شرح معاني الآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، 1399هـ، تحق: محمد زهري، ج4، ص165؛ ورواه الدار قطني موصولاً عن أبي هريرة بلفظ قريب من هذا الحديث في كتاب الأفضية، حديث رقم: 93، سنن الدار قطني، دار المعرفة، بيروت، 1386هـ، 1966م، تحق: عبد الله المدني، ج4، ص230؛ ورواه ابن حزم وضعفه، المحلى، ج8، ص177، 178، مرجع سابق؛ وقال الشوكاني: وحديث أبي بكر بن عبد الرحمن هو مرسل. . . ووصله أبو داود من طرق أخرى وهي ضعيفة. نيل الأوطار، دار الجيل، بيروت، 1973م، ج5، ص363.
- (43) شرح معاني الآثار، ج4، ص165.
- (44) تبين الحقائق، ج5، ص202.
- (45) الغرة المنيفة في تحقيق بعض مسائل الإمام أبي حنيفة، الغزنوي، مكتبة الإمام أبي حنيفة، بيروت، ط الثانية، 1988م، تحق: محمد الكوثري، وفي إسناده ابن عياش وهو ضعيف. ص100.
- (46) البناء شرح الهداية، العيني، دار الفكر، بيروت، ط الثانية، 1411هـ، ج10، ص148.
- (47) معالم السنن، دار المعرفة، بيروت، ج3، ص156.

- (48) نيل الأوطار، ج5، ص364.
- (49) شرح معاني الآثار، ج4، ص164؛ والبحر الرائق، ج8، ص96.
- (50) البناءية شرح الهداية، ج10، ص148.
- (51) ينظر: إحكام الأحكام، ج3، ص201، مرجع سابق.
- (52) سورة الأحزاب، الآية36.
- (53) سورة النساء، الآية65.
- (54) التمهيد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ، تحقق: مصطفى العلوي، ج8، ص410، 411.
- (55) لضعف إسماعيل بن عياش فيها. قال الدار قطني: إسماعيل مضطرب الحديث لا يثبت هذا عن الزهري، وإنما هو مرسل. التحقيق في أحاديث الخلاف، ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، 1415هـ، تحقق: مسعد عبد الحميد السعدني، ج2، ص201.
- (56) معالم السنن، ج5، ص156، مرجع سابق.
- (57) ينظر: نيل الأوطار، ج5، ص363، مرجع سابق.
- (58) ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، تحقق: محب الدين الخطيب، ج5، ص64.
- (59) التمهيد، ج8، ص411، 412، مرجع سابق.
- (60) رواه مالك، كتاب البيوع، باب ما جاء في إفلاس الغريم، حديث رقم: 1357، موطأ مالك، دار إحياء التراث العربي، مصر، تحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج2، ص678.
- (61) رواه مسلم، كتاب المساقاة، باب من أدرك ما باعه عند المشتري وقد أفلس فله الرجوع فيه، حديث رقم: 1559، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392هـ، ط الثانية، ج3، ص1194.

- (62) معرفة السنن والآثار عند الإمام الشافعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج4، ص450.
- (63) ينظر: فتح الباري، ج5، ص64.
- (64) شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية، 1392هـ، ج10، ص222.
- (65) ينظر: فتح الباري، ج5، ص64.
- (66) ينظر: من فقه السنة، دراسات فقهية لبعض الأحاديث، حمد بن حماد، مكتبة الدار، المدينة، ط الأولى، 1411هـ، ص11.
- (67) المحلى، ج8، ص179، مرجع سابق.
- (68) ينظر: حاشية السندي عل سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط الثانية، 1406هـ، 1986م، تحق: عبد الفتاح أبوغدة، ج7، ص312.
- (69) ينظر: الحاوي الكبير، ج6، ص269، مرجع سابق.
- (70) المصدر نفسه، ج6، ص273؛ والمحلى، ج8، ص175.
- (71) المقدمات، ج2، ص334، مرجع سابق؛ وكشاف القناع، البهوتي، دار الفكر، بيروت، 1407هـ، تحق: هلال مصيلحي، ج3، ص426.
- (72) رواه أبو داود، كتاب البيوع، باب في الرجل يفلس فيجد متاعه بعينه، حديث رقم: 3523، سنن أبي داود، المكتبة العصرية، بيروت، تحق: محي الدين عبد الحميد، ج3، 287؛ ورواه الحاكم وصححه في كتاب البيوع، حديث رقم: 2314، المستدرک، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط الأولى، 1411هـ، 1990م، تحق: مصطفى عطا، ج2، ص58. قال ابن حجر في بلوغ المرام: "وضعفه أبو داود وضعف أيضاً هذه الزيادة في ذكر الموت سبل السلام شرح بلوغ المرام، الصنعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الرابعة، 1379هـ، تحق: محمد الخولي، ج3، ص53. وقال ابن الملقن "وأعلّ هذا الحديث بأبي المعتمر" وقال ابن المنذر: هذا

حديث مجهول الإسناد. البدر المنير، ابن الملقن، دار الهجرة، الرياض، السعودية، ط الأولى، 1425هـ، 2004م، ج6، ص651.

(73) الحاوي، ج6، ص273؛ والمحلى، ج8، ص176، مراجع سابقة.

(74) الحاوي، ج6، ص273.

(75) المصدر نفسه.

(76) المصدر نفسه.

(77) رواه أبو داود متصلاً عن أبي هريرة باللفظ الأول، كتاب البيوع، باب في الرجل يفلس فيجد متاعه بعينه، حديث رقم: 3522، سنن أبي داود، ج3، ص282؛ وروي مرسلًا باللفظ الثاني عن أبي بكر بن عبد الرحمن عند ابن ماجة، كتاب الأحكام، باب من وجد متاعه بعينه عند رجل قد أفلس، حديث رقم: 2361، سنن ابن ماجة، دار الفكر، بيروت، تحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج2، ص741، وصحح هذا الحديث متصلاً ابن الترمذاني في الجوهر النقي، دار الفكر، ج6، ص47، وقال ابن عبد البر: وقد تكون رواية من أسنده صحيحة. التمهيد، ج8، ص409، كما صححه من المتأخرين المعاصرين الألباني، إرواء الغليل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة، 1405هـ، ج5، ص270، وربما لا يستقيم هذا التصحيح لأن أغلب الحفاظ على أنه مرسل كما رجح ذلك الدار قطني في السنن، ج3، ص30، وقال البيهقي: "رواه إسماعيل بن عياش عن الزبيدي عن الزهري موصولاً ولا يصح". السنن الكبرى، ج6، ص47، وقال الشوكاني: "هو مرسل وقد أسنده أبو داود من وجه ضعيف" نيل الأوطار ج5، ص363، مرجع سابق.

(78) ينظر: الإشراف، القاضي عبد الوهاب، دار ابن حزم، بيروت، ط الأولى، 1420هـ،

1996م، خرّج أحاديثه وقدم له: الحبيب بن طاهر، ج2، ص586، 587؛ والمغني،

ج4، ص293، مرجع سابق.

(79) المغني، المصدر نفسه.

- (80) ينظر: شرح الزرقاني على الموطأ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، 1411هـ، ج3، ص418.
- (81) المغني، ج4، ص293.
- (82) فتح الباري، ج9، ص64، مرجع سابق.
- (83) ينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، 1995م، تحقق: علي معوض وآخرون، ج7، ص429.
- (84) ينظر: المغني، ج4، ص293.
- (85) المصدر نفسه.
- (86) المصدر نفسه.
- (87) ينظر: توجيه النظر في أصول الأثر، طاهر الجزائري الدمشقي، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط الأولى، 1416هـ، 1995م، تحقق: عبد الفتاح أبو غدة، ج1، ص510.
- (88) المغني، ج4، ص293.
- (89) ينظر: الأم، دار المعرفة، بيروت، ط الثالثة، 1393هـ، ج3، ص215؛ والمحلى، ج8، ص179، مرجع سابق.
- (90) سورة النساء، الآية11.
- (91) ينظر: المحلى، ج8، ص179.
- (92) ينظر: تخريج الحديث، هامش رقم : 72.
- (93) ينظر: بدائع الصنائع، ج6، ص163؛ والشرح الكبير، ج3، ص288؛ مراجع سابقة؛ وروضة الطالبين، النووي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1405هـ، ج4، ص147.
- (94) إذا جنى أحد عبيد المفلس؛ فإن حق المجني عليه مقدم على حق الغرماء، لأن حق المجني عليه متعلق بعين الجاني، وأما حق الغرماء فهو متعلق بذمة الجاني وما

تعلق بالعين مقدم على ما تعلق بالذمة وهذا محل اتفاق. قال ابن قدامة: ولا نعلم في هذا خلافاً. المغني، ج4، ص240.

(95) المغني، ج4، ص262.

(96) ينظر: المهذب، ج1، ص322؛ مرجع سابق، والمغني، ج4، ص262.

(97) ينظر: المغني، ج4، ص262.

(98) ينظر: الاختيار لتعليل المختار، ج2، ص106؛ والمقدمات، ج2، ص323، 324؛ ومغني المحتاج، ج2، ص153، 154؛ وكشاف القناع، ج3، ص434، مراجع سابقة.

(99) المغني، ج4، ص285.

(100) هذا الحديث مركب من جزأين ولم يرد بهذا اللفظ قال ابن حجر: "لم أره هكذا". تلخيص الحبير، المدينة المنورة، 1384هـ، 1964م، تحقق: السيد عبد الله اليماني المدني، ج2، ص184، أما الجزء الأول من الحديث "ابدأ بنفسك"؛ فقد رواه مسلم عن جابر، كتاب الزكاة، باب الابتداء في النفقة بالنفس ثم أهله ثم القرابة، حديث رقم: 997، صحيح مسلم، ج2، ص692، وأما الجزء الثاني "ابدأ بمن تعول"؛ فقد رواه البخاري عن أبي هريرة، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، حديث رقم: 1360، صحيح البخاري، ج2، ص518.

(101) المغني، ج4، ص285. مرجع سابق.

(102) المصدر نفسه.

(103) ينظر: الاختيار لتعليل المختار، ج2، ص106، مرجع سابق.

مفهوم الكمال الإنساني عند فخر الدين الرازي

د. جميلة محي الدين البشتي

كلية الآداب - جامعة الزاوية

مقدمة :

أهتم القرآن الكريم بالوجود الإنساني، وكرم نوع الإنسان وفضله على كثير من المخلوقات، بل اعتبر الله الإنسان خليفته في الأرض بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة، الآية: 29]. فتفضيل الإنسان على بقية المخلوقات راجع إلى أصل خلقة الإنسان، بمعنى أن النوع الإنساني مُفضل على سائر الخلق، ولكن الاحتفاظ بهذا التفضيل والتكريم الإنساني لا يتأتى إلا بالإيمان والعمل الصالح. وهنا تكمن أهمية هذا الموضوع في اهتمام فخر الدين الرازي في البحث عن الوسائل التي تحافظ على هذا التفضيل والتكريم الإنساني حتى يصل إلى الكمال الروحي والمعرفي، فيتحقق بذلك الكمال الإنساني.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ما الوسائل التي تمكن المرء من الوصول إلى الكمال الإنساني عند فخر الدين الرازي؟ وكيف يحافظ الإنسان على هذا التكريم والتفضيل؟ أما المنهج فقد التزمت في إعداد هذا البحث بالمنهج التحليلي لمناسبته لطبيعة الموضوع. أولاً – الإنسان عند فخر الدين الرازي:

بعد الرازي الإنسان هو أشرف الموجودات التي خلقها الله سبحانه وتعالى بما أودع الله فيه من الإمكانيات، فقد خلفه الله تعالى على أفضل صورة بدليل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [سورة التين، الآية: 4]. وفضله على كثير من خلقه لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: 70] كما يقول الرازي في تأكيد تكريم الإنسان وتفضيله على غيره، إن كل ما في هذا العالم من مخلوقات أخرى ومنافع مخلوقه للإنسان خاصة، كالرئيس المخدم والملك المطاع وسائر الحيوانات بالنسبة له كالعبيد⁽¹⁾. بالإضافة إلى ذلك كله فهو أشرف مخلوقات العالم السفلي، وذلك بسبب وجود

مفهوم الكمال الإنساني عند فخر الدين الرازي

ملكة لدى الإنسان وهي النفس الإنسانية التي هي أشرف النفوس في هذا العالم، بل إن الجسم الإنساني أيضاً أشرف الأجسام فيه⁽²⁾.

ويرجع اعتبار الإنسان أشرف المخلوقات في العالم السفلي عند الرازي إلى أن كل المخلوقات تتفاوت في مراتب الكمال الوجودي والمعرفي، وهي بحسب تفاوتها في هذين الجانبين تنقسم إلى أربعة أقسام.

تقسيم الموجودات عند الرازي :

- 1 — المخلوقات التي لها عقل وحكمة وليس لها طبيعة ولا شهوة، وهي الملائكة.
- 2 — مخلوقات التي ليس لها عقل ولا حكمة، وهذا القسم تدرج تحته كل الحيوانات فيما سوى الإنسان.
- 3 — موجودات ليس لها عقل ولا حكمة ولا طبيعة ولا شهوة ويدخل تحت هذا القسم كل الجمادات والنبات.
- 4 — مخلوق الذي يكون له عقل وحكمة، ويكون له في ذات الوقت طبيعة وشهوة، وهو ذلك الإنسان⁽³⁾.

كما يشير الرازي إلى أن هناك علاقة أو صلة بين الإنسان وعالم الروح أو الملائكة الأعلى، بل قد يكون مشدود إليه، ولكنه في ذات الوقت هناك ظروف قد تدفعه للسقوط في عالم المادة وما يصاحبها من الشهوة والأهواء، وذلك من خلال مرحلتين، الأولى ترجع إلى نسبتته إلى الروح الإلهي، وذلك لوجود النفس الإنسانية وقوى العقلية، أما المرحلة الثانية فترجع إلى بدنه وما ركب فيه من الطبيعة الشهوانية والغضبية وهذه الثنائية هي السبب في أن يتجه الإنسان إلى إحدى الطريقتين، فهو "تارة يصير غرقاً في ظلمات الأجسام، وتارة يخلص فيها إلى أنوار عالم القدس وسبحات سرادبات الجلال وينتقل من الشدة إلى الرخاء، وأخرى من اليأس إلى الرجاء"⁽⁴⁾، وعليه فإن الإنسان مع هذا كله قادر على الترقى الروحي بفضل القوة العاقلة التي تفرقه عن كل المخلوقات الأخرى، التي تشاركه في صفة الجسمانية وبعض القوى النفسانية الأخرى، ولكن الأهم من ذلك كله أن نسبتته الروحانية هي التي تجعله أفضل وأقدر، لأن يصل أعلى مراتب الكمال الإنساني، لأن

مفهوم الكمال الإنساني عند فخر الدين الرازي

الروح الإنسانية التي يتمتع بها هي من جنس الأرواح العالية القدسية، بل ليس في موجودات العالم السفلي شيء حصل فيه شيء من العالم العلوي مثلما حصل للإنسان خاصة، ولهذا قد استحق أن يكون أشرفها جميعاً بحكم هذا التسمية⁽⁵⁾.

يؤكد الرازي بكل وضوح بأن الكمال الإنساني أمر ضروري للإنسان، بل لازم له، حتى يصل إلى أعلى مراتب السعادات وهي الأخروي، على الرغم من أنه مركب من روح وجسد، ذلك لأن المقصود من الجسد أصلاً أن يكون آلة للروح في اكتساب كل الأشياء النافعة للروح.

تأسيساً على ذلك، فإن أفضل الأعمال للإنسان حين يأتي بكل الأعمال التي من شأنها أن تعين الروح على بلوغ كل السعادات الروحية الباقية من ناحية، وحين تأتي أعماله أيضاً لتدل على تعظيمه الله سبحانه وتعالى من ناحية أخرى⁽⁶⁾. فإذا حصل ذلك الأمر، فعندئذ وصل الإنسان بفضل تلك الأعمال أعلى الدرجات والكمال الإنساني، لأن الأعمال الدينية من ذكر الله عز وجل وصلاة وقيام الليل والصيام والزكاة وغيرها من العبادات الروحية التي لها الأثر الواضح في الوصول إلى أعلى الدرجات الكمال الإنساني. وذلك ما يؤكد محمد عبده أيضاً بأن الأعمال الدينية إنما تصدر عن الملكات والعزائم الروحية، من حيث إن الروح هي السلطان القاهر على البدن⁽⁷⁾. ليرتقى من خلالها إلى أعلى درجات الإنسانية، فيحصل بعدئذ على التكريم الإلهي. وعليه فإن مفهوم الكمال بالنسبة للإنسان بمنظور الرازي هو أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به، واستكمال القوة النظرية إنما يكون بالعلم، واستعماله القوة العملية إنما يكون بالعمل وفعل الخيرات⁽⁸⁾.

وتأسيساً على ذلك، فإن حصول الكمال الإنساني من خلال القوة النظرية أولاً، لأنها يجب أن تتقدم القوة النظرية على القوة العملية، لأنها الأشرف، ويؤكد الرازي قوله ذلك بدليل من القرآن الكريم في قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حِكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية: 83]. فالحكم الوارد في الآية الكريمة يشير إلى القوة النظرية، وقوله ألحقني بالصالحين يشير إلى القوة العملية⁽⁹⁾.

مفهوم الكمال الإنساني عند فخر الدين الرازي

ولكي يحصل الكمال الإنساني في القوتين عند الرازي يجب أن يعرف الإنسان على ثلاثة أحوال* والعمل بما يقتضيه كل واحد من هذه الأحوال. وهذه الأحوال تتمثل في معرفة الإنسان للماضي والحاضر والمستقبل.

— أما معرفة بالماضي: فيحددها الرازي في أن يعرف الإنسان كيف كانت الأحوال في الماضي، ولا يتأتى له معرفة ذلك إلا بأن يعرف حقيقة المبدأ الأول وهو الله، وأن يعرف صفاته. وكيف صدرت عنه كل تلك الأحوال، وهذا هو العلم بالمبدأ الأول⁽¹⁰⁾. وهنا يجب على الإنسان معرفته تعالى بوصفه الموجود الأول والمتقدم على كل الموجودات، بإضافة ذلك وجوده تعالى هو الأصل في كل موجود من الموجودات هذا العالم وبوصفها مخلوقة لله تعالى.

كما أن الرازي يذهب إلى أن المعرفة الإنسانية بالمبدأ الأول لا تشمل معرفة حقيقة الذات الإلهية، لأن ذلك غير معلوم للبشر، وإنما المعلوم لهم هي صفاته وأفعاله تعالى فقط⁽¹¹⁾.

— أما معرفة الحاضر: يجب على الإنسان معرفة الحاضر لأن الإنسان بحاجة إلى معرفة أي الاعتقادات وأي العبادات وأي الأعمال الموصلة إلى الفوز بالسعادة الكبرى والدرجة العظمى في الدارين، كما يجب عليه معرفة أي الأعمال والاعتقادات والأفعال التي تعيق عليه الطريق للوصول إلى الدرجة العليا⁽¹²⁾. ولا يحصل على الكمال الإنساني في هذا الجانب، أي علم الحاضر، وذلك إلا بتكميل النفس الإنسانية بالمعارف الإلهية والجلالية القدسية⁽¹³⁾.

— أما معرفة بالمستقبل: والذي يسميه الرازي بعلم المعاد، حيث يلزم للإنسان معرفته، لأنه من المراتب المهمة لكل عاقل، كي يتحقق معرفته كيف يصير حاله بعد انقضاء الحياة الجسمانية، وهل الأعمال التي قام بها في حياته لها أثرها فيما يكون له من السعادة والشقاء في الآخرة⁽¹⁴⁾. وما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود، الآية: 121]. والمقصود من الآية حسب رأي وتفسير الرازي، لأنه تعالى لا يضيع طاعات المطيعين ولا يهمل الله سبحانه وتعالى أحوال المتمردين الجاحدين، وقد

جمع الله تعالى كل هذه الأحوال أو المراتب التي يلزم للإنسان معرفتها ليتحقق كماله وغايته في الدارين⁽¹⁵⁾ .

وعليه من الطبيعي أن يتفاوت الناس في بلوغ هذا الكمال الإنساني على الرغم من أن كل الناس لديهم إمكانيات التي أودعها الله فيهم للوصول إلى تحقيق ذلك الكمال، إلا أن ذلك التفاوت يرجع إلى حظ كل واحد منهم في معرفة كل هذه الأحوال التي أشار إليها الرازي.

وبناءً على ذلك التفاوت، فإن النفوس الإنسانية في هذا الكمال تنقسم إلى ثلاثة أقسام حسب رأي الرازي هي.

1 – أعلاها في الدرجة: النفوس المتوجهين إلى العالم الأعلى الذين استغرقوا بكليتهم في تلك الأنوار الصمدية والمعارف الإلهية، وهؤلاء هم المسمون تارة بالسابقين وتارة أخرى بالمقربين⁽¹⁶⁾. والدليل على ذلك قوله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» [الواقعة، الآية: 12، 13].

2 – الدرجة الوسطى: هي النفوس لمن كان لأصحابها التفات إلى العلمين، ولهذا السبب فهي تارة تترقى إلى العالم الأعلى بالعبودية والخضوع لله تعالى، وتارة أخرى تنزل إلى درك العالم الأسفل بسبب انشغالها بالتدبير والتصرف في أحوالها ومطالبها الدنيوية، وهؤلاء هم أصحاب الميمنة والمقتصدون⁽¹⁷⁾.

3 – أما أدنى درجات: النفوس المتوجهين إلى العالم الأسفل، الذين انصرف كل اهتمامهم في طلب اللذات الدنيوية فقط، وهؤلاء هم أصحاب الشمال⁽¹⁸⁾. ومن الواضح أن هذه النفوس هي التي انصرفت إلى إرضاء هوى النفس وتعلقت بحظوظها وشهواتها، فكانت بالتالي حجاباً لها من هذا الجانب عن الوصول والاتصال بالملا الأعلى.

ونستنتج من تقسيم الرازي لتلك النفوس الإنسانية أن كمالها لا يتحقق إلا بالتصوف، بوصفه طريقاً للمعرفة الإنسانية الحاصلة من تصفية النفس ورياضتها ومجاهدتها في الأمور الدنيوية، إلى جانب تمتعها بالعقل والبصيرة. حسب رأي الرازي؛ الذي يضيف

بأن العلم الموصل إلى طريق المقربين هو علم الرياضة الروحية، والعلم الموصل إلى طريق أصحاب اليمين هو علم الأخلاق⁽¹⁹⁾.

وعندئذ يؤكد الرازي بأن الرياضة الروحية هي التي يبلغ بها الإنسان أعلى درجات العرفان (أي التصوف) وهي مرتبة المقربين. أما علم الأخلاق هو الذي يحصل من خلاله أصحاب اليمين على الفضائل، وهم في مرتبة أدنى من مرتبة المقربين. وهنا يعتبر الرازي التصوف في المقام الأول للكمال الروحي للإنسان وطريقاً له للعرفان.

وعليه فإن أراد الإنسان أن يصل مرتبة العرفان يتطلب منه أن يكون بكلية وفي كل أحواله في طاعة الله وخدمته، ولا يتأتى ذلك بنغمسه في طلب الذات الدنيوية وجرى وراء تحقيق مطالبه الدنيوية، وذلك يقف عقبة في سبيل تحقيق غايته وهي تمام معرفته بالله وكمال عبادته وحسن طاعته له، ويكمن السبب ذلك في منظور الرازي في أن حب الدنيا مسئول على الطباع والقلوب، وكلما توسع الإنسان في طلب الملذات واشتد ميله إليها، ومن ثم عظمت رغبته فيها، وكلما كانت تلك الرغبات الدنيوية أكثر وأدوم للإنسان كان ميله أقوى وأعظم في الانغماس فيها، وبالتالي يزداد حرصه في طلب الدنيا وملذاتها، وذلك ما يمنعه من الاستغراق في معرفة الله تعالى وتحقيق طاعته وعبادته من ناحية، وحرمانه من السعادة الأخروية من ناحية أخرى.

أما إذا اتجه الإنسان بكلية في طلب لذات الدنيا ورغباته العاجلة طلباً للأجله أي الآخرة، وذلك بحسب زيادة الأعراض عن الدنيا ونقصانه يكون كمال المعرفة بالله والاستغراق في عبادته وخدمته وطاعته الله⁽²⁰⁾.

تأسيساً على ذلك، فإن الكمال الإنساني عند الرازي لا يعني بضرورة نبذ الدنيا وتركها مطلقاً، بل يعني ألا يستغرق الإنسان كل وقته في تلبية رغباته الدنيوية ويهمل القدر الذي يوصله للحياة الأخروي، أي يطلب حاجاته الدنيوية بالقدر الذي يقيم به شؤون حياته وفي حدود ما أحله وأمره الله تعالى، بحيث لا يصرفه ذلك عن عبادته وطاعته الله سبحانه وتعالى وفي ذات الوقت عليه أن يثق بأن الحياة الآخرة خير من الأولى، بدليل قوله تعالى: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [سورة التوبة، الآية: 38]. وذلك ما

أكده الرازي أن الذات الدنيا خسيصة في أنفسها ومشوبة بالآفات والبليات فضلاً عن أنها منقطعة عن قريب لا محالة⁽²¹⁾.

بناءً على ذلك، فإن الحياة الروحية عند الرازي لا تعنى حرماناً وتعذيباً للإنسان بقدر ما تهدف إلى أن يكون الإنسان معتدلاً في طلب حياته الدنيوية، وموصولاً بالله بالروح لا بالجسد، وهذا هو المقصد الأساسي من مفهوم الزهد في منظور الرازي، والذي يعتبره ركن من أركان الحياة الروحية. وذلك بدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرُمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة، الآية: 89]. والآية الكريمة تشير لا عدم تحريم ما أحله الله من طيبات، لكنها تشير أيضاً إلى التمتع بطيبات الله ونعيمه بحيث لا يكون سبباً لصرف الإنسان عن عبادته وطاعته لربه؛ فتكون الدنيا وشهواتها غاية همه ومنتهى أمله، فيصبح أسيراً لشهواتها وعبداً لرغباتها؛ لا عبداً لله تعالى وحده، بل يجب الاهتمام بالدنيا يكون بقدر حاجة المرء ليصل إلى العبودية الكاملة في الآخرة، فإذا استطع المرء أن يستخدم الدنيا لرضاء الله في الآخرة فاستخدامها لها هو محض عبادة.

ثانياً – وسائل تحقيق الكمال الإنساني:

يحدد لنا الرازي الوسائل التي تساعد في تحقيق أعلى مراتب الكمال الإنساني، وبها ينال المرء أعلى المعارف الإلهية ويحظى بالتجليات الربانية بوصفها ضرورة للإنسان؛ وإنما يتحقق الإنسان بهذا الكمال عند الرازي بوسيلتين هما: الاشتغال بالعبادات الجسدية والروحانية، فأفضل الحركات منها الصلاة، وأكمل السككات الصيام وأنفع البر الصدقة. وأما العبادة الروحية فتكمن في التفكير في عجائب مخلوقات الله وأثار صنعته⁽²²⁾.

أولاً – العبادة كوسيلة للكمال الإنساني:

أن حقيقة الكمال الإنساني عند الرازي يقوم أساساً على العبادة الكاملة لله تعالى ظاهراً وباطناً، وبحيث تكون جوارح المرء الظاهرة والباطنة شاهدة على تمام معرفته بربه، وكمال طاعته وخدمته. ولهذا كانت العبادة عنده وسيلة أساسية في الكمال الإنساني. إذ يعرف الرازي العبادة بأنها التذلل؛ إلا أنه يرفض الرأي الذي يذهب بأن العبادة هي الطاعة؛ لأن هناك من عبدوا الملائكة والمسيح والصنم وما أطاعوهم، ولهذا صارت

مفهوم الكمال الإنساني عند فخر الدين الرازي

العبادة في الشرع اسماً لكل طاعة لله أوديت له على وجه التذلل والنهاية والتعظيم⁽²³⁾. وهذا ما أكده الكاشاني بأن العبادة هي غاية التذلل لله تعالى⁽²⁴⁾.

عليه فإن العبادة في منظور الرازي هي التي تلازم الدين المنزل من عند الله تعالى؛ كما يؤكد الرازي على أن العبادة بهذا المفهوم لا يستحقها إلا من يكون واحد في ذاته وصفاته الذاتية والفعلية، فإن كان له مثل لم يجز أن يصرف إليه النهاية في التعظيم⁽²⁵⁾. وهذا يعني أن العبادة لا تكون إلا للإله الواحد الأحد الذي بلغ حد الكمال في كل صفاته.

وبناءً عليه أصبحت العبادة مشروطة بتحصيل معرفة الله أولاً، لأن من لا يعرف معبوده لا ينتفع بعبادته⁽²⁶⁾. وذلك بدليل قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [سورة البقرة، الآية: 21] فتأسيساً على ذلك، فالعبادة هي الإقرار بالمعرفة التامة لله تعالى، والتذلل والخضوع له وحده، وعلى وجه التعظيم الذي يليق بكمال ذاته وصفاته، لأن الإنسان مخلوق لهذا الغرض، أي عبادته تعالى بدليل قوله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» [سورة الذاريات، الآية: 56] كما يؤكد الرازي بأن العبادة مرتبطة بأوامر الله على وفق ما جاء به الشرع على لسان الرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن مجامع التكليف للإنسان محصورة في نوعين لا ثالث لهما، أحدهما ترك المنهيات، وثانيهما فعل المأموريات، والترك عبارة عن بقاء الشيء على عدمه الأصلي، والفعل هو الإيقاع والتحصيل، والترك مقدم على الفعل⁽²⁷⁾.

كما يرى أن الترك والفعل أمران معتبران في ظاهر الأفعال، فالذي يجب تركه هو المحرمات والذي يجب فعله هو الواجبات. كما أن الترك والفعل معتبران في الأخلاق، حيث يجب تركه هو الأخلاق الذميمة والذي يجب فعله هو الأخلاق الفاضلة؛ أما في الأفكار فهما مقدمان، فالذي يجب فعله هو التفكير في الدلائل على التوحيد، والذي يجب تركه هو الانتهاء عن الشبهات. أما في مقام التحلي فالفعل هو الاستغراق في الله والترك هو الالتفاف إلى غير الله تعالى، وأهل التصوف يسمون الفعل والترك بالتخليية والتحلية والمحو والإثبات والفناء والبقاء، وفي جميع المقامات النفي مقدم على الإثبات⁽²⁸⁾ يشير

مفهوم الكمال الإنساني عند فخر الدين الرازي

الرازي إلى أن العبادة الكاملة مرهونة بكمال الإيمان وتمام إقامتها ظاهراً وباطناً، حيث يرى أن الناس يتفاوتون في عبادتهم لله تعالى بحسب قوة إيمانهم ومقدار طاعتهم لله. ولهذا قسم العبادة إلى ثلاث درجات فالدرجة الأولى: هي أدنى الدرجات فهي نازلة وساقطة جداً حسب رأي الرازي، لأن صاحبها معبوده في الحقيقة ذلك الثواب، وقد جعل الحق تعالى وسيلته لنيل المطلوب، وجعل المطلوب بالذات شيئاً من أحوال الخلق وجعل الحق تعالى وسيلة إليه فهو خسيس جداً⁽²⁹⁾.

أما الدرجة الثانية: فليس كذلك لأن حاصلها أن يعبد الله لأجل أن يتشرف الإنسان بعبادته، ولأنه يستحق العبادة والطاعة، ومن ثم يتشرف بقبول تكاليفه بل يتشرف بالانتساب إليه، ويسعى للوصول إليه. لذلك هذه الدرجة أعلى من سابقتها، لكنها مع ذلك ليست كاملة، لأن المقصود بالذات غير الله⁽³⁰⁾.

الدرجة الثالثة: هي أعلى مراتب العبادة، وهي تحصل عندما يعبد الإنسان الله لكونه إلهاً وخالقاً، ولكونه في ذات الوقت عبداً له، والإلهية لله تعالى توجب له الهيبة والعزة من ناحية، ثم أن العبودية توجب له الخضوع والذلة من ناحية أخرى. وعليه كانت العبودية هي أعلى المقامات وأشرف الدرجات، بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [سورة الحجر، الآية: 99]. أما أشرف درجة فدليل قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [سورة الإسراء، الآية: 1].

تأسيساً على ذلك، فإن العبادة هي ركن أساسي في تحقيق الكمال الإنساني، لأن الكمال لما كان محبوباً بالذات، فإن أكمل أحوال الإنساني وأقواها في كونها سعادة اشتغاله بعبادة الله تعالى، فيها يستتير قلبه بنور الإلهية وتتجمل أعضاؤه بجمال خدمة الله⁽³¹⁾. ولا يصل إلى هذه الثمرة إلا من حقق هذه العبادة المأمور بها شرعاً، عندئذ يدرك أحوالها ويزول عنه ثقل الطاعات وتعظم حلاوتها في قلبه، فيحصل بذلك كمال اللذة والبهجة⁽³²⁾.

كما يؤكد الرازي على ضرورة إقامة العبادة ظاهراً وباطناً، إذ لا يكفي من العبادات القيام بها بالجوارح الظاهرة، بل يجب ظهور آثارها على الجوارح الباطنة، لأن المطلوب من الأعمال الظاهرة حسب رأي الرازي رعاية أحوال القلب في إخلاص النية وتصفية

مفهوم الكمال الإنساني عند فخر الدين الرازي

النفس عن الالتفاف إلى أي غرض سوى طلب رضوان الله تعالى وحده⁽³³⁾. بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة البينة، الآية: 5]. وعليه يؤكد الرازي تخصيص أعمال القلوب بالذكر، لأن أعمال الجوارح نابعة لأعمال القلوب، فإنه لولا البواعث والإرادات في القلوب لما حصلت أفعال الجوارح⁽³⁴⁾. فشرحوا أقسام التكاليف المتعلقة بها، غير أنهم لم يبحثوا فيما يتعلق بأعمال القلوب، التي هي في نظر الرازي أهم، لأن أعمال الجوارح عنده إنما تقوم لأجل تحصيل أعمال القلوب؛ وهذا ما ذهب إليه أيضاً ابن يتميه إلى أن أعمال الجوارح لا قيمة لها بغير أعمال القلوب، لأنها من أصول الإيمان وقواعده⁽³⁵⁾. وذلك ما يؤكد أيضاً السهر وردي بقوله القلب أمير الجوارح، وهي لا تتحرك إلا بتحرك القلب بالإرادة⁽³⁶⁾. وهذا لا يعنى إهمال الأعمال الظاهرة مطلقاً، لأن كمال العبادة عند الرازي لا تتحقق إلا بإقامة الأعمال الظاهرة والباطنة بصورة معتدلة لا غلو فيها.

وقد أكد الرازي على أهمية العبادات التي فرضها الحق تعالى على الإنسان كالصلاة والصوم والزكاة والحج، فيجب عليه أقامتها على الوجه الذي أمره الله سبحانه وتعالى إلى جانب الذكر.

كما أكد على أهمية الصلاة لأنها أول فريضة فرضها الله سبحانه وتعالى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهي آخر ما أوصى به أمته، وأول ما يسأل عنها الإنسان يوم القيامة. وذلك ما جاء به القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [سورة النساء، الآية: 102]. وأن الإنسان مأمور بإقامتها والمحافظة عليها في أوقاتها بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 42]. وقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَقوموا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 236].

وعليه أصبحت الصلاة عبادة من أهم العبادات التي تربط المرء بربه بدليل قول الرسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث قدسي: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبي ما سألت، فإذا قال العبد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قال الله تعالى: حمدني

مفهوم الكمال الإنساني عند فخر الدين الرازي

عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قال الله تعالى: مجدني عبدي، وفي رواية أخرى فوضى إلي عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل⁽³⁷⁾. ولذلك كانت الصلاة أهم العبادات التي توصل المرء أعلى درجات الكمال مع الله سبحانه وتعالى، لأنها جامعة بمنظور الرازي بين المعراج الجسماني والمعراج الروحاني، يتمثل الأول في الأفعال، أما الثاني يتمثل في الأذكار⁽³⁸⁾. بناءً على ذلك، فإن الصلاة ليست مجرد عبادة جسمانية تقوم بها الجوارح الظاهرة فقط، بل لا بد من إقامة المرء لها بجوارحه الظاهرة والباطنة، لكي تكون معراجاً حقيقياً إلى الله، ولكي تحصل الصلاة بهذا الشكل فلا بد أن يكون المرء حضوره دائماً مع الله، وما لم تكن كذلك فلا عبادة على حد قول الصوفية.

ويذكر الرازي أن أول شيء في الصلاة هو التطهر، وهذا أمر ضروري قبل الدخول في الصلاة " فإذا أردت أيها العبد الشروع في هذا المعراج فتطهر أولاً، لأن المقام مقام القدس، فليكن ثوبك طاهراً وبدنك طاهراً ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [سورة طه، الآية: 11] وأيضاً فعندك ملك وشيطان فأنظر أيهما تصاحب، ودين ودنيا فأأيهما تصاحب، وعقل وهواء فأنظر أيهما تصاحب، وخير وشر، وصدق وكذب، وحق وباطل، وحلم وطيش، وقناعة وحرص، وكذلك القول في كل الأخلاق المتضادة والصفات المتنافية، فأنظر إلى الطرفين تصاحب"⁽³⁹⁾. وهنا يدعو الرازي المرء بالتخلي بالأخلاق الفاضلة أفعالاً وأفعالاً، ولابتعاد عن الأفعال الرديئة، لأن الطهارة عنده لا تتوقف على إزالة النجاسات الحسية الظاهرة، بل لا بد وأن تشمل النجاسات الباطنة؛ وهنا يقسم الطهارة إلى طهارة ظاهرة وطهارة باطنة. وهنا نجد يتفق مع ابن القيم الذي أكد على أن الله سبحانه وتعالى لما شرع الوضوء للصلاة فالقصد منها طهارة الأعضاء من الأوساخ الحسية وأوساخ القلوب⁽⁴⁰⁾. وهنا أشار إلى الطهارة الظاهرة والباطنة وبهذا تكون الطهارة عنده حسية وباطنة في وقت واحد⁽⁴¹⁾.

مفهوم الكمال الإنساني عند فخر الدين الرازي

كما يوضح الرازي بأن يبدأ المرء بتكبيرة الإحرام قبل الدخول في الصلاة، بأن يرفع يديه ليقول الله أكبر، ولكن رفع اليدين ليس مجرد حركة جسمانية يؤديها المرء كشرط للدخول في الصلاة، بل يجب الالتزام معها بترك عالم الدنيا وعالم الآخرة، ويصرف نظره بالكليّة عما سوى الله ويتوجه بكليته، بقلبه وروحه وسره وعقله إلى الله وحده ليقول الله أكبر، وعندئذ يصبح لقوله معنى ليكون الله أكبر من كل الموجودات وأعلى وأعظم من كل المعلومات⁽⁴²⁾.

وهنا يشير الرازي إلى أن تكبيرة الإحرام ليست عملاً ظاهرياً فقط، بل هي عملاً قلبي في الدرجة الأولى، ويعنى بها الانقياد القلب في التوجه إلى الله وحده⁽⁴³⁾. وعندها لا يكون في قلب المصلي حقيقة إلا الله، بحيث يمتلئ قلبه به حين ينطق بقوله الله أكبر. وعندما يبدأ في قراءة الفاتحة، عندها يفتح له من أبواب الجنة ثمانية أبواب، الأول هو باب المعرفة، والثاني باب الذكر والذي يحققه قوله بعد ذلك: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» [سورة الفاتحة، الآية: 1]، ثم الباب الثالث وهو باب الحمد وهو قوله: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» [الفاتحة، الآية: 2]، ثم الباب الرابع باب الرجاء وقوله، «الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» [الفاتحة، الآية: 3]، والباب الخامس باب الإخلاص المتولد من العبودية ومعرفة الربوبية حين ينطق بقوله تعالى: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» [الفاتحة، الآية: 4]، والباب السابع باب الدعاء والتضرع كما قال تعالى: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا» [سورة النمل، الآية: 64]. وقوله تعالى: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» [سورة غافر، الآية: 60]. والباب الثامن باب الاقتداء بالأرواح الطيبة الطاهرة والاهتداء بأنوارها، بقول المصلي: «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» [سورة الفاتحة، الآية: 7، 6] أمين فإذا كان ذلك فهذا ما يحصل في الصلاة من المعراج الروحاني⁽⁴⁴⁾.

كما يحرص الرازي على تأكيد هذه المعاني الظاهرة والباطنة لأركان الصلاة من الخشوع والتعظيم والقيام والركوع والسجود والجلوس، فيحصل له فيما يتعلق بالقلب من الأفعال نهاية الخضوع والتذلل للمعبود، ومن ترك أن لا يكون ملتفت الخاطر إلى سوى الله تعالى، ومما يتعلق بالجوارح أن يكون مطرقةً فلا يلتفت يميناً ولا يساراً⁽⁴⁵⁾. وهذا هو

المقصد من قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية: 1].

فإذا أقام المرء صلاته بهذا الخشوع والخضوع والتواضع والتعظيم لله، عندئذ حصل على ثمراتها، بما يفيض الله عليه من الأنوار، لا سما في حال سجوده، باعتباره أقرب ما يكون فيه العبد بين يدي الله عز وجل⁽⁴⁶⁾.

أما الصوم عند الرازي فيعده عبادة ضرورية للكمال الإنساني شأنها شأن كل العبادات التي فرضها الله سبحانه وتعالى، فلزم على المرء أن يقوم بها على أكمل وجه، لأنه مأمور بالصوم بدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة، الآية: 182]. فقد تميز الصوم عن سائر العبادات التي فرضها سبحانه وتعالى، حيث اختص به الله لنفسه بدليل الحديث القدسي: "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به"⁽⁴⁷⁾. حيث بين الطوسي أن قوله تعالى الصوم لي يرجع إلى صفة الصمدية، ويعنى الصمد هو الذي لا جوف له، فلا يحتاج إلى الطعام والشراب⁽⁴⁸⁾. ولهذا نسبه الله تعالى لنفسه لأن حقيقة المخلوق تتطلب التغذية والشراب وغيرها. كما يشير الرازي إلى أن الصوم عبادة تحقق كثيراً من الكمال الروحي لصاحبها لما فيه من انكسار الشهوة وانقماص للهوى، والابتعاد عن شهوة البطن والفواحش⁽⁴⁹⁾. لهذا يجب أن يكون الإنسان واعياً بالقصد من الصوم لئلا يصاب عبداً للذات واسترقته الرغائب والشهوات، ولأجل ذلك فرض الله الصوم لكسر الشهوات وقطع لأسباب الاسترقاق⁽⁵⁰⁾.

فإذا استطاع المرء أن يمارس هذه العبادة إي الصوم ويدرك غايته، فكانت له عوناً في طريق الوصول إلى الكمال الإنساني ووسيلة تقربه من الاتصال بالملا الأعلى، لأن من أكثر الصوم هان عليه شهوة البطن والفرج، فكان ذلك رادعاً له عن ارتكاب المحارم والفواحش، فهو له أمر الرياسة في الدنيا وذلك جامع لأسباب التقوى⁽⁵¹⁾. بدليل قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 182]، وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس، الآية: 63]. ولهذا يرى الرازي أن الشيء كلما كانت الرغبة فيه أكثر كان الابتعاد عنه أشق على النفس؛ لأن الرغبة في المطعوم والمنكوح أشد من الرغبة في

سائر الأشياء الأخرى بالنسبة للإنسان، فإذا أسهل عليه اتقاء الله بترك المطعم والمنكوح كان اتقاء الله بترك الأشياء الأخرى أسهل وأخف عليه.

أما الذكر، فلا يقل أهمية عن الصلاة والصوم والزكاة والحج وغيرها من العبادات التي شرعها الله تعالى على الإنسان، بل تعتبر عبادة ضرورية لكمال المؤمن، خاصة وأنها عبادة لا تنقيد بوقت ولا بمكان، بل تتاح للإنسان القيام بها في كل أوقاته أثناء الليل وأطراف النهار. وهنا يؤكد الرازي على أهمية الذكر باعتباره وسيلة ضرورية في تحقيق الكمال الروحي للإنسان مثل بقية العبادات الأخر التي فرضها الله سبحانه وتعالى⁽⁵²⁾. ومما يضاعف من أهميته أنه عبادة مأمور به لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: 41]. وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [سورة البقرة، الآية: 199].

والذكر على ثلاث أوجه، فذكر باللسان، فذاك الحسنة بعشرة، وذكر بالقلب فذاك الحسنة بسبعمئة، وذكر لا يوزن ثوابه، ولا يُعد وهو الامتلاء من المحبة لله، والحياء من قربه⁽⁵³⁾. وهذا جعله بعض الصوفية طريقة الولاية، إذ اعتبروا الذكر ركن عظيم في طريق الله سبحانه وتعالى، هو العمدة في هذا الطريق، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر⁽⁵⁴⁾. ويذهب الإمام النووي إلى أن الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعاً، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل ثم لا ينبغي أن يُترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يُظن به الرياء، بل يذكر بهما جميعاً، ويقصد به وجه الله تعالى⁽⁵⁵⁾.

كما بين الرازي أن الذكر جانبيين هما الظاهر والباطن كبقية العبادات، حيث ينعكس آثار العمل القلبي على جوارح المرء وليس على اللسان فقط، فإذا أراد المرء تحقيقها والإتيان بها على الوجه الإثم، فيجب على الذاكر أن يكون في نفسه عازماً بمعاني الأذكار التي يقولها بلسانه مستحضراً لصفات الكمال والعز والعلو والجلال والعظمة لله تعالى⁽⁵⁶⁾.

يقسم الرازي الذكر إلى ثلاثة أنواع:

1 – الذكر باللسان ويحصل بالألفاظ الدالة على التحميد والتسبيح⁽⁵⁷⁾. من ناحية وبقراءة القرآن الكريم وتلاوته وتدبر معانيه وأحكامه من ناحية أخرى⁽⁵⁸⁾.

2 – الذكر بالقلب ويقسمه إلى ثلاثة أنواع.

أ – أن يتفكر المرء في دلائل الذات والصفات، وفي ذلك زيادة بتمام معرفته بكمال الذات الإلهية وجلال صفاتها⁽⁵⁹⁾. وأن يتفكر في الجواب عن الشبه القادحة في تلك الدلائل⁽⁶⁰⁾.

ب – أن يتفكر المرء في دلائل التكليف الإلهية من الأمر والنهي والوعد والوعيد، ويحرص على الوقوف على حكمها ومعرفة أسرارها، فإذا حصل له ذلك تيسر له القيام بها وسهل عليه فعل الطاعات وترك المحظورات⁽⁶¹⁾.

ج – أن يتفكر المرء في أسرار المخلوقات التي خلقها الله تعالى، بحيث تصبح كل جزء من تلك الأجزاء المخلوقة أمامه كالمرآة المجلوة المجازية لعالم الغيب، فإذا نظر إليها بعين عقله وقع شعاع بصره الروحاني على عالم الجلال، وهذا النوع أكمل أنواع الذكر القلبية (الباطنية) في منظور الرازي فهو عنده المقام لا غاية له، وبحر لا ساحل له⁽⁶²⁾.

3 – الذكر بالجوارح، وإنما يتحقق المرء بهذا الذكر عندما تصير كل جارحة من جوارحه الظاهرة مستغرقة تماماً في الطاعات، وخالية من المنهيات، وإذا كانت كل الجوارح الظاهرة على هذا الشكل كانت ذاكره الله بحكم هذه الطاعة في كل الأحوال⁽⁶³⁾.

نستنتج من ذلك، إن الذكر ليس مجرد كلمات تلفظ بها الشفاه دون أن يعي المرء معناها، وإنما الذكر يتم بتركيز على المعنى، بحيث يستحضر ما يردده للسان في قلبه، فإن لم يحصل الذكر بهذه الكيفية فليس صاحبه بذاكر حقيقة، ولن يحظى عندها بثمره ذكره في تقوية صلته بربه. ولهذا يؤكد الرازي هذه الحقيقة بقوله إن الذكر باللسان عارياً عن ذكر القلب كان عديم الفائدة⁽⁶⁴⁾.

ثانياً – التفكير وسيلة لكمال الإنساني:

إن التفكير في مخلوقات الله سبحانه وتعالى لا يقل أهمية عن العبادة، لأنه وسيلة من وسائل الارتقاء بالإنسان إلى أعلى درجات المعرفة الإلهية.

مفهوم الكمال الإنساني عند فخر الدين الرازي

يعد الرازي التفكير بداية الطريق إلى معرفة الله سبحانه وتعالى من خلال مخلوقاته وآثار عجائب صنعه، لتدل على عظمته الإلهية، أي الوصول بالخلق إلى الحق⁽⁶⁵⁾. حيث يوجه التفكير والتأمل في دلائل صنع الذات الإلهية، بينما يرفض التفكير فيما يتعلق بالذات الإلهية؛ لأن حقيقة الذات الإلهية غير معلومة للبشر ألبتة، وإنما المعلوم لهم صفاته وأفعاله فقط⁽⁶⁶⁾. ولقد استشهاد الرازي بحديث ضعيف عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو: "تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق"⁽⁶⁷⁾. لأن المرء لا سبيل له إلا بالإطلاع على عجائب قدرة الله ابتداء ما لم ينظر في مخلوقاته، فلا جرم أن كل ما كان إطلاعه على دقائق حكم الله وقدرته في المخلوقات أتم كان علمه بكماله، فكان حبه أتم وعبادته أكمل⁽⁶⁸⁾.

وبناءً على ذلك، فإن التفكير في بدائع مخلوقات الله تعالى هو الأفضل والأليق في حقه تعالى، لأن التفكير في ذاته تعالى لا لأن الدين أو الشرع قد نهانا عنه، بل إن التفكير في ذاته غير ممكن إطلاقاً على الوجه الذي يحقق كمال المعرفة به، والعلم به ما يليق بالوحيته. ولذلك فمهما حاول العقل الإنساني فلن يتصور حقيقة الباري سبحانه وتعالى؛ لأنه ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا مؤلف ولا في الجهة⁽⁶⁹⁾. وذلك من ضروري التفكير في مخلوقاته تعالى إذا أريد به معرفة الله من حيث آثاره لا من حيث ذاته. إذ الشيء لا يمكن معرفته بحقيقته المخصوصة، إنما يمكن معرفته بآثاره وأفعاله، ولا سيما إذا كانت أفعاله أشرف وأعلى، فإذا أقتصر العقل على كمال ذلك الفاعل يكون أتم⁽⁷⁰⁾.

يقسم الرازي دلائل التوحيد من حيث التفكير إلى قسمين:

أولاً - دلائل الآفاق، وهي عنده أجل وأعظم⁽⁷¹⁾. لقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [سورة غافر، الآية: 56]. وقوله تعالى: ﴿وَيَنْفَكُرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 191]. تلك دعوة من الله تعالى للإنسان بالتفكير في خلق السموات والأرض، لأن دلالتهما أعجب وشواهدهما أعظم في منظور الرازي. ولدليل ذلك لو نظر الإنسان إلى شاهداً بسيطاً من شواهد خلقه تعالى وهي الشجرة وأورقها لوجد فيها العجائب ما لا حصر لها، وكلها آية من آياته في عظمة صنع خالق.

مفهوم الكمال الإنساني عند فخر الدين الرازي

فإذا نظر إلى عروق ورقة صغيرة وتتبع عرقاً واحداً ممتداً في وسطها ثم يتشعب منه عروق كثيرة إلى الجانبين، ثم يتشعب منها عروق دقيقة ولا يزال يتشعب من كل عرق عروق أخرى حتى تصير تلك العروق غاية في الدقة فلا يراها الإنسان بالبصر المجرد، وعندها يعلم أن للخالق في تدبير تلك الورقة على هذه الخلقة، حكماً بالغة وأسراراً عجيبة. فقد أودع الله تعالى فيها قوى جاذبة من قعر الأرض، ثم إن الغذاء يجري في تلك العروق ويتوزع على كل جزء من أجزائها بتقدير العزيز الوهاب، فلو أراد الإنسان عندها أن يعرف كيفية خلق تلك الورقة، وكيفية التدبير في إيجادها وإبداع القوى الغذائية والنامية فيها لعجز عنه ذلك⁽⁷²⁾.

يذهب الرازي إلى أن الإنسان لا يكون أسيراً للتفكير إلى ما لا نهاية في عجائب مخلوقات الله تعالى، بل يجب أن يتيقن أن عقله مهما أدرك تلك المخلوقات فلن يتعرف على كيفية خلق الله لتلك المخلوقات، وعندها يقر ويوقن بعظمة الخالق وكماله وقدرته، لأن الإنسان إذا عرف قصور عقله وحدود معرفته ذلك، عرف أنه لا سبيل مطلقاً إلى الإطلاع على عجائب حكمة الله في خلق السموات والأرض⁽⁷³⁾.

وعند ذلك يدرك، أنه لم يبق له إلا الاعتراف بأن الخالق أجل وأعظم من أن يحيط به وصف الواصفين ومعارف العارفين⁽⁷⁴⁾.

ثانياً – دلائل الأنفس:

يستدل الرازي بقوله تعالى: ﴿سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَنْبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [سورة فصلت، الآيات: 52]. حيث تشير تلك الآيات إلى الطريق لمعرفة الله سبحانه وتعالى من خلال النظر والتفكير في الآيات الأفاق وآيات الأنفس، وهو طريق الاستدلال بالخلق على الخالق، من جهة التلازم الضروري بين كل دليل ومدلوله، ولما كان وجود الخلق يستلزم وجود الخالق، كانت الآيات تلفت نظر الإنسان إلى هذا الدليل كقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الذاريات، الآية: 21]. والمقصود هنا الاستدلال الإنسان بما نبه عليه القرآن من البراهين على وجود الله سبحانه وتعالى. حيث قرر فيه أن الدليل على وجوده تعالى أن الإنسان الذي هو في غاية الكمال والتمام، كان نطفه ثم علقه

مفهوم الكمال الإنساني عند فخر الدين الرازي

ثم لحماً ودماً وعظماً، وقد علمنا لم ينقل نفسه من حال إلى حال، وكذلك لم ينتقل الإنسان من طور أطفولة إلى طور الشباب حتى يصير شيخاً؛ فإذا تفكر الإنسان في هذا علم بالضرورة أنه له خالقاً قادراً عالماً هو الذي خلقه⁽⁷⁵⁾.

فتأسيساً على ذلك، يكون التفكير والتأمل في مخلوقات أمراً ضرورياً ومطلوباً، فيه ما يدل على عظمة الخالق وكمال قدرته، مما يجب على المرء استخدام العقل والنظر في عجائب خلق الله تعالى، يعطى للإنسان من الدلائل على قدرة الله الكثير، لذلك قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: 19]. وهنا توجيه منه تعالى للإنسان في السير إلى الله طلباً لكمال معرفته سبحانه وتعالى. ولهذا حرص الرازي على أن يكون التفكير وسيلة مهمة من الوسائل التي تنهض بتحقيق كمال الإنساني من خلال معرفته بالله سبحانه وتعالى..

الخاتمة: نخلص مما سبق إلى الآتي.

- 1 – ينادي الرازي بالزهد في الدنيا، ولكن ليس بالزهد الذي يهجر فيه الإنسان للدنيا ويعزف عن تحقيق مطالبه أو رغباته الأساسية فيها، وتحقيرها طلباً للأخرة ونعيمها؛ بل بصورة معتدلة التي تتفق مع النهج القرآني والنبوي، في مفهوم الحياة الدنيوية التي تحقق السعادة الآخروية.
- 2 – الحياة الروحية هي الوسيلة الوحيدة التي يسير المسلم على الطريق إلى الله تعالى وعبادته حق العبادة.
- 3 – يؤكد الرازي على أن كمال الإنسان موقوف على تحقيق الكمال الروحي، فقد لزم الإنسان أن يسعى في حاضره إلى أعلى درجاته، ولا يتأني له ذلك إلا بتكميل نفسه بالمعارف الروحية الربانية.
- 4 – لكي يصل المرء إلى القرب من الله سبحانه وتعالى، فلا بد له من القيام بالعبادات الجسدية المشروعة من ناحية، والتفكير والتأمل والتدبير في ملكوت الله من ناحية أخرى.

مفهوم الكمال الإنساني عند فخر الدين الرازي

5 – يحذر الرازي بأن لا تكون الصلاة مجرد حركات وأقوال يرددّها اللسان، بل يجب أن تكون أفعال ترفع صاحبها إلى أعلى الدرجات، وتكون أيضاً مفتاحاً لعروج إلى الملاء الأعلى.

6 – يحرص الرازي على أن يكون الذكر من الضروريات التي يتمسك بها الإنسان وهو في طريقه إلى الله تعالى، طلباً لكمال المعرفة الإلهية.

7 – يعد الرازي التفكير ذو أهمية كبيرة وقيمة ضرورية لكمال الإنساني، لتحقيق من خلاله الارتقاء لأعلى المراتب المعرفة الإلهية.

ولا شك في هذا البحث تظهر نزعة الصوفية وقناعته بالطريق الصوفي وثمراته للوصول بالكمال المعرفة الإلهية والكمال الإنساني، الذي يتحقق من خلاله سعادته في الدارين.

هوامش البحث:

1 – فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، م10، دار الغد العربي، القاهرة، 1999م، ص:142،143 .

2 – المصدر نفسه: م10، ص:140 .

3 – فخر الدين الرازي: كتاب النفس والروح وشرح قواهما، تحقيق محمد صغير حسن المعصومي، مطبوعات معهد الأبحاث الإسلامية، إسلام آباد، 1399هـ، ص:4.

4 – المصدر نفسه: كتاب النفس والروح، ص:9 .

5 – المصدر السابق: التفسير الكبير، م10، ص:143 .

6 – المصدر نفسه: التفسير الكبير، م1، ص:230 .

7 – الإمام محمد عبده: الإسلام دين العلم والمدينة، تعليق عاطف العراقي، دارسينا للنشر، القاهرة، 1987م، ص:50 .

8 – المصدر السابق: التفسير الكبير، م4، ص:43.

9 – المصدر نفسه: م4، ص:43، 44 .

* تعنى الأحوال عند الصوفية "تحول العبد بها من الرسوم الخلقية ودركات البعد إلى الصفات الحقيه ودرجات القرب، وذلك هو معنى الترقى. وقيل معنى الأحوال هو ما يحل بالقلوب، أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار".

عبد المنعم الحفنى: معجم مصطلحات الصوفية، ط2، دار المسيرة، بيروت، 1987م، ص:73.

- 10 – فخر الدين الرازي: المطالب العالية من العلم الإلهي، ج 1، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م، ص:62 .
- 11 – المصدر السابق: التفسير الكبير، م 8، ص: 642 .
- 12 – المصدر السابق: المطالب العالية من العلم الإلهي، ج 1، ص:62 .
- 13 – المصدر السابق: التفسير الكبير، م 8، ص: 643 .
- 14 – المصدر نفسه: م 8، ص:642 . وأيضاً م 4، ص:44 .
- 15 – المصدر نفسه: م 4، ص:642 .
- 16 – المصدر السابق: كتاب النفس والروح، ص:26 .
- 17 – المصدر نفسه : ص:26 .
- 18 – المصدر نفسه والصفحة .
- 19 – المصدر نفسه: ص:26 .
- 20 – المصدر السابق: التفسير الكبير، م 6، ص: 117 .
- 21 – المصدر نفسه : م 7، ص: 666 .
- 22 – المصدر نفسه: م 8، ص: 643 .
- 23 – المصدر نفسه: م 16، ص: 558 .
- 24 – عبد الرازق الكاشاني: معجم اصطلاحات الصوفية، ط 3، تحقيق عبد الخالق محمود، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007م، ص: 111 .
- 25 – المصدر السابق: التفسير الكبير، م 16، ص: 559 .
- 26 – المصدر نفسه: م 8، ص: 468 .

- 27 – المصدر نفسه: م 6، ص: 6 .
- 28 – المصدر نفسه : والمجلد والصفحة نفسها .
- 29 – المصدر نفسه: م 1، ص: 305 .
- 30 – المصدر نفسه : م 1، ص: 305 .
- 31 – المصدر نفسه : م 1 ، ص : 303 .
- 32 – المصدر نفسه : م 1، ص : 304 .
- 33 – المصدر نفسه : م 5، ص: 544 .
- 34 – المصدر نفسه : م 16، ص: 596 .
- 35 – ابن تيمية: التحفة العراقية في الأعمال القلبية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1399هـ
–، ص: 37.
- 36 – السهر وردي: عوارف المعارف، دار الكتاب العربي، بيروت، ب دون تاريخ،
ص: 497.
- 37 – محمد محمد تامر وعبد العزيز مصطفى: الأحاديث القدسية الصحيحة، دار التقوى
للتراث، مصر، 2000م ، ص: 353 . أخرجه مسلم في صحيحه،
- 38 – المصدر السابق: التفسير الكبير، م 1، ص: 335 .
- 39 – المصدر نفسه : م 1، ص: 335 .
- 40 – ابن القيم: مفتاح دار السعادة، ط3، صححه محمود حسن، مكتبة حميدو،
الإسكندرية، 1997م، ص: 351 .
- 41 – ابن القيم: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ج 1 ، دار التراث العربي، القاهرة،
1983م ، ص: 56 .
- 42 – المصدر السابق: التفسير الكبير، م 1، ص: 335 .
- 43 – يوسف زيدان : الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي، دار النهضة العربية،
بيروت، 1988 م، ص: 76 – 78 .
- 44 – المصدر السابق: التفسير الكبير، م 1، ص: 327.

- 45 – المصدر نفسه: م11، ص: 342 .
- 46 – الغزالي : إحياء علوم الدين، ج1،الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، بدون تاريخ نشر، ص: 200 .
- 47 – المرجع السابق: الأحاديث القدسية الصحيحة، ص: 94 .
- 48 – الطوسي : اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي، ط2، صححه كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م، ص: 216، 217 .
- 49 – المصدر السابق: التفسير الكبير، م3، ص: 56 .
- 50 – الشعراي: أسرار أركان الإسلام، ت حقيق عبد القادر عطا، دار التراث العربي، القاهرة، 1980 م، ص: 55 .
- 51 – المصدر السابق: التفسير الكبير، م3، ص: 56، 57 .
- 52 – المصدر نفسه: والمجلد نفسه، ص : 57 .
- 53 – المصدر السابق: اللمع، ص: 200 .
- 54 – عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية في علم التصوف، تحقيق معروف مصطفى زريق، المكتبة العصرية، بيروت، 2002 م، ص: 221 .
- 55 – عبد القادر عيسى: حقائق عن التصوف، دار المقطم، القاهرة، 2005 م، ص: 111.
- 56 – المصدر السابق: التفسير الكبير، م 7، ص: 421 .
- 57 – الرازي : لوامع البيئات شراح أسماء الله والصفات، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الأزهرية، القاهرة، 1976 م، ص: 48 .
- 58 – المصدر السابق: التفسير الكبير، م 2، ص: 534 .
- 59 – المصدر السابق : لوامع البيئات، ص: 47 .
- 60 – المصدر السابق: التفسير الكبير، م 2، ص: 534 .
- 61 – المصدر السابق : لوامع البيئات، ص: 48. وأيضاً التفسير الكبير، م 2، ص: 534.

- 62 – المصدر نفسه والصفحة نفسها. وأيضاً المصدر نفسه: م 2، ص: 534.
- 63 – المصدر نفسه: لوامع البيئات، ص: 49 .
- 64 – المصدر السابق: التفسير الكبير، م 7، ص: 421 .
- 65 – المصدر السابق: لوامع البيئات، ص: 69 .
- 66 – المصدر السابق: التفسير الكبير، م 8، ص: 642 .
- 67 – المصدر نفسه: م 2، ص: 619. أيضاً أنظر: جميلة محي الدين البشتي: صدر الدين الشيرازي وموقفه النقدي من المذاهب الكلامية، دار العلوم العربية، بيروت، 2008 م، ص: 105. هامش 1، فيه ما يؤكد على ضعف الحديث الورد ذكره في المتن البحث.
- 68 – المصدر السابق: التفسير الكبير، م 2، ص: 619 .
- 69 – المصدر نفسه: م 4، ص: 620 .
- 70 – المصدر نفسه: م 4، ص: 620 .
- 71 – المصدر نفسه: م 4، ص: 620 .
- 72 – المصدر نفسه: م 4، ص: 621 .
- 73 – المصدر نفسه: م 4، ص: 621 .
- 74 – المصدر نفسه: م 4، ص: 621 .
- 75 – الرازي: الأربعين في أصول الدين، حيدر آباد، الهند، 1353 هـ، ص: 92 .

أحكام التعجيل بإخراج الزكاة المفروضة وزكاة الفطر

د. طيب السنوسي الأشهب

كلية التربية - جامعة طرابلس

المقدمة:

الحمد لله الذي يعلم السر وأخفى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك علي عبدك ورسولك محمد، وعلي اله وصحبه أجمعين.

تأتي الزكاة؛ من أولي ما يعتني به المسلم، فهي الركن الثالث من أركان الإسلام العظام، وأحد مبادئ الكبار، ذكرها الله -جل جلاله- في كتابه مقرونةً بالصلاة؛ لعظم شأنها، وتنويهاً بذكرها، وترغيباً في حسن أدائها، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأُرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ البقرة الآية (43) جاء عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام علي خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان"⁽¹⁾.

وحذر - جل جلاله - من عدم إخراجها، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ التوبة 34-35

تتضح أهمية البحث في ارتباطه الوثيق بركن عظيم من أركان الإسلام ألا وهو الزكاة، مما تعظم الحاجة إليه؛ لمعرفة أحكامه الفقهية ليعبد المسلم ربه علي بينة، وعلم، وهدى، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأُرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ البقرة الآية 43 ولعظم الحاجة إلي معرفة حكم تعجيل الزكاة في واقعنا المعاصر، خاصة مع كثرة سؤال الناس الذين يتعرضون إلي كوارث مفاجئة تستوجب التعجيل والاسراع إلي مساعدتهم ومدد يد العون لهم والإلمام بما يترتب علي تعجيل الزكاة من أحكام فقهية ومن أهم المسائل الفقهية في كتاب الزكاة؛ مسألة التعجيل في إخراجها لحاجة كل مكلف لمعرفة

أحكام التعجيل بإخراج الزكاة المفروضة وزكاة الفطر

الحكم الفقهي فيها، لذا اخترت أن يكون عنوان هذا البحث بعنوان: *أحكام التعجيل بإخراج الزكاة المفروضة وزكاة الفطر*.

أولا مفهوم التعجيل والزكاة

1- تعريف التعجيل لغة⁽²⁾:

تدور معاني التعجيل لغة علي الإسراع، والاستحاث، قال ابن فارس رحمه الله: "العين، والجيم، واللام، أصلان صحيحان يدل أحدهما علي الاسراع، والآخر علي بعض الحيوان"⁽³⁾.

فالتعجيل: الاستحاث، وطلب العجلة، يقال: استعجل الرجل: حثه، وأمره أن يعجل بالأمر⁽⁴⁾.

والعاجل: نقيض الآجل؛ عام في كل شيء⁽⁵⁾.

والعَجَل، والعَجَلَة: ضد البُطء⁽⁶⁾.

والمعجل: المقدم، يقال: تعجل من الكراء كذا، وعجل له من الثمن كذا تعجيلاً، أي قدم⁽⁷⁾.

والعَجَلَة: طلب الشيء، وتحريه قبل أوانه⁽⁸⁾.

2- مفهوم التعجيل اصطلاحاً:

لا يخرج التعجيل في التعريف الاصطلاحي عن معناه اللغوي فيعرف التعجيل بأنه: "الإسراع بإحضار نحو المال، أو الدين"⁽⁹⁾.

وهو تعريف عام يتوافق مع المعنى اللغوي، وعلي هذا المعنى جاءت بعض الآيات القرآنية الكريمة، قال تعالى: {قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ} طه الآية 84.

وقال جلّ جلاله: {لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} القيامة الآية 16.

ويأتي التعجيل في الاصطلاح الفقهي لمعنيين هما⁽¹⁰⁾:

أ- الأمر الأول: أداء الحق قبل وقته، ومنه تعجيل الزكاة: أدائها قبل وجوبها.

ب- الأمر الثاني: أداء الحق في أول وقته، ومنه تعجيل صلاة المغرب.

والأمر الأول هو المقصود في مسائل هذا البحث، فيعرف التعجيل على هذا الاعتبار

بأنه: "الإتيان بالفعل قبل وقته المحدد له شرعاً بإذن الشارع"⁽¹¹⁾.

2- الزكاة:

أولاً-تعريف الزكاة لغة:

تدور معاني مادة (زكا) على الطهارة، والنماء، والبركة، والمدح⁽¹²⁾ قال ابن فارس رحمه الله: "الزاء، والكاف، والحرف المعتل؛ أصل يدل على نماء، وزيادة"⁽¹³⁾.
والزكاة: ما أخرجته من مالك لتطهر به⁽¹⁴⁾ سميت بذلك لأنها مما يرجي به زكاة المال، وهو زيادته، ونمائه⁽¹⁵⁾، قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} التوبة الآية 103.
والزكاة: ما يخرج الإنسان من حق الله تعالى إلي الفقراء⁽¹⁶⁾ سميت بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة، أو لتزكية النفس.
والزكاة: الصلاح⁽¹⁷⁾.

ثانياً- تعريف الزكاة اصطلاحاً:

لا يخلو كتاب فقهي من تعريف للزكاة، ومن تعريفاتها:

- 1- الزكاة: "القدر المخرج من النصاب الحولي إلي الفقير"⁽¹⁸⁾.
 - 2- وتعرف بأنها: "جزء من المال شرط وجوبه لمستحقه بلوغ المال نصاباً"⁽¹⁹⁾.
 - 3- وتعرف بأنها: "اسم لأخذ شيءٍ مخصوص من مالٍ مخصوص علي أوصاف مخصوصة لطائفة مخصوصة"⁽²⁰⁾.
- وهذه التعريفات متقاربة في معانيها، فلفظ (الزكاة) إذا أطلق في موارد الشريعة ينصرف لحق يجب في المال بشرائط مخصوصة، وإنما تكثر القيود في التعريفات وفقاً لما ذهب إليه كل مذهب من إجتهد فقهي.

ثانياً: حكم تعجيل الزكاة بعد ملك النصاب⁽²¹⁾.

وقيل تمام الحول⁽²²⁾:

للزكاة شرائط مخصوصة عند الفقهاء اهتموا بإيضاحها، وبيانها؛ لما للزكاة من أهمية عظيمة في الإسلام، فهي من أركانه العظام، قال السرخسي رحمه الله: "هي فريضة مكتوبة وجبت بإيجاب الله تعالى، فإنها في القرآن ثلاثة الإيمان"⁽²³⁾ قال تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّكَّعِينَ} البقرة الآية 43.

أحكام التعجيل بإخراج الزكاة المفروضة وزكاة الفطر

ولإخراج الزكاة شرائط لا بد من توفرها، ومن ذلك⁽²⁴⁾:

1- ملك النصاب.

2- تمام الحول.

ولا يخلو الحال في إخراج الزكاة من قسمين:

أولاً- تعجيل الزكاة قبل ملك النصاب:

اتفق الفقهاء رحمهم الله علي عدم جواز تعجيل الزكاة قبل ملك النصاب⁽²⁵⁾ ومن نصوص الفقهاء رحمهم الله في هذا الشأن:

أ- قال الشاشي (رحمه الله: "كل ما وجبت الزكاة فيه بالحلول والنصاب لايجوز تقديم زكاته علي ملك النصاب"⁽²⁶⁾

ب- قال القاضي عبد الوهاب⁽²⁷⁾ رحمه الله: "أما زكاة العين فمن شروطها النصاب، والحول إلا أن يكون من معدن"⁽²⁸⁾.

ج- قال النووي⁽²⁹⁾ رحمه الله: "يجوز تعجيل الزكاة قبل الحول، ولا يجوز قبل تمام النصاب، بغير خلاف علمناه"⁽³⁰⁾.

د- قال ابن قدامة⁽³¹⁾ ولا يجوز تعديل الزكاة قبل ملك النصاب بغير علمناه⁽³²⁾.

ثانياً- تعجيل الزكاة بعد ملك النصاب: اختلف الفقهاء في تعجيل الزكاة بعد ملك النصاب، وقبل تمام الحول علي قولين:

القول الأول: جواز تعجيل الزكاة بعد ملك النصاب، وقبل تمام الحول. وهو مذهب الحنفية⁽³³⁾ ورواية عن الإمام مالك⁽³⁴⁾ ومذهب الشافعية⁽³⁵⁾ والحنابلة⁽³⁶⁾.

ولكن اختلفوا في المدة التي يجوز فيها تعجيل الزكاة علي النحو الآتي:

أ- الحنفية يجوز عندهم التعجيل لأكثر من سنة⁽³⁷⁾، ولكن إنما يجوز التعجيل عندهم بشرائط ثلاثة⁽³⁸⁾.

أحدهما: أن يكون مالاً للنصاب في أول الحول.

والثاني: أن يكون النصاب كاملاً في آخر الحول أيضاً.

والثالث: أن يكون في وسط الحول بعض النصاب الذي انعقد عليه الحول أو كله.

أحكام التعجيل بإخراج الزكاة المفروضة وزكاة الفطر

ب- المالكية- على رواية عندهم- يجوز التعجيل بقرب، أو بالأيام اليسيرة واختلف في حد القرب علي أربعة أقوال⁽³⁹⁾:

أحدهما: أنه اليوم، واليومان، ونحو ذلك.

الثاني: أنه العشرة الأيام، ونحوها.

الثالث: أنه الشهر، ونحوه.

الرابع: أنه الشهران، وما دونهما.

والثالث: أن يكون في وسط الحول بعض النصاب الذي انعقد عليه الحول أو كله.

ج- الشافعية يجوز التعجيل لعام واحد علي الأصح⁽⁴⁰⁾.

د- الحنابلة يجوز التعجيل عندهم لحولين فأقل، قال ابن عقيل رحمه الله: "لا تختلف الرواية فيه، اقتصاراً علي ما ورد"⁽⁴¹⁾، وقال الحجاوي (رحمه الله: "يجوز تعجيل الزكاة، وتركه أفضل، لحولين فأقل فقط، بعد كمال النصاب لا قبله، ولا قبل السوم"⁽⁴²⁾.

القول الثاني: لا يجوز تعجيل الزكاة.

وهو مذهب المالكية⁽⁴³⁾، ووجه عند الشافعية⁽⁴⁴⁾، قال النووي رحمه الله: "وليس بشيء، ولا تفريع عليه"⁽⁴⁵⁾.

واختيار ابن حزم رحمه الله حيث قال: "لا يجوز تعجيل الزكاة قبل تمام الحول، ولا بطرفة عين، فإن فعل لم يجزه، وعليه إعادتها، ويرد إليه ما أخرج قبل وقته لأنه أعطاه بغير حق"⁽⁴⁶⁾.

سبب الخلاف في المسألة: يوضح سبب الخلاف في المسألة ابن رشد رحمه الله بقوله: "سبب الخلاف هل هي (أي زكاة) عبادة أو حق واجب للمساكين؟ فمن قال عبادة وشبهها بالحقوق الواجبة المؤجلة أجاز إخراجها قبل الأجل علي جهة التطوع"⁽⁴⁷⁾.

ولعل سبب الخلاف مبني علي القاعدة الفقهية أن تقديم الشيء علي سببه ملغي، وعلي شرطه جائز⁽⁴⁸⁾، نص عليها ابن رجب رحمه الله بقوله: "العبادات كلها- سواء كانت بدنية، أو مالية، أو مركبة بينهما- لا يجوز تقديمها علي سبب وجوبها، ويجوز تقديمها بعد سبب الوجوب وقبل الوجوب، أو قبل شرط الوجوب"⁽⁴⁹⁾.

أدلة القول الأول - بجواز تعجيل الزكاة:

- 1- الدليل الأول: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن العباس رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعجيل الزكاة قبل أن تحل، فرخص له في ذلك⁽⁵⁰⁾.
- 2- الدليل الثاني: عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه: "إنا قد أخذنا من العباس زكاة العام عام الأول⁽⁵¹⁾" ووجه الدلالة ظاهر ونوقش: بأن الحديث لا يخلو من مقال، قال ابن حجر رحمه الله: "وفي الدار قطني من طريق موسى بن طلحة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنا كنا احتجنا فتعجلنا من العباس صدقة ماله سنتين"؛ وهذا مرسل، وورد عند الدار قطني أيضاً موصولاً بذكر طلحة فيه، وإسناد المرسل أصح، وفي الدار قطني أيضاً من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عمر ساعياً فأتي العباس فأغلظ له، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن العباس قد أسلفنا زكاة ماله العام والعام المقبل؛ "وفي إسناده ضعف"⁽⁵²⁾.
- 3- الدليل الثالث: أن سبب وجوب الزكاة ملك النصاب، فيجوز إخراج الزكاة بعد وجود سببها، فالنبي صلى الله عليه وسلم جعل السبب وجود النصاب، والحوال وصفه؛ لأنه يقوم به، كما تقوم الصفة بالموصوف، ولا تقوم الصفة بنفسها⁽⁵³⁾.
- 4- الدليل الرابع: أن كفارة القتل الخطأ تجب بالموت؛ ولكن إن أخرجها بعد الجرح، وقبل الموت أجزأت، فكذاك تعجيل الزكاة إن أخرجها قبل الحول⁽⁵⁴⁾.
- 5- الدليل الخامس: يجوز تعجيل الزكاة لأنه تعجيل لمال وجد سبب وجوبه قبل وجوبه فجاز⁽⁵⁵⁾، كتعجيل قضاء الدين قبل حلول أجله⁽⁵⁶⁾.
- 6- الدليل السادس: أن الزكاة حق مالي، فجاز تعجيلها قياساً على النذر، فمن نذر أن يتصدق بهذا الدرهم في غد فتصدق به اليوم جاز؛ لأنه حق مالي⁽⁵⁷⁾ ونوقش: بأنها زكاة قدمت علي سبب وجوبها فلم يجز، كمن صلي قبل الوقت.
- ويجاب علي ذلك: بأن حق الله تعالي ضربان: حق علي بدن كالصلاة، والصيام، فلا يجوز تقديمه قبل وجوبه، وحق في مال كالزكاة، والكفارة، فيجوز تقديمه قبل وجوبه⁽⁵⁸⁾.
- 7- الدليل السابع: أن الزكاة حق مالي، يجب لسببين يختصانه، فجاز تقديمه علي أحدهما، أصله الكفارة يجوز تقديمها علي الحنث بعد وجود اليمين⁽⁵⁹⁾.

أحكام التعجيل بإخراج الزكاة المفروضة وزكاة الفطر

ونوقش: أن هناك أسباباً أخرى تجب لها الزكاة نحو: الإسلام، والحرية. ويجاب علي ذلك: أن الإسلام، والحرية لا يختصان بالزكاة بل تعتبر في الولايات، والشهادات، ووجوب الحج، والجمعة⁽⁶⁰⁾.

أدلة القول الثاني - بعدم جواز تعجيل الزكاة:

1- الدليل الأول: ما أخرجه الدارقطني، وابن الجوزي بلفظ: "لازكاة في مال امرئ حتى يحول عليه الحول"⁽⁶¹⁾، فالحديث صريح في منع تعجيل الزكاة. ونوقش: لو صح الخبر فيكون المعني لا يجب أن تؤدي الزكاة قبل الحول؛ ليمكن الجمع بينه وبين خبر العباس رضي الله عنه، قال الماوردي أما قوله صلي الله صلي الله عليه وسلم: "لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول"، فالمراد به: نفي الوجوب دون الإجزاء⁽⁶²⁾.

2- الدليل الثاني: لا يجوز التقديم، ومن فعل ذلك يكون كمن صلى قبل الوقت⁽⁶³⁾.

ونوقش: بأن حق الله تعالى ضربان: حق علي بدن كالصلاة، والصيام، فلا يجوز تقديمه قبل وجوبه، وحق في مال كالزكاة، والكفارة، فيجوز تقديمه قبل وجوبه⁽⁶⁴⁾.

3- الدليل الثالث: أن تعجيل الزكاة تقديم لها علي بعض شروط وجوبها؛ كما لو قدمها علي النصاب⁽⁶⁵⁾.

ونوقش: أن تقديم الزكاة علي النصاب هو تقديم علي كل سببها فلم يجز، لعدم وجود كامل سببها، وإخراجها بعد النصاب كالأداء بعد وجود سببها؛ ثم هو ينتقض بتقديم الكفارة قبل الحنث⁽⁶⁶⁾.

4- الدليل الرابع: أنه إذا عجل شاة من أربعين فلا يخلو: إما ملكه زال عنها فيجب إذا حال الحول أن لا تجب عليه زكاة، فيقضي تعجيلها إلي إسقاطها، وإما ملكه باق عليها فلا فائدة في التعجيل؛ لأنها تصير كالوديعة في يد الإمام، ولا يمكنه صرفها إلي الفقراء، وإذا بطل هذا، ثبت عدم صحة التعجيل⁽⁶⁷⁾.

ونوقش: بأنها علي ملكه، ولالإمام دفعها إلي الفقراء، وأن يتصرفوا فيها⁽⁶⁸⁾.

أحكام التعجيل بإخراج الزكاة المفروضة وزكاة الفطر

ثالثاً- حكم إجبار رب المال علي إخراج زكاته قبل محلها: لا يجوز أن يجبر ولي الأمر رب المال علي إخراج زكاته كرهاً باتفاق العلماء وهو قول المالكية⁽⁶⁹⁾ لأنهم لا يرون جواز تعجيل الزكاة فكيف يجبر رب المال علي إخراجها معجلةً أصلاً⁽⁷⁰⁾.
والحنفية لا يجوز أن يجبر ولي الأمر رب العمل علي إفراج زكاته كرهاً⁽⁷¹⁾.
وقول الشافعية⁽⁷²⁾، قال الإمام الشافعي رحمه الله: "ويجوز للوالي إذا رأى الخلة في أهل الصدقة أن يستسلف لهم من صدقات أهل الأموال إذا طابوا بها نفساً، ولا يجبر رب مالٍ علي أن يخرج صدقته قبل محلها إلا أن يتطوع"⁽⁷³⁾.
وقول الحنابلة⁽⁷⁴⁾، وقال ابن قدامة رحمه الله: "وإن وجد لساعي مالاً لم يكمل حوله فسلفه المال زكاته أخذها، وإن أبي لم يجبره؛ لأنه ليس بواجب عليه"⁽⁷⁵⁾.
الاستدلال:

- 1- قول النبي صلي الله عليه وسلم "لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس"⁽⁷⁶⁾.
وجه الدلالة: أن من أجبر علي تعجيل زكاته كرهاً؛ يكون قد أخرجها بغير طيب نفس منه.
- 2- بما أن تعجيل الزكاة ليس بواجب علي رب المال؛ فلا يجبر عليه، بل يخرجها إن شاء تطوعاً⁽⁷⁷⁾.
- رابعاً- هلاك الزكاة المعجلة قبل دفعها لمستحقيها: هذه المسألة وما يتفرع عنها لا ترد عند فقهاء المالكية؛ لما سبق من أنهم لا يرون جواز تعجيل الزكاة، وقد بين الغزالي رحمه الله أن ولي الأمر إذا استسلف للمساكين، فلا يخلو الحال من أمور أربعة⁽⁷⁸⁾:
الأمر الأول: أن يستسلف ولي الأمر للمساكين بسؤالهم.
الأمر الثاني: أن يستسلف ولي الأمر للمساكين بسؤال رب المال.
الأمر الثالث: أن يستسلف ولي الأمر للمساكين بسؤالهم، وسؤال رب المال.
الأمر الرابع: أن يستسلف ولي الأمر للمساكين؛ لما يرى فيهم من الحاجة، والخلة.
واختلف الفقهاء في ضمان ولي الأمر للزكاة المعجلة إذا هلك قبل دفعها لمستحقيها علي قولين:

أحكام التعجيل بإخراج الزكاة المفروضة وزكاة الفطر

القول الأول- أن الإمام لا يضمن إلا إذا فرط: وهو قول الحنفية (79)، وقال الكاساني رحمه الله: "وإن هلك في يده (أي الإمام) لا يضمن عندنا" (80).

وقول الحنابلة (81)، قال المرداوي رحمه الله: "هذا الصحيح من المذهب" (82).

وقال ابن قدامة رحمه الله: "إذا تسلف الإمام الزكاة، فهلك في يده فلا ضمان عليه، وكانت من ضمان الفقراء، ولا فرق بين أن يسأله ذلك رب المال، أو الفقراء، أو لم يسأله أحد" ووجه عند الشافعية (83).

الاستدلال:

1- أن الضمان إنما يجب علي الإنسان بفعله، وفعل ولي الأمر الأخذ، وهو مأذون فيه، فلا يصلح سبباً لوجود الضمان، والهالك ليس من صنعه بل هو محض من تقدير الله تعالى (84).

2- أن يد الوالي كيد الفقراء (85).

القول الثاني- أن الإمام يضمن مطلقاً سواء فرط أم لم يفرط: وإليه ذهب الشافعية (86)؛ بأن الإمام إن تسلف الزكاة المعجلة من غير سؤال؛ ضمنها، وإن تسلفها بسؤال الفقراء كان من ضمانهم، وإن تسلفها بسؤال أرباب الأموال لم يجزئهم الدفع، وكان من ضمانهم، وإن كان بسؤالهما ففيه وجهان (87). قال الإمام الشافعي رحمه الله: "فإن استسلف لهم، فهلك السلف منه قبل أن يدفعه إليهم، وقد فرط، أو لم يفرط، فهو ضامن لهم في ماله، وليس كوالي اليتيم الذي يأخذ له فيما لا صلاح له إلا به.

إذا قبض الفقير الزكاة المعجلة ومات خامساً: أو اغتنى قبل حولان الحول

1- إذا قبض الفقير الزكاة المعجلة، ومات قبل حولان الحول.

لا يخلو الحال في الفقير الذي قبض الزكاة المعجلة من أمرين:

الأمر الأول: أن يموت الفقير بعد قبض الزكاة المعجلة، وبعد تمام الحول.

اتفق الفقهاء رحمهم الله علي أن من شرائط إخراج الزكاة ملك النصاب، وتمام الحول (88)؛ فإذا قبضها مستحقها الفقير تكون قد وقعت موقعها، قال الماوردي رحمه الله: "الوالي إذا تعجل من رجل بغيراً، ودفعه إلي فقير لما رأى من حاجته، وشدة خلته ومات

أحكام التعجيل بإخراج الزكاة المفروضة وزكاة الفطر

الفقير... فإن مات بعد الحول فلا تراجع، والزكاة مجزئة؛ لأنه قد كان من مستحقي الزكاة عند وجوبها⁽⁸⁹⁾.

الأمر الثاني: أن يموت الفقير بعد قبض الزكاة، وقبل تمام الحول.

اختلف الفقهاء في هذه المسألة علي قولين:

القول الأول: أن الزكاة وقعت موقعها وأجزأت.

وهو قول الحنفية⁽⁹⁰⁾، قال ابن نجيم رحمه الله: "أعلم أنه لو عجل زكاة ماله فأيسر الفقير قبل تمام الحول، أو مات، أو ارتد؛ جاز عن الزكاة⁽⁹¹⁾."

وقول الحنابلة⁽⁹²⁾، قال الحجاوي رحمه الله: "فإن عجلها فدفعتها إلي مستحقها فمات قابضها، أو ارتد، أو استغني منها، أو من غيرها، أجزأت عنه"⁽⁹³⁾.

وعللوا ذلك بما يلي:

1- أن الفقير كان مصرفاً للزكاة وقت الصرف، فصح الأداء إليه، فلا ينتقض بهذه العوارض⁽⁹⁴⁾.

2- أن رب المال أدي الزكاة إلي مستحقها، فلم يمنع الإجزاء موت الفقير، كما لو استغني⁽⁹⁵⁾.

3- أن الزكاة المعجلة حق أداه رب المال إلي مستحقه، فبرئ منه؛ كدين عجله قبل أجله⁽⁹⁶⁾.

القول الثاني- أن الإمام له استرجاع الزكاة من تركة الفقير: وإليه ذهب الشافعية⁽⁹⁷⁾، قال الماوردي رحمه الله: "وإن مات قبل الحول وجب استرجاعها من تركته"⁽⁹⁸⁾.

وعللوا ذلك:

1- لا بد أن يكون القابض للزكاة المعجلة في آخر الحول مستحقاً؛ فلو خرج عن الإستحقاق بموت، أو ردة لم يحسب المدفوع إليه عن الزكاة؛ لخروجه عن الأهلية عند الوجوب، والقبض السابق إنما يقع عند هذا الوقت⁽⁹⁹⁾.

2- أن تعجيل الزكاة موقوف بين الأجزاء، والاسترجاع، وذلك لا يجزي رب المال، فكان له الاسترجاع⁽¹⁰⁰⁾.

أحكام التعجيل بإخراج الزكاة المفروضة وزكاة الفطر

ونوقش: أنه منتقض بما إذا أخذ الزكاة معجلة وكان مستحق لها ثم استغني بها وقت الاستحقاق⁽¹⁰¹⁾.

2- إذا قبض الفقير الزكاة المعجلة فأصبح غنياً قبل تمام الحول.

اختلف الفقهاء في هذه المسألة علي قولين:

القول الأول- أن الزكاة أجزأت عن دافعها، وليس له الرجوع فيها: وهو قول الحنفية⁽¹⁰²⁾، والحنابلة⁽¹⁰³⁾.

التعليل:

1. أن مخرج الزكاة إذا أخرجها معجلة لمستحقها؛ تكون لاقت مستحقها في وقتها، فلا تتغير بالغنى الحادث⁽¹⁰⁴⁾.

2. لئلا يمتنع التعجيل؛ وكما لو عجل الكفارة بعنق ما يجزئ، فصار عند الوجوب لا يجزئ⁽¹⁰⁵⁾.

القول الثاني- إن كان غني الفقير من الزكاة المعجلة أجزأت، وإن كان من غيرها لم تجز: وهو قول الشافعية⁽¹⁰⁶⁾؛ قال الشافعي رحمه الله: "ولو لم يموتا ولكنهما أيسرا قبل الحول، فإن كان يُسرهما بما دفع إليهما من الصدقة، فإنما أخذاً حقهما وبورك لهما، فلا يؤخذ منهما شيء، وإن كان يُسرهما من غير ما أخذاً من الصدقة قبل الحول، أخذ منهما ما أخذ من الصدقة؛ لأن العلم قد أحاط أن الحول لم يأت إلا وهما من غير أهل الصدقة، فعلمنا أنه أعطاهما ما ليس لهما، ولم يؤخذ منهما نموؤه؛ لأنهما ملكاه، فحدث النماء في ملكهما، وإن نقص ما أعطيا من الصدقة، أخذه ربه ناقصاً، وأعطى أهل السهمان تاماً، ولا ضمان على المعط؛ لأنه أعطيه مملكاً له".

التعليل:

1- أن الفقير إنما أعطي الزكاة ليستغني بها، فلا يكون ما هو المقصود مانعاً من الإجزاء، وأيضاً لو أخذناها من لأفتقر واحتجنا إلي ردها إليه، فإثبات الاسترجاع يؤدي إلي نفيها، ويضر غناه بغيرها، كالزكاة واجبة أو معجلة أخذها بعد أخرى، وقد استغني بها⁽¹⁰⁷⁾.

أحكام التعجيل بإخراج الزكاة المفروضة وزكاة الفطر

2- أن الزكاة إنما تصرف إلي الفقير ليستغني بها، وإن استغني بمالٍ آخر لم يحسب المعجل عن الزكاة، لخروجه عن أهلية أخذ الزكاة عند الوجوب⁽¹⁰⁸⁾.
ونوقش: أن الاعتبار إنما يكون بوقت القبض⁽¹⁰⁹⁾.

3 إذا عجل رب المال الزكاة ثم هلك ما له قبل تمام الحول.

توضيح المسألة: إذا تطوع رب المال بتعجيل الزكاة فإن الأمر لا يخلو:

الأمر الأول: أن يخبر رب المال الفقير عند دفع الزكاة المعجلة له بأنها زكاة معجلة.

الأمر الثاني: أن لا يخبر رب المال الفقير عند دفع الزكاة المعجلة بأنها زكاة معجلة.

اختلف الفقهاء رحمهم الله فيما إذا عجل رب المال الزكاة ثم هلك ماله قبل تمام الحول علي قولين:

القول الأول- ليس لرب المال الرجوع مطلقاً: وإليه ذهب الحنفية⁽¹¹⁰⁾، والحنابلة⁽¹¹¹⁾.

التعليل:

1- أن المعجل من الزكاة صدقة وصلت إلي المسكين بإذن صاحبها؛ فوجب أن ينقطع حقه عنها كغير المعجلة⁽¹¹²⁾.

2- لأنه وقع أصل القرية، وإنما التوقف في صفة الفرضية، فلا يصح الرجوع⁽¹¹³⁾.

القول الثاني- إذا أعلم رب المال الفقير أنها زكاة معجلة فله الرجوع، وإن لم يعلمه فليس له الرجوع: وهو قول الشافعية⁽¹¹⁴⁾، قال العمراني رحمه الله: "إذا عجل الزكاة إلي الفقير، فمات الفقير قبل الحول، خرج عن أن يكون من أهل الزكاة، فإن لم يبين رب المال عند الدفع أنها زكاة معجلة لم يرجع عليه بشيء؛ لأن الظاهر أنه متطوع بها، وإن بين أنها المعجلة رجع⁽¹¹⁵⁾ وهو وجه عند الحنابلة⁽¹¹⁶⁾".

التعليل: إذا عجل زكاته ثم هلك النصاب أو بعضه قبل تمام الحول خرج المدفوع عن كونه زكاة؛ لأن شرط الزكاة الحول ولم يوجد⁽¹¹⁷⁾.

ونوقش: أنها وقعت إلي مستحقيها والتعجيل مأذون به شرعاً، فلم يمكن استرجاعها بدليل ملك الفقير لها⁽¹¹⁸⁾.

الترجيح: الذي يترجح- والله أعلم- القول الأول بأن رب المال ليس له الرجوع مطلقاً فيما إذا عجل زكاته ثم هلك ماله قبل تمام الحول؛ لقوة أدلة من ذهب لهذا القول.

سادساً- كيفية بناء الورثة حول إذا مات من عجل زكاة ماله:

اختلف الفقهاء في هذه المسألة علي قولين:

القول الأول: أن الورثة يستأنفون حولاً جديداً، فلا يجزئ عنهم ما عجله رب المال من زكاة ماله.

وهو قول الحنفية⁽¹¹⁹⁾، والشافعي في الجديد⁽¹²⁰⁾.

وقول الحنابلة⁽¹²¹⁾.

التعليل:

1. أنه تعجيل للزكاة قبل وجود سببها، أشبه ما لو عجل زكاة نصاب لغيره، ثم اشتراه⁽¹²²⁾.

2. لأنه لم يخرج الزكاة، وإنما أخرجها غيره عن نفسه، وإخراج الغير عنه من غير ولاية ولا نيابة لا يجزئ ولو نوى، فكيف إذا لم ينو⁽¹²³⁾.

القول الثاني- أن الورثة يبنون علي حول مورثهم: وهو قول شافعي في القديم⁽¹²⁴⁾، ووجه عند الحنابلة⁽¹²⁵⁾.

التعليل:

1. لأنهم يقومون مقامه فيما له، وما عليه⁽¹²⁶⁾ ونوقش: بأنهم لا ولاية لهم علي المال المخرج تعجلاً فلا يجزئ؛ لأن ملك الوارث حادث⁽¹²⁷⁾.

2. بناءً علي ما لو عجل زكاة عامين⁽¹²⁸⁾.

ونوقش: بعدم صحة ذلك من الورثة؛ لأنه تعجيل للزكاة قبل وجود سببها، وهو ملك النصاب من قبل الورثة للمال، فهم إنما يملكونه بعد موت مورثهم⁽¹²⁹⁾.

سابعاً- تعجيل زكاة الفطر: اختلف الفقهاء في هذه المسألة علي قولين:

القول الأول: جواز تعجيل زكاة الفطر. وهو قول المالكية⁽¹³⁰⁾، والحنفية⁽¹³¹⁾، والشافعية⁽¹³²⁾، والحنابلة⁽¹³³⁾، ولكن اختلفوا في المدة التي يجوز فيها تعجيل زكاة الفطر علي النحو الآتي:

1- ذهب المالكية إلي جواز التعجيل بيوم، أو يومين، قال ابن عبد البر رحمه الله: "لا يجوز إخراجها قبل يوم الفطر إلا بالمدة البسيطة؛ مثل اليوم، واليومين، ونحو ذلك"⁽¹³⁴⁾.

أحكام التعجيل بإخراج الزكاة المفروضة وزكاة الفطر

- 2- وذهب الحنفية إلى جواز التعجيل مطلقاً⁽¹³⁵⁾، والفتوى علي التقييد بدخول رمضان⁽¹³⁶⁾، قال الكاساني رحمه الله: "والصحيح أنه يجوز التعجيل مطلقاً"⁽¹³⁷⁾.
- 3- وذهب الشافعية إلى جواز تعجيل زكاة الفطر من أول شهر رمضان، ولا يجوز إخراجها قبل دخول الشهر⁽¹³⁸⁾، قال النووي رحمه الله: الفطرة يجوز تعجيلها من أول شهر رمضان على المذهب⁽¹³⁹⁾.
- 4- وذهب الحنابلة إلى جواز تقديم الفطرة قبل العيد بيومين، ولا يجوز أكثر من ذلك، قال الإمام أحمد رحمه الله: "لا بأس أن يعطي الرجل صدقة الفطر، قبل الفطر بيوم، أو يومين"⁽¹⁴⁰⁾، وذهب بعض الحنابلة إلى جواز تعجيلها من بعد نصف شهر رمضان⁽¹⁴¹⁾.

الاستدلال:

- 1- قول عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: "وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين"⁽¹⁴²⁾، وهو صريح الدلالة في جواز تعجيل زكاة الفطر، قال ابن قدامة رحمه الله: " وهذا إشارة إلي جميعهم، فيكون إجماعاً"⁽¹⁴³⁾.
- 2- أن معجل زكاة الفطر أدائها بعد وجوب السبب⁽¹⁴⁴⁾.
- 3- أن تعجيل زكاة الفطر بيوم أو يومين لا يخل بالمقصود منها، فإن الظاهر بقاؤها إلي يوم العيد؛ مما يغني الفقراء عن السؤال فيه⁽¹⁴⁵⁾.
- القول الثاني- عدم جواز تعجيل زكاة الفطر:** وهو قول عند المالكية⁽¹⁴⁶⁾، واختيار القاضي عبد الوهاب رحمه الله حيث قال: "ولا يجوز إخراجها قبل يوم الفطر، أو ليلته"⁽¹⁴⁷⁾.
- التعليل:** أن تعجيل زكاة الفطر هو تقديم لها علي وقت الوجوب؛ وذلك غير جائز⁽¹⁴⁸⁾. ويمكن مناقشته: بعدم التسليم بأن تعجيل زكاة الفطر هو تقديم علي وقت الوجوب، بل هو أداء لها في وقتها المأذون به شرعاً؛ ثم هو تعليل في مقابلة النص الصريح فلا يلتفت إليه.
- الخاتمة:** أهم النتائج من هذا البحث الموسوم بأحكام التعجيل في إخراج الزكاة المفروضة وزكاة الفطر في الأمور الآتية:

أحكام التعجيل بإخراج الزكاة المفروضة وزكاة الفطر

- 1- يجوز تعجيل الزكاة بعد ملك النصاب، وقبل تمام الحول؛ لما في ذلك من مراعاة لأحوال الفقراء، والمواساة لهم مع التنبية علي أن ترك التعجيل أولى؛ خروجاً من الخلاف.
 - 2- رب المال لا يجبر علي تعجيل زكاته.
 - 3- الإمام لا يضمن الزكاة المعجلة إلا إذا فرط.
 - 4- إذا مات الفقير بعد قبض الزكاة المعجلة، وبعد تمام الحول، فإن الزكاة تجزئ.
 - 5- الفقير إذا قبض الزكاة المعجلة، ومات قبل حولان الحول، فإن الزكاة تكون وقعت موقعها، وأجزأت.
 - 6- الفقير إذا قبض الزكاة المعجلة فأصبح غنياً قبل تمام الحول، فإن الزكاة أجزأت عن دافعها، وليس له الرجوع فيها.
 - 7- ليس لرب المال الرجوع مطلقاً؛ فيما إذا عجل رب المال الزكاة ثم هلك ماله قبل تمام الحول.
 - 8- إذا مات من عجل زكاة ماله قبل تمام الحول، فإن الورثة يستأنفون حولاً جديداً، فلا تجزئ عنهم ما عجله رب المال من زكاة ماله.
 - 9- يجوز تعجيل زكاة الفطر قبل العيد بيوم، أو يومين.
- الهوامش

- 1- أخرجه البخاري، كتاب: الايمان، باب: دعاؤكم إيمانكم لقوله عز وجل: *لَوْ مَنَّ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ* {البقرة: الآية 8.
- 2- القاموس المحيط محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ص (1331). لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري، الشهير بابن منظور (63٩-66).
- 3- المقاييس في اللغة: ابن فارس (237٤).
- 4- ينظر: لسان العرب: ابن منظور (63٩).
- 5- القاموس المحيط: الفيروزآبادي، ص (1331)
- 6- ينظر: مختار الصحاح الرازي، ص (201)

- 7- ينظر: المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون (586\2)
- 8- ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: الأصفهاني، ص (548).
- 9- التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، ص (185).
- 10- ينظر: معجم لغة الفقهاء: أ.د.احمد قنبيبي، أقطب مصطفى سانو، ص (135)
- 11- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: د.محمود عبد الرحمن عبد المنعم (468\1).
- 12- ينظر: لسان العرب: ابن منظور (65\6).
- 13- المقاييس في اللغة: ابن فارس (17\3).
- 14- ينظر: القاموس المحيط: الفيروز آبادي، ص (1667)، لسان العرب: ابن منظور (65\6)
- 15- ينظر: العين: الفراهيدي، ص (393)، المقاييس في اللغة: ابن فارس (17\3) المعجم الوسيط: (397-396\1).
- 16- ينظر: الكليات: الكفوي، ص (486)، مفردات ألفاظ القرآن: الأصفهاني، ص (381)
- 17- لسان العرب: ابن منظور (64\6).
- 18- أنيس الفقهاء: قاسم القنوي، ص (127)
- 19- شرح حدود ابن عرفة: محمد الأنصاري الرصاع (140\1)
- 20- تحرير ألفاظ التنبيه: يحي بن شرف النووي، ص (101).
- 21- النصاب هو: قدر معلوم لما تجب فيه الزكاة. ينظر: تحرير ألفاظ التنبيه: النووي ص (102)
- 22- الحول هو: السنة، اعتباراً بانقلابها، ودوران الشمس في مطالعها، ومغاربها. ينظر: التوقيف علي مهمات التعاريف: المناوي، ص (300)
- 23- المبسوط: السرخسي (149\2).
- 24- ينظر: للحنفية: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: لأبي بكر بن مسعود الكاساني (164\2)، مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر: الحلبي (239\1)، للمالكية: الكافي: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرّي القرطبي، الشهير بابن عبد البر، ص (88)، المعونة عل مذهب عالم المدينة: عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي

أحكام التعجيل بإخراج الزكاة المفروضة وزكاة الفطر

- (360\1)، للشافعية: عجلة المحتاج إلي توجيه المنهاج: عمر بن علي بن أحمد، المعروف بابن الملقن (474\1)، النجم الوهاج في شرح المنهاج: محمد بن موسى الدميري (258\3)، للحنابلة: الاقتناع لطالب الانتفاع: موسى بن أحمد الجحاوي (461\1)، كشاف القناع عن متن الاقتناع: منصور بن يونس البهوتي (91\2)، الممتع في شرح المقنع: زين الدين المنجي التنوخي (204\2).
- 25- ينظر: مراتب الاجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي الأصل الأندلسي، الشهير بابن حزم، ص(67).
- 26- حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء: الشاشي(354\1).
- 27- سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(429\17-432)، رقم(287)
- 28- المعونة على مذهب عالم المدينة: عبد الوهاب البغدادي(360\1).
- 29- طبقات الشافعية الكبرى: ابن السبكي(395\8-400)، رقم(1288).
- 30- روضة الطالبين وعمدة المفتين: النووي(212\2)
- 31- سير أعلام النبلاء: الذهبي(165\22-173)، رقم(112)
- 32- المغني: ابن قدامة(80\4).
- 33- ينظر: البناية شرح الهداية: محمود بن أحمد العيني (365\3)، عبد العزيز الدمشقي، الشهير بابن عابدين(294\2)
- 34- ينظر: المدونة الكبرى: الإمام مالك بن أنس، رواية: عبد السلام بن سعد التنوخي، الشهير بسَحْنُن، عن: عبد الرحمن بن القاسم (284\1).
- 35- ينظر: البيان: يحي بن أبي الخير سالم العمراني(378\3).
- 36- ينظر: الإرشاد إلي سبيل الرشاد: محمد بن أحمد بن محمد بن أبي موسى الهاشمي، ص (125).
- 37- ينظر: البناية شرح الهداية: العيني(365\3).
- 38- ينظر: تحفة الفقهاء: علاء الدين السمرقندي(313\1).
- 39- ينظر: الذخيرة للقرافي (137\3)
- 40- ينظر: المحتاج للشريبي (610\1)

- 41- الفروع: ابن مفلح(434\2).
- 42- الإقناع لطالب الانتفاع: الحجاوي (461\1)
- 43- ينظر: البيان والتحصيل: محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي، الشهير بابن رشد الجد(371\2-372).
- 44- ينظر: مغني المحتاج: الشريبي(610\1)
- 45- روضة الطالبين: النووي(212\2).
- 46- المحلى بالآثار: ابن حزم(211\4).
- 47- بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ابن رشد، ص (219)
- 48- ينظر: الشرح الممتع على زاد المستنقع: محمد بن صالح العثيمين (215\6).
- 49- تقرير القواعد وتحريير الفوائد: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الشهير بابن رجب (24\1) .
- 50- أخرجه الترمذي، كتاب: الزكاة، (37) باب: ما جاء في تعجيل الزكاة، رقم(678)، ص (131) والحديث صححه العلامة الألباني ينظر صحيح سنن أبي داود للألباني 450-1
- 51- أخرجه: الدار قطني، كتاب الزكاة باب: تعجيل الصدقة قبل الحول، رقم(1985)، (301\2).
- 52- فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر(425\3).
- 53- ينظر: الانتصار في المسائل الكبار: محفوظ بن أحمد الكلوزاني، الشهير بأبي الخطاب (311\3-312).
- 54- المرجع السابق: (313\3).
- 55- ينظر: الفقه النافع: السمرقندي (344\1).
- 56- ينظر: المغني: ابن قدامة (80\4).
- 57- ينظر: الانتصار: أبو الخطاب(316\3).
- 58- ينظر: الحاوي الكبير: الماوردي(163\3).
- 59- ينظر: الانتصار: أبو الخطاب(314\3)، معولة أولي النهي: ابن النجار(319\3).

- 60- ينظر: الانتصار: أبو الخطاب(314\3).
- 61- أخرجه: الدارقطني، كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة بالحوال، رقم (1864)، (250\2).
- 62- الحاوي الكبير: الماوردي(161\3).
- 63- ينظر: الكافي: ابن عبد البر(100\1)، المعونة: عبد الوهاب البغدادي(366\1).
- 64- ينظر: الحاوي الكبير: الماوردي(163\3).
- 65- ينظر: المعونة: عبد الوهاب البغدادي(366\1).
- 66- ينظر: المغني: ابن قدامة(80\4).
- 67- ينظر: الانتصار: أبو الخطاب(318\3).
- 68- المرجع السابق. 46.
- 69- ينظر: البيان والتحصيل: ابن رشد الجد(372-371\2)، المعونة: عبد الوهاب البغدادي(366\1)، مواهب الجليل: الحطاب الرعيني(249-248\3).
- 70- ينظر: البناية شرح الهدايا: العيني(311\3)، فتح باب العناية: القاري(59\1).
- 71- ينظر: الإشراف علي نكت مسائل الخلاف: عبد الوهاب البغدادي(386\1).
- 72- ينظر: المجموع شرح المذهب: يحي بن شرف النووي(150\6).
- 73- الأم: محمد بن إدريس الشافعي(72\4).
- 74- ينظر: الإقناع لطالب الانتفاع: الحجاوي (463\1)، الكافي: ابن قدامة(189\2)، المستوعب: محمد بن عبد الله السامري(341\1)، هداية الراغب: عثمان النجدي(369\1).
- 75- الكافي: ابن قدامة(189\2).
- 76- أخرجه: البيهقي في شعب الإيمان(387\4)، رقم(5492)، والحديث صححه العلامة الألباني رحمه الله-. ينظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: الألباني (279\5)، رقم(1459).
- 77- ينظر: الكافي: ابن قدامة (189\2)، المستوعب: السامري (341\1).
- 78- الوسيط: الغزالي(449-448\2)

- 79- ينظر: بدائع الصنائع: الكاساني (167\2).
- 80- بدائع الصنائع: الكاساني (167\2).
- 81- ينظر: الإنصاف: المرداوي (215\3)، شرح منتهى الإرادات: البهوتي(452\1)، المستوعب: السامري(341\3) المغني: ابن قدامة (87\4).
- 82- الإنصاف: المرداوي (215\3).
- 83- ينظر: روضة الطالبين: النووي (216-215\2).
- 84- ينظر: بدائع الصنائع: الكاساني (167\2).
- 85- ينظر: المغني: ابن قدامة (87\4).
- 86- ينظر: البيان: العمراني (385\3).
- 87- ينظر: أسنى المطالب: الأنصاري (427-426\4)، الحاوي الكبير : الماوردي (162\3)، روضة الطالبين: النووي(216\2)، الوسيط: الغزالي (449-448\2).
- 88- ينظر: للحنفية: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: الكاساني (164\2)، للمالكية: المعونة علي مذهب عالم المدينة: عبد الوهاب البغدادي(360\1)، للشافعية: النجم الوهاج في شرح المنهاج: الدميري(258\3هـ-)، للحنابلة: كشاف القناع من متن الإقناع: البهوتي(91\2).
- 89- الحاوي الكبير: الماوردي (168\3).
- 90- ينظر: البحر الرائق: ابن نجيم (392\2)، تبيين الحقائق: الزيلعي (68\2).
- 91- البحر الرائق: ابن نجيم (392\2).
- 92- ينظر: الإقناع لطالب الانتفاع الحجاوي (463\1)، المبدع: ابن مفلح (413\2)، المستوعب: السامري (339\3)، المغني: ابن قدامة (86\4).
- 93- الإقناع لطالب الانتفاع: الحجاوي (463\1).
- 94- ينظر: البحر الرائق: ابن نجيم(392\2)، تبيين الحقائق: الزيلعي (68\2).
- 95- ينظر: المغني: ابن قدامة (86\4).
- 96- ينظر: شرح منتهى الإرادات: البهوتي (452\1).
- 97- ينظر: البيان: العمراني(384\3)،مغني المحتاج، الشريبي(612\1).

- 98- ينظر: الحاوي الكبير: الماوردي(168١3).
- 99- ينظر: مغني المحتاج: الشربيني (562١1).
- 100- ينظر: الحاوي الكبير: الماوردي(168١3).
- 101- ينظر: المغني: ابن قدامة (86١4).
- 102- ينظر: بدائع الصنائع: الكاساني (52١2)، تبيين الحقائق: الزيلعي (68١2).
- 103- ينظر: الإقناع لطالب الانتفاع: الحجاوي (463١1)، شرح منتهى الإرادات: البهوتي (452١1).
- 104- ينظر: بدائع الصنائع: الكاساني (52١2).
- 105- ينظر: الفروع: ابن مفلح (438١2).
- 106- ينظر: البيان: العمراني (384١3-385)، الحاوي الكبير: الماوردي (169١3).
- 107- الأم: الشافعي (73١4).
- 108- ينظر: البيان: العمراني(384١3-385)، العزيز شرح الوجيز: الرفاعي (21١3)، المهذب: الشيرازي (550١1).
- 109- ينظر: الفروع: ابن مفلح (438١2).
- 110- ينظر: بدائع الصنائع: الكاساني (167١2)، تحفة الفقهاء: السمرقندي (314١1)، المبسوط: السرخسي (177١1-178).
- 111- ينظر: شرح منتهى الإرادات: البهوتي(452١1)، المبدع: ابن مفلح(376١2)، المستوعب: السامري (338١3).
- 112- ينظر: الممتع في شرح المقنع: ابن المنجي (206١2).
- 113- ينظر: تحفة الفقهاء: السمرقندي (314١1).
- 114- ينظر: البيان: العمراني(384١3)، الحاوي الكبير: الماوردي (170١3)، المجموع شرح المذهب: النووي (75١6).
- 115- البيان: العمراني (384١3).
- 116- ينظر: المبدع: ابن مفلح (376١2).
- 117- ينظر: الحاوي الكبير: الماوردي (170١3).

- 118- ينظر: المبدع: ابن مفلح (376\2).
- 119- ينظر: بدائع الصنائع: الكاساني (493\2)، طبعة دار الكتب العلمية.
- 120- ينظر: الأم: الشافعي (75\4).
- 121- ينظر: كشاف القناع: البهوتي (93\2).
- 122- ينظر: المغني: ابن قدامة (85\4).
- 123- المغني: ابن قدامة (85\4).
- 124- ينظر: بحر المذهب: عبد الواحد بن إسماعيل الروياني (90\4).
- 125- ينظر: الفروع: ابن مفلح (2438).
- 126- ينظر: البيان: العمراني (387\3).
- 127- ينظر: المغني: ابن قدامة (85\4).
- 128- ينظر: معونة أولي النهى: ابن النجار (322\3).
- 129- ينظر: المغني: ابن قدامة (85\4).
- 130- ينظر: قوانين الأحكام الشرعية: ابن جزى، ص (135).
- 131- ينظر: الاختيار لتعليل المختار: الموصلي (160\1-161).
- 132- ينظر: العمراني (367\3)، روضة الطالبين: النووي (292\2).
- 133- ينظر: الإقناع لطالب الانتفاع: الحجاوي (452\1)، المغني: ابن قدامة (300\4).
- 134- بدائع الصنائع: الكاساني (207\2).
- 135- الكافي: ابن عبد البر، ص (111).
- 136- ينظر: البناية شرح الهداية: العيني (505\3).
- 137- ينظر: البحر الرائق: ابن نجيم (445\2).
- 138- ينظر: البيان: العمراني (367\3).
- 139- روضة الطالبين: النووي (292\2).
- 140- مسائل الإمام أحمد: رواية إسحاق النيسابوري (111\1).
- 141- ينظر: المغني: ابن قدامة (300\4).

أحكام التعجيل بإخراج الزكاة المفروضة وزكاة الفطر

- 142- أخرجه: البخاري، (24) كتاب: الزكاة، (77) باب صدقة افطر علي الحر والمملوك، رقم (1511)، ص (294).
- 143- المغني: ابن قدامة (301\4).
- 144- ينظر: الاختيار لتعليل المختار: الموصلي (160\1-161).
- 145- ينظر: المغني: ابن قدامة (301\4).
- 146- ينظر: الذخيرة: القرافي (158\3)، قوانين الأحكام الشرعية: ابن جزي، ص (135)، منح الجليل شرح على مختصر العلامة خليل: محمد بن أحمد بن محمد عlish، الشهير بعlish (69\2).
- 147- المعونة: عبد الوهاب البغدادي (432\1).
- 148- ينظر الذخيرة: القرافي (158/3)، المعونة: عبد الوهاب البغدادي (432/1).

المصادر والمراجع:

- 1- البحر الرائق شرح كنز الدقائق زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن محمد المعروف بابن نجيم المصري دار الكتب.
- 2- البناية في شرح الهداية أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين دار الكتاب العلمية بيروت لبنان.
- 3- البيان والتحصيل محمد بن أحمد بن رشد القرطبي دار الغرب الإسلامي 1988.
- 4- طبقات الشافعية الكبرى تاج الدين السبكي.
- 5- الذخيرة محمد بن إدريس القرافي شهاب الدين الدار العربية للكتاب تونس.
- 6- الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقى ابن المبرد جمال الدين يوسف بن حسين دار المجتمع للنشر والتوزيع.
- 7- المعونة على مذهب عالم المدينة القاضي عبد الوهاب البغدادي المكتبة التجارية.
- 8- الفقه النافع للسمرقندي محمد بن يوسف عبود إبراهيم بن محمد بن إبراهيم.
- 9- المغني أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي القاهرة 1968.
- 10- المقابيس في اللغة أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي المكتبة الوقفية.

أحكام التعجيل بإخراج الزكاة المفروضة وزكاة الفطر

- 11- القاموس المحيط محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المكتبة الوقفية.
- 12- المعجم الوسيط معجم عربي من إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة الطبعة الخامسة 2011.
- 13- المدونة الكبرى مالك بن أنس مطبعة السعادة.
- 14- أنيس الفقهاء قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي ط دار الوفاء.
- 15- الاختيار لتعليل المختار عبد الله بن محمود بن مودود الموصلية.
- 16- الإقناع لطالب الانتفاع موسى بن أحمد بن موسى بن سالم أبو النجا الحجاوي المقدسي.
- 17- الإرشاد إلى سبيل الرشاد محمد بن أحمد بن محمد بن أبي موسى الهاشمي.
- 18- بداية المجتهد ونهاية المقتصد محمد بن أحمد بن محمود بن أحمد بن رشد 1994.
- 19- تاج اللغة وصحاح العربية الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المكتبة الوقفية.
- 20- تحرير ألفاظ التنبيه أبي بكر زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي الناشر دار القلم دمشق.
- 21- تقرير القواعد وتحرير الفوائد زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي دار ابن الأرقم.
- 22- حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء.
- 23- روضة الطالبين وعمدة المفتين الناشر فيصل عيسى البابي الحلبي 1964.
- 24- طبقات الشافعية الكبرى تاج الدين السبكي.
- 25- سير أعلام النبلاء الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي بيت الأفكار الدولية.
- 26- شذرات الذهب عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد.
- 27- شرح حدود ابن عرفة محمد الأنصاري الرفاع المكتبة الأزهرية.
- 28- صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري دار ابن كثير 2009.
- 29- صحيح الترمذي محمد بن عيسى ابن الضحاك الترمذي مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر 1975.

أحكام التعجيل بإخراج الزكاة المفروضة وزكاة الفطر

- 30- صحيح الدار قطني الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله البغدادي.
- 31- صحيح مسلم بن الحجاج المكتبة الوقفية للكتب 2008 ميلادي.
- 32- مختار الصحاح محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي.
- 33- مفردات ألفاظ القرآن الراغب الأصفهاني المكتبة الوقفية 2015.
- 34- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية دكتور محمد عبد الرحمن عبد المنعم 2010 م.
- 35- معجم لغة الفقهاء محمد رواسي ملعجي دار النفائس للطباعة والنشر.
- 36- مغني المحتاج شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي دار الكتب العلمية بيروت.
- 37- فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر دار المعرفة.
- 38- لسان العرب محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي المكتبة التوقيفية 2010.

أثر تدريس مادة التطبيقات التدريسية على بعض مهارات التدريس لدى طلاب كلية التربية بالزاوية

د. عبدالرزاق البشير قدارة

كلية التربية - جامعة الزاوية

المقدمة:

في عالم التربية اليوم حديث يحتل مكان الصدارة عن الدور المتغير للمعلم فقد انتقل من مجرد القيام بدور الناقل للمعرفة والمرجع للمعلومات والمدرّب على الحفظ والتلقين إلى دور المرشد والموجه والمعين على اكتساب مهارات التعلم الذاتي وهو بهذا يدخل عصراً جديداً يمكن أن يصف بأنه دور (التمهيد) بدلاً من الحفظ والتفهيم فقد كان من المعتقد قديماً إن إمام المعلم بالمادة بعد وحدة كافي لنجاحه لكن تغيرت النظرة لمعنى التدريب نتيجة للتغيرات في نظريات التعلم فبدلاً من أن يكون ناقلاً للمعرفة أصبح منظماً لعملية التعلم مما يعني توافد مهارات في المعلم لم تكن موجودة من قبل، مما أدى إلى التفكير في استراتيجيات في برامج لذلك الأعداد تهدف إلى إنباء هذه المهارات حيث تلعب مهارات التدريس دوراً هاماً في التعلم⁽¹⁾ ويشهد هذا العصر نمواً معرفياً ضخماً وذلك بفضل الاستخدام الكبير لتقنيات التعليم مثل التلفاز وكاميرا الفيديو في شتى الطرق، حيث توجد طرق مختلفة لتأهيل وتدريب المعلمين مثل تعلم الأقران والتعلم التأملي والتعلم التعاوني والتدريس والمصغر، وأبرزها التدريس المصغر فالتدريس المصغر أسلوب تقني يعمل على صقل ورفع الكفايات التدريسية لمعلمي بمختلف التخصصات⁽²⁾.

مشكلة البحث:

إن علم التدريس العام يعالج القضايا المشتركة والإشكاليات العامة، أي يدرس العملية التعليمية في مجملها وبغض النظر على المادة الدراسية المقررة ويحاول وضع الفرضيات واستخلاص القوانين وصياغة النماذج التي يمكن أن تفيد المدرس مهما كان تخصصه ومهما كانت المادة التي يدرسها⁽³⁾.

أثر تدريس مادة التطبيقات التدريسية...

وإن محاولة الحصول على أحدث المعلومات التي تسهم في تفعيل عملية التعلم والتعليم أصبحت تشكل هاجساً كبيراً أمام الباحثين، وخاصة في مجال طرائق التدريس وهذه بدورها لا تسير التطورات المتسارعة في تكنولوجيا التعليم الحديث إذ لم يتم استحداث وسائل وأدوات وبرمجيات تساهم في تجاوز هذه المشكلة ومنها عدم استخدام طرق التمرن على التدريس والذي يعتبر التدريس المصغر والتطبيقات التدريسية أهمها وأن أحسن طريقة لتطوير مهارات التدريس هي التدريس نفسه وهذه حقيقة قائمة على الرغم من الميل باتجاه إكساب المعلمين الخبرة العالية من خلال اطلاعهم على التجارب والتطبيق العملي واستعمال الوسائل السمعية والبصرية والتدريس مع الزميل وأطالت مدة التطبيق في معظم المناهج المقررة لإعداد المعلمين ولكن من المحتمل أن تكون هذه التجارب التدريسية لا تساوي ما نقضيه في قاعة الدرس، ومن خلال اطلاع الباحث على ما هو متاح من دراسات السابقة في هذه المجال ونظراً للخبرة العملية للباحث في تدريس بعض المقررات الدراسية منها مقرر مادة التطبيقات التدريسية وفي ضوء ذلك ضاع الباحث المشكلة الدراسية في العنوان التالي:

أثر تدريس مادة التطبيقات التدريسية على بعض مهارات التدريس لدى طلاب كلية التربية بالزاوية.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث من اهتمام الأنظمة التربوية المعاصرة وتركيزها على المعلم باعتباره من الدعائم الأساسية للعملية التربوية الشاملة القائمة على التعلم الفاعل المخطط والمنظم، كما تأتي أهميتها أيضاً من خلال الجمهور والاهتمام المتزايد من قبل المؤسسات التربوية في ليبيا لتحسين نوعية التعليم ورفع كفايته الداخلية والخارجية ليلبي متطلبات التنمية الشاملة، ويرسم ملامح معلم المستقبل التي تسعى إلى اكساب السلوك الرشيد الفاعل، والمعرفة العلمية المتطورة لمواجهة تحديات العصر ومتغيراته المتسارعة، ومن منطلق أن المعلم هو محور العملية التعليمية التربوية ومن أبرز الاتجاهات السائدة حالياً في برامج إعداد وتدريب المعلمين اتجاه الكفاءة التي تهدف إلى اكساب الدارسين وتدريبهم

أثر تدريس مادة التطبيقات التدريسية...

على مهارات خاصة الأمر الذي اكساب برامج تدريب المعلمين القائمة على الكفاءة أهمية خاصة كمدخل بديل للتعليم حيث تحدد هذه البرامج السلوك والمعارف والاتجاهات التي يحتاج إليها المتعلمون ومن منطلق أن الكفاءة هي الأداء الذي يمكن ملاحظة وتحلية وتفسيره وقياسه إذ إنها المهارات الرئيسية التي ينبغي أن يمتلكها المعلم وتظهر في أداءه التدريسي.

أهداف البحث- يهدف هذا البحث إلى التعرف على:

- 1- أثر تدريس مادة التطبيقات التدريسية على بعض مهارات التدريس لدى طلاب كلية التربية بالزاوية.
- 2- الفروق الدالة إحصائياً في أبعاد مقياس أثر تدريس مادة التطبيقات التدريسية لدى طلاب كلية التربية الزاوية.

التساؤلات:

- ما أثر تدريس مادة التطبيقات التدريسية على بعض مهارات التدريس لدى طلاب كلية التربية بالزاوية؟
- ما هي الفروق الدالة إحصائياً في أبعاد مقياس أثر تدريس مادة التطبيقات التدريسية لدى طلاب كلية التربية الزاوية؟

حدود البحث:

يهتم هذا البحث بالكشف على أثر تدريس مادة التطبيقات التدريسية وأثرها في تنمية بعض مهارات التدريس باعتبار أنها الركيزة الأساسية في نجاح عملية التدريس ويعني ذلك إمكانية ملاحظة جميع أنواع السلوك أو الأداء التدريسي لدى الطلاب المتدربين في تخصصات مختلفة

- 1- **الحد الموضوعي:** أثر تدريس مادة التطبيقات التدريسية على بعض مهارات التدريس لدى طلاب كلية التربية بالزاوية.
- 2- **الحد المكاني:** كلية التربية الزاوية.

3- الحد البشري: طلبة كلية التربية بالزاوية والمقيدين في الفصل الدراسي السابع والثامن قسم (الأحياء- الكيمياء).

4- الحد الزمني: العام الدراسي 2017-2018م.

أدبيات البحث:

التطبيقات التدريسية (التدريس المصغر):

قامت مجموعة من كبار المربين في جامعة ستكنفورد الأمريكية وتظم كلاً من داويت الن، كيفن ريان، روبرت بوش، وجيمس كوبر، وبعد ملاحظاتهم إلى أن برامج أعداد المعلمين المنفذة في جامعتهم آنذاك كانت تركز على الجوانب النظرية مقفلة للجوانب المهارية العملية المهمة داخل غرفة الصف الذي ترتب عليه نفور المعلمين المتهيين للتعليم من العمل بعدة المهنة، بالبحث عن طريقة جديدة تشبع احتياجات المتدربين وتحبب إليهم حصص التأهيل لمزاولة التدريس ونتيجة بما سبق ظهرت فكرة التدريس المصغر كأسلوب للتدريب على مهارات التدريس الأساسية⁽⁴⁾.

التدريس المصغر في تدريب المعلمين قبل الخدمة:

أشار (محمد محمود الحيلة ومحمد زيبان عزاوي، 1999م) إلى أن التدريس المصغر في التدريب المعلمين قبل الخدمة فوائد وهي ممارسة المهارة من قبل الطالب المعلم وبذلك يقوم التدريس المصغر بدم الهوة بين التعليم النظري والتعليم العملي مما يجعل عملية التعليم عملية ميدانية وهذا عنصر أساسي في تدريب المعلم قبل الخدمة، مما يجعله على صلة وثيقة بأداء الطلبة ومستوياتهم وذلك من خلال التدريب على المهارات وتطبيقها وما يصاحب ذلك من أساليب التغذية الراجعة وإدراك نواحي القوة والضعف لدى الطلبة ويرتكز برنامج التدريس المصغر في التدريب المعلمين قبل الخدمة على دور المتدربين الفعال وإسهامهم في تحقيق زيادة كبيرة لفاعلية التدريب ويجعلهم يعلمون سوية مما يتيح التعرف إلى المعلمين الذين يدرّبهم وإدراك نواحي القوة والضعف لديهم.

التدريس المصغر في تدريب المعلمين أثناء الخدمة:

إن للتدريس المصغر فوائد أثناء الخدمة من أبرزها يستطيع التدريس المصغر أن يساعد جميع المعلمين ليسيطروا سيطرة كاملة على جميع المهارات المكونة للتعليم ويسهم التدريس المصغر في تدريب المشرفين على امتلاك مهارات الإشراف ولم يعد المشرفون بعد وضع التدريس المصغر في الاستخدام بحاجة إلى الجلوس طوال الدرس بأكمله بدون الوقت بانتظام تنفيذ مهارات محددة وأخذ الإشراف يتلخص من كثير من حساسيته عندما يطبق نظام التدريس المصغر (5).

الأسس التربوية التي يقوم عليها التدريس المصغر:

استند التدريس المصغر إلى نظريات تعديل السلوك حيث تركز تلك النظريات على العناصر الظاهرة التي يمكن ملاحظتها في أثناء عملية التعلم مع الاستناد إلى مبدأ تعزيز التعلم (6).

وذكر الجزار أن من أهم العناصر التي أستفاد منها الباحثون في التدريس المصغر كما

يأتي:

1- تحديد المهارات التدريسية اللازمة للتعليم، والتي تؤدي إلى تحسين عملية التعلم وتدريب المعلمين عليها، وبما أن مهارات التدريس التي يقوم بها الطالب المعلم متداخلة ومعقدة لذلك فإن التربويين عادة يهتمون بتقسيمهم مهارات التدريس إلى مهارات أساسية وأخرى فرعية تدرج تحتها رغم ما يكون من تداخل بين المهارات الفرعية المكونة لكل مهارة أساسية

2- كيفية اكتساب المهارات فاكتساب مهارات التدريس يتطلب إعادة بناء السلوك التدريسي وفهم عناصر العملية التربوية، حيث استفاد الباحثون من أحد معطيات علم النفس التعليمي وهو التعليم المبرمج والذي يقوم على أساس الاكتساب التدريجي للمهارات، وكذلك تم الاستفادة من العوامل المؤثرة في اكتساب المهارات مثل الدافعية والخبرة السابقة والتنفيذ والممارسة والنضج والتغذية الراجعة.

3- استفاد الباحثون في التدريس المصغر في مجال التغذية الراجعة بتوقيت تقديمها بعد الأداء التدريس مباشرة حيث أن التغذية الراجعة تحت شرط المعرفة المباشرة ترتبط بالنتائج أفضل من تأجيلها، وأن زيادة تأجيلها يؤدي إلى نقصان معدل التعلم وكذلك يمكن الاستفادة في كيفية تقديم التغذية الراجعة حيث أن اتباع المشرف الطريقة يتيح فيها الفرصة لمشاركة الأقران معه في إبداء الملاحظات على أداء زميلهم يؤدي إلى زيادة فاعلية التغذية الراجعة وكذلك إتاحة الفرصة للمتدرب للتعبير عن رأيه تجاه ما قام به، وما سيقوم به عند إعادة الأداء ويدرب الطلاب المعلمين على التقويم الذاتي ويؤدي إلى زيادة الفاعلية في التدريس⁽⁷⁾.

مميزات التدريس المصغر:

- كشفت الدراسات والبحوث التي أجريت حول فعالية التدريس المصغر في مجال إعداد المعلم عن مجموعة من المميزات يمكن تلخيصها فيما يلي:
- 1- التدريس المصغر يقلل من تعقيدات الموقف التدريسي (حجم الفصل، عدد التلاميذ، الوقت المستغرق).
 - 2- التدريس المصغر يساعد على تنمية المهارات التدريسية بدرجة عالية من الكفاءة بمساعدة الوسائل السمعية بصرية.
 - 3- التدريس المصغر ينتج فرصة أفضل لتوجيه الطالب المعلم حيث ان فرصة مشاهدة الطالب المعلم لدراسة وسماعة توجيهات زملائه وأستاذه تمكنه من تحسين تدريسه بصورة فعلية.
 - 4- التدريس المصغر يعتمد على فكرة التغذية الراجعة: وكذلك على أهمية سرعة معرفة الطالب المعلم لنتائج سلوكه واستجاباته فهو يتيح له تغذية راجعة فورية سواء من الشريط المسجل الذي يراه بنفسه ويسمعه أو من زملائه وأستاذه.
 - 5- التدريس المصغر يستخدم من خلال أسلوب النمذجة حيث يسمح للطالب المتدرب بمشاهدة بعض النماذج التدريسية للمهارة المطلوب التدرّب عليها قبل التدريس الفعلي عن طريق اشرطة الفيديو.

- 6- التدريس المصغر يساعد على بقاء أثر التدريب من الموقف التدريبي إلى الموقف التدريسي الحقيقي.
- 7- التدريس المصغر يعمل على إثارة حماس الطلبة المتعلمين وإضافة الحيوية إلى الدرس.
- 8- التدريس المصغر يساعد على التغيير الإيجابي لاتجاهات المعلمين أثناء الخدمة⁽⁸⁾.

خطوات التدريس المصغر:

ذكر حسن علي سلامة (1995) في دراسته (طرق تدريس الرياضيات بين النظرية والتطبيق) إن استخدام التدريس المصغر كأسلوب لتدريب وإعداد المعلمين بكليات التربية يتطلب الخطوات التالية:

- 1- يتم تحديد مهارة تدريسية معينة يراد للمدرس المتدرب للتمرين عليها واتقانها وممارستها بصورة عملية في حياته التدريسية
- 2- يتم تحليل المهارة موضوع التدريب إلى مكوناتها السلوكية مع تقديم هذه المكونات إلى الطلاب لدراستها.
- 3- قد يفيد عرف المتدرب إلى مثله حية لا يستخدم تلك المهارة من قبل مدرسين (لديهم خبرة طويلة) كأن يشاهد المتدرب شريط فيديو مارس فيه هذا المدرس العمل التدريسي باستخدام هذه المهارة المراد التدريب عليها.
- 4- يقوم المتدرب بإعداد خطة درس مصغر في موضوع معين يركز فيه على تلك المهارة المراد التدريب عليها.
- 5- يقوم المتدرب بتدريس الدرس لفصل مصغر مع تسجيل الدرس على شريط فيديو.
- 6- إعادة عرض الدرس بعد التدريس للتحليل والنقد وهذه فترة التغذية الراجعة.
- 7- قيام المتدرب بالتخطيط مرة أخرى لدرس مصغر آخر للتدريب على المهارة نفسها مع الاستفادة بنتائج التغذية الراجعة وإعادة التدريس⁽⁹⁾.

أهم مهارات التدريس التي يمكن التدريب عليها باستخدام أسلوب التدريس المصغر: ذكر محمد أمين المفتي سنة (1992) في دراسته (التدريس المصغر) ثلاث مهارات تدريسية كبرى ينبغي أن يكتسبها المعلم داخل قاعات الدرس وهي كما يأتي:

1- مهارة التخطيط: وتندرج تحت إطارها المهارات الفرعية التالية: مهارات تتعلق بصياغة الأهداف التدريسية - مهارات تتعلق بتحليل محتوى المادة الدراسية مهارات تتعلق بتحليل خصائص الدارسين - مهارات تتعلق بتخطيط الدروس اليومية.

2- مهارة التنفيذ: وتندرج تحت إطارها المهارات الفرعية التالية: مهارات تتعلق بعرض الدرس - مهارات تتعلق بتصنيف وصياغة الأسئلة وتوجيهها - مهارات تتعلق بإثارة دافعية الدارسين - مهارات تتعلق بالتعزيز - مهارات تتعلق بعملية الإدارة داخل حجرة الدراسة.

3- مهارة التقويم: وتندرج تحت إطارها المهارات الفرعية التالية: مهارات تتعلق بعملية القياس - مهارات تتعلق بعملية التشخيص - مهارات تتعلق بعملية العلاج⁽¹⁰⁾.

الدراسات السابقة:

1- دراسة أنس دفع الله أحمد حاج التوم (2007)⁽¹¹⁾ بعنوان: "التدريس المصغر وأثره في إكساب الكفايات التدريسية لمعلمي مرحلة تعليم الأساسي".

هدفت الدراسة لبيان أثر استخدام التدريس المصغر في رفع الكفايات التدريسية لمعلمي مرحلة الأساس بمحلية الحصاحيها، وعلى ضوء هذا الهدف صيغت فرضيات الدراسة التي تناولت متغيرات النوع، والتأهيل والخبرة، تكونت عينة الدراسة من (60) معلماً ومعلمة، وقد استخدم البحث برنامج التحليل الإحصائي الإنساني في التحليل وتوصلت نتائج الدراسة لنتائج مؤداها، لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الكفايات التدريسية لمعلمي مرحلة الأساس الذين استخدموا أسلوب التدريس المصغر تعزي لمتغير النوع، ذكر أنثى، توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الكفايات التدريسية لمعلمي مرحلة الأساس المؤهلين تربوياً وغير المؤهلين تربوياً لصالح

المؤهلين تربوياً توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الكفايات التدريسية لمعلمي مرحلة الأساس تعزي لمتغير الخبرة خبرة طويلة خبرة قصيرة.

2- دراسة محمد ياسر مهدي (2010) ⁽¹²⁾ بعنوان: "أثر استخدام برنامج التدريس المصغر في تنمية بعض مهارات التدريس".

هدفت الدراسة إلى التعرف على تأثير استخدام التدريس المصغر في تنمية بعض مهارات التدريس العامة التي يتمتع بها الطلبة المطبقين وكذلك معرفة دلالات الفروق بين متوسطي الدرجات التي يحصل عليها الطلبة المطبقين في المجموعة الضابطة والتجريبية في الاختبار القبلي والبعدي اعتمد الباحث المنهج التجريبي والاختبار والقياس وسيلة لجمع البيانات بعد أن طبق على عينة من طلبة المرحلة الرابعة في الكلية التربوية المفتوحة مركز النجف والبالغ عددهم 20 طالباً وقد توصل الباحث إلى النتائج التالية:

1- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطلاب المدرسين أفراد المجموعة الضابطة في مهارات التنفيذيين التطبيق القبلي والبعدي.

2- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط الدرجات في التطبيق القبلي والبعدي وذلك في مهارات التقويم.

إجراءات البحث ومنهجيته:

أولاً- منهج البحث: اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي، لمناسبته لهذا النوع من الدراسات.

ثانياً- مجتمع البحث وعينته:

اشتمل مجتمع البحث على طالبات بكلية التربية بقسمي الأحياء والكيمياء بجامعة الزاوية للعام الجامعي (2019م) والبالغ عددهن (50) كما هو مبين بالجدول (1).

جدول (1) يبين عينة الدراسة

ت	القسم	عدد الطلاب
1.	قسم الأحياء	36
2.	قسم الكيمياء	14

ثالثاً - أداة البحث:

لتحقيق أهداف البحث أعد الباحث استبانة، تم بناؤها وتطويرها بالاستعانة بالأدب السيكولوجي، والدراسات السابقة المتعلقة بموضوع البحث.

رابعاً - الدراسة الاستطلاعية:

تم اختيار عينة استطلاعية بواقع (20) من طالبات قسمي الأحياء والكيمياء بكلية التربية جامعة الزاوية بهدف التحقق من الخصائص السيكومترية للاستبانة (الصدق، والثبات) وذلك قبل التطبيق الفعلي للاستبانة، علماً بأن هذه العينة تم تطبيق البحث عليها مرة ثانية للاستبانة مع المجتمع الأصلي الكلي عند التطبيق النهائي للاستبانة.

خامساً - الخصائص السيكومترية للاستبيان:

أولاً - صدق الاستبيان:

أ- صدق المحكمين: للتحقق من صدق الاستبانة تم عرضها على مجموعة من المحكمين بلغ عددهم (5) محكمين، من ذوي الخبرة والاختصاص وذلك لإبداء ملاحظاتهم وأراءهم حول سلامة اللغة ووضوحها وملائمة العبارات لأغراض البحث، من حيث شموليتها وتغطيتها لأبعاد البحث، وقد تم الأخذ بملاحظات المحكمين، وأصبحت الاستبانة في صورتها النهائية مكونة من (26) فقرة موزعة تعكس مهارات التدريس.

ب- الصدق التمييزي:

جدول رقم (2) يبين نتائج اختبار (t) بين أفراد عينة البحث الاستطلاعية على استبانة أثر

تدريس مادة تطبيقات تدريسية على بعض مهارات التدريس.

مستوى الدلالة	قيمة (t)	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	حجم العينة	المجموعة	
0.000	-5.516	0.60367	2.3262	10	الفئة الدنيا	أثر تدريس مادة تطبيقات تدريسية على بعض مهارات التدريس
		0.01570	2.9923	10	الفئة العليا	

أثر تدريس مادة التطبيقات التدريسية...

تم التحقق من الصدق التمييزي للاستبيان بعد تطبيقه على عينة البحث الاستطلاعية والتي تكونت من (20) من مجتمع البحث، ومن تم ترتيب درجاتهم ترتيباً تنازلياً واختيار مجموعتين طرفيتين حيث كان حجم المجموعة الدنيا (10) وكذلك الحال بالنسبة لحجم المجموعة العليا.

وفقاً للنتائج المبينة بالجدول (1) يتضح أن المتوسط الحسابي لأفراد المجموعة العليا (2.9923) أعلى من المتوسط الحسابي لأفراد المجموعة الدنيا (2.3267). أما الانحراف المعياري للفئة العليا (0.01570) والفئة الدنيا يساوي (0.60367). وفيما يلي قيمة (t) لمعرفة الفروق بين المجموعتين بلغت (-5.516) ومنه نلاحظ أنه يوجد فروق بين المجموعة العليا والمجموعة الدنيا عند مستوى دلالة (0.05) وذلك لأن الدلالة المعنوية (sig) تساوي (0.000) وهي أقل من (0.05) ومنه فإن أثر تدريس مادة تطبيقات تدريسية على بعض مهارات التدريس ككل تتمتع بدرجة عالية من الصدق.

- ثبات الاستبيان: تم التأكد من ثبات الاستبانة بإيجاد معامل ألفا كرونباخ حيث بلغت قيمته للدرجة الكلية (0.992)، في حين بلغت قيم معامل الثبات الكلية حسب ما هو موضح في الجدول التالي:

جدول (3) يبين معامل ثبات الاستبيان باستخدام طريقة ألفا كرونباخ للأبعاد والدرجة الكلية

الأبعاد	قيمة معامل الثبات
التهيئة مناسبة للدرس	.896
الوقت المخصص للتمهيد مناسب	.796
تنوع أساليب التدريس بما يتلاءم وأهداف الدرس	.696
إشراك التلاميذ في الدرس	.916
يستخدم أساليب التعزيز المناسبة	.906
يستخدم الوسائل التعليمية المناسبة للدرس	.926
الاستخدام الجيد للأسئلة الصفية	.936
الاستخدام السليم للغة العربية	.936
إدارة الصف بشكل جيد	.926
استخدام السبورة بشكل جيد	.916
استخدام الكتاب المدرسي	.916
التمكن من المادة العلمية	.906

د. عبدالرزاق البشير قدارة

أثر تدريس مادة التطبيقات التدريسية...

906	توزيع الوعاء الزمني للوحدة
896	ربط المادة الدراسية بحياة الطالب والبيئة
796	ربط الدرس مع الدرس السابق
796	ربط أجزاء الدرس مع بعض
696	يضرب الأمثلة الواقعية ما أمكن
916	تطبيق التلاميذ للمفاهيم الخاصة بالدرس
906	الأسئلة الاستنتاجية مناسبة
906	محاورة التلاميذ بهدف الاستنتاج
926	يقوم بمراجعة ما تم شرحه في أكثر من مرة
926	أساليب التقويم المستخدمة مرتبطة مع الأهداف
936	استخدام أساليب تقويم متنوعة
936	استخدام التقويم الختامي في نهاية الدرس
946	الواجب البيئي مناسب للدرس
916	براغي الأسس في إعطاء الواجب البيئي
0.992	الدرجة الكلية

يتضح من الجدول (3) أن معاملات الثبات لجميع أبعاد الاستبانة تراوحت بين (0.696-0.946)، وبلغ معامل الثبات الكلي (0.992) وجميعها تعبر عن معاملات ثبات جيدة تفي بأغراض البحث.

نتائج الدراسة: للإجابة على التساؤل الأول: "ما أثر تدريس مادة التطبيقات التدريسية على بعض مهارات التدريس لدى طلاب كلية التربية بالزاوية؟".

جدول (4) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وترتيب الفقرات حسب أهميتها حول أثر

تدريس مادة تطبيقات تدريسية على بعض مهارات التدريس

ر. م	أثر تدريس مادة تطبيقات تدريسية على بعض مهارات التدريس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الدرجة
1-	التهيئة مناسبة للدرس	2.5000	0.67763	13	عالية
2-	الوقت المخصص للتمهيد مناسب	2.6000	0.67006	12	عالية
3-	تنوع أساليب التدريس بما يتلاءم وأهداف الدرس	2.7400	0.56460	5	عالية
4-	إشراك التلاميذ في الدرس	2.6400	0.59796	10	عالية
5-	يستخدم أساليب التعزيز المناسبة	2.7000	0.64681	7	عالية
6-	يستخدم الوسائل التعليمية المناسبة للدرس	2.8600	0.45221	2	عالية
7-	الاستخدام الجيد للأسئلة الصفية	2.7400	0.56460	5	عالية
8-	الاستخدام السليم للغة العربية	2.2000	0.75593	14	متوسطة
9-	إدارة الصف بشكل جيد	2.6000	0.67006	12	عالية

أثر تدريس مادة التطبيقات التدريسية...

ر. م	مهارات التدريس	أثر تدريس مادة تطبيقات تدريسية على بعض	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الدرجة
10-	استخدام السبورة بشكل جيد	2.7200	0.60744	6	عالية	
11-	استخدام الكتاب المدرسي	2.8800	0.38545	1	عالية	
12-	التمكن من المادة العلمية	2.7800	0.46467	3	عالية	
13-	توزيع الوعاء الزمني للحصة	2.6400	0.59796	10	عالية	
14-	ربط المادة الدراسية بحياة الطالب والبيئة	2.7600	0.51745	4	عالية	
15-	ربط الدرس مع الدرس السابق	2.6000	0.67006	12	عالية	
16-	ربط أجزاء الدرس مع بعض	2.6400	0.63116	10	عالية	
17-	يضرب الأمثلة الواقعية ما أمكن	2.7800	0.46467	3	عالية	
18-	تطبيق التلاميذ للمفاهيم الخاصة بالدرس	2.5000	0.67763	13	عالية	
19-	الأسئلة الاستنتاجية مناسبة	2.6000	0.57143	12	عالية	
20-	محاورة التلاميذ بهدف الاستنتاج	2.6400	0.63116	10	عالية	
21-	يقوم بمراجعة ما تم شرحه في أكثر من مرة	2.6200	0.56749	11	عالية	
22-	أساليب التقويم المستخدمة مرتبطة مع الأهداف	2.6800	0.51270	8	عالية	
23-	استخدام أساليب تقويم متنوعة	2.7200	0.49652	6	عالية	
24-	استخدام التقويم الختامي في نهاية الدرس	2.6600	0.55733	9	عالية	
25-	الواجب البيتي مناسب للدرس	2.7200	0.60744	6	عالية	
26-	يراعي الأسس في إعطاء الواجب البيتي	2.6200	0.63535	11	عالية	

يتضح من الجدول (3) أن الفقرة (11) والتي تنص على (استخدام الكتاب المدرسي) احتلت الترتيب الأول بمتوسط الحسابي (2.8800) وانحراف المعياري (0.38545)، ويليهما من حيث الأهمية الفقرة ذات رقم (6) فقد احتلت الترتيب الثاني بمتوسط حسابي (2.8600) وانحراف معياري (0.45221) وهي تنص على (يستخدم الوسائل التعليمية المناسبة للدرس) جاءت بدرجة عالية ويتضح من النتائج الواردة بالجدول أن أقل مهارات التدريس شيوعاً لدى أفراد العينة هي الفقرة رقم (8) والتي تنص على (الاستخدام السليم للغة العربية) بمتوسط الحسابي (2.2000) وانحراف المعياري (0.75593) حيث جاءت بدرجة متوسطة.

وللإجابة على التساؤل الثاني: "ما هي الفروق الدالة إحصائياً في أبعاد مقياس أثر تدريس مادة التطبيقات التدريسية لدة طلاب كلية التربية الزاوية؟".

جدول (5) يبين نتائج اختبار (t) لعينة البحث عن أثر تدريس مادة تطبيقات تدريسية على بعض مهارات التدريس

مستوى الدلالة	درجة الحرية	t.test	انحراف المعياري	المتوسط الحسابي	حجم العينة	أثر تدريس مادة تطبيقات تدريسية على بعض مهارات التدريس
0.000	49	13.019-	14.04513	69.1400	50	

يتضح من الجدول (5) أن متوسط عينة البحث على مقياس أثر تدريس مادة تطبيقات تدريسية على بعض مهارات التدريس كان (69.1400) والانحراف المعياري (14.04513)، و للتعرف على الفروق الدالة احصائيا بين متوسطات أفراد العينة تم استخدام اختبار (t) لعينة واحدة، وكانت قيمة اختبار (t) (-13.019) دالة عند مستوى دلالتها (0.000) أقل من مستوى (0.05) مما يدل على أن تدريس مادة تطبيقات تدريسية كان فعالا في إكساب بعض مهارات التدريس لدى طالبات قسمي الأحياء والكيمياء بكلية التربية جامعة الزاوية.

استخلاص أهم النتائج:

1- تشير نتائج البحث أن جل أبعاد المهارات التدريسية كانت عالية، وجاءت في الترتيب الأول من حيث الأهمية الفقرة (11) والتي تنص على (استخدام الكتاب المدرسي) بمتوسط حسابي (2.8800) وانحراف المعياري (0.38545)، ويليه من حيث الأهمية الفقرة رقم (6) والتي تنص على (استخدام الوسائل التعليمية المناسبة للدرس) واحتلت الترتيب الثاني بمتوسط حسابي (2.8600) وانحراف المعياري (0.45221). في حين أن أقل مهارات التدريس شيوعا لدى أفراد العينة هي الفقرة رقم (8) والتي تنص على (الاستخدام السليم للغة العربية) بمتوسط حسابي (2.2000) وانحراف معياري (0.75593) حيث جاءت بدرجة متوسطة.

2- تشير نتائج البحث أن متوسط عينة البحث على مقياس أثر تدريس مادة تطبيقات تدريسية على بعض مهارات التدريس كان (69.1400) والانحراف المعياري (14.04513)، و للتعرف على الفروق الدالة احصائيا بين متوسطات أفراد العينة تم استخدام اختبار (t) لعينة واحدة، وكانت قيمة اختبار (t) (-13.019) دالة عند

مستوى دلالتها (0.000) أقل من مستوى (0.05) مما يدل على أن تدريس مادة تطبيقات تدريسية كان فعالاً في إكساب بعض مهارات التدريس لدى طالبات قسمي الأحياء والكيمياء بكلية التربية جامعة الزاوية.

التوصيات:

- 1- الاهتمام بممارسة كافة المهارات التدريسية بشكل تطبيقي.
- 2- الاهتمام باستعمال طرائق ووسائل تكنولوجية حديثة في التعليم.
- 3- الاهتمام باستعمال النمذجة في التدريس مما يؤدي إلى تحقيق الأهداف المطلوبة.
- 4- تصميم برامج لتنمية المهارات التدريسية في ضوء حاجات الطلبة ومتطلبات العصر.
- 5- يوصي الباحث في هذا البحث بتوفير قاعة تعليمية خاصة بمادة تطبيقات التدريسية تكون مزودة بأجهزة تسجيل وأجهزة عرض وبعض الوسائل التعليمية الأخرى.
- 6- يوصي الباحث بتقليل عدد الطلاب بمجموعات بالكلية في مادة تطبيقات التدريسية بما لا يزيد عن 5-7 طلاب في المجموعة الواحدة

هوامش البحث:

- (1) محمد ياسر مهدي، (2010) أثر استخدام برنامج التدريس المصغر في تنمية بعض مهارات التدريس، بحث تجريبي على طلبة كلية التربية المفتوحة، جامعة الكوفة، كلية التربية الرياضية، ص3.
- (2) أنس دفع الله أحمد، (2012) التدريس المصغر وأثره في إكساب الكفايات التدريسية لمعلمي مرحلة الأساس بولاية الجريدة، محلية الحصاحيها، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، مجلة العلوم الإنسانية والاقتصادية، العدد الأول، ص194.
- (3) محمد لدريج تحليل العملية التعليمية وتكوين المدرسين الطبعة الثانية، 2009، ص16-17.
- (4) أنس دفع الله أحمد، مرجع سابق، ص194.

- (5) محمد محمود الحلبة ومحمد زيبان عزاوي، (1999) التصميم التعليمي نظرية وممارسة، دار المسيرة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ص196.
- (6) صلاح الدين أبوناھية (1991)، أسس التعلم ونظرياته، القاهرة: دار النهضة العربية، ص158.
- (7) عثمان إسماعيل الجزائر (1988) أثر استخدام أسلوب التدريس المصغر في اكتساب المهارات التدريسية اللازمة لطلاب شعبة التاريخ بكليات التربية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الأزهر ص79-80.
- (8) حلمي أحمد الوكيل، (1992)، التدريس المصغر، القاهرة: كلية التربية، جامعة عين شمس ص169: 171.
- (9) حسن علي سلامة (1995)، طرق تدريس الرياضيات بين النظرية والتطبيق، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع ص121.
- (10) محمد أمين المفتي (1992) التدريس المصغر، القاهرة: كلية التربية، جامعة عين شمس، ص103.
- (11) أنس دفع الله أحمد، مرجع سابق.
- (12) محمد ياسر مهدي، مرجع سابق.

الاحترق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية

د. محمد مولود بالحاج

كلية التربية زلطن - جامعة صيراته

المقدمة :

يعتبر التعليم المحرك والمنشط لحركة التغيير المطلوب في أي مجتمع من المجتمعات، فالتعليم ضرورة لازمة بل حاجة ملحة بالنسبة للمجتمعات النامية إذا ما أرادت اللحاق بركب الحضارة الإنسانية، كما أن التعليم لم يعد هدفه محو الأمية كما كان في الماضي فحسب، بل أصبح نوعاً من الاستثمار الاجتماعي للإنسان للاستفادة منه في تحقيق أهداف التغيير التي يرنو إليها المجتمع، حيث يشهد العالم الآن ثورة هائلة في التكنولوجيا والمعلومات والتقدم العلمي، بحيث أصبح التنافس بين القوى العالم يركز على القوة الاقتصادية والقدرات والإمكانات العلمية والتكنولوجية .

ولمواكبة هذه المنافسة والتفوق فيها نحن في حاجة إلى مدرسة جديدة، مدرسة بلا أسوار، مدرسة متصلة عضويًا بالمجتمع وبما حولها من مؤسسات مرتبطة بحياة الأفراد ومتصلة بقواعد الإنتاج، مدرسة متطورة في أهدافها ومحتواها وأساليبها. (1)

وتعد المرحلة الثانوية من المراحل المهمة في بنية النظام التعليمي، ولذلك أظهرت الكثير من النظم التعليمية في البلاد النامية والمتقدمة اهتماماً بالغاً، لما لها من دور مهم في تنشئة الشباب خلال فترة المراهقة، حيث يمر الطلاب في هذه الفترة بتغيرات جسمية وعقلية ونفسية وانفعالية، فتضع ميولهم واتجاهاتهم، كما ترسي قواعد علاقاتهم الاجتماعية، ومن هنا فالمدرسة الثانوية مطالبة بتوفير المناخ الملائم لنمو الشباب نمواً سليماً، بهدف إعدادهم للمشاركة الإيجابية والفعالة في تقدم المجتمع (2) بما أن طلبة الثانوية العامة من أهم عناصر هذا النظام التعليمي لما لهم من أهمية بالغة في النهوض بالمجتمع وتحقيق أهدافه وغاياته، بات من الضروري توحيد كل الجهود والمساعدات للاهتمام بهذه

الاحترق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية

الفئة⁽³⁾. وتوفير كل الظروف الملائمة لضمان نجاح الطلبة في مساراتهم الدراسية المختلفة ومحاولة حمايتهم من المشاكل والضغوطات.

وبالرغم من وجود بعض أساليب الوقائية والرعاية التي يتلقاها هؤلاء الطلبة إلى أن هذا لا يمنع من وجود معوقات في حياتهم تحول دون قيامهم بدورهم بصورة كاملة، منها المواقف الحياتية الضاغطة التي قد يتعرض لها الطالب و التي تشعرهم بالمضايقة والتوتر الأمر الذي من شأنه إحداث تأثير سلبي عليهم من جانب أو أكثر في حياتهم⁽⁴⁾.

وفي هذا السياق أشار بعض الباحثين ومنهم (MASHASH) وآخرون قد تؤدي إلى إصابة الطالب الشهادة الثانوية بالإجهاد من بينها، قلة وقت الدراسة وكثره، كان الطلاب مطالبين بقراءته، والعلاقة بين الطالب والأستاذ، وصعوبة المقررات الدراسية، وبالنسبة لدرجات الامتحانات، فقد وجد أنها تسبب الكثير من الإجهاد، لأنها ذات علاقة بالكثير من مشاريع المستقبل، ومنها مواصلة الدراسة⁽⁵⁾.

ولكن أغلب الأحيان قد تتحول هذه الضغوطات التي يقع فيها الطالب وعدم مقدرته على مواجهتها التكيف معها في حال استمرارها إلى ما يسمى بالاحترق النفسي، هذا الأخير الذي يعتبر " نمط سلبي في الاستجابات للأحداث الضاغطة ونقص في المساندة والتأييد من قبل الإدارة، وهو حالة متطورة من الإجهاد النفسي الذي يعني وجود أعباء انفعالية زائدة ناتجة عن تطلب الفرد لمطالب زائدة تؤدي إلى الإنهاك البدني والنفسي"⁽⁶⁾. من الملاحظ أن أكثر شرائح المجتمع عرضة للاحترق النفسي شريحة طلاب الشهادة الثانوية العامة خاصة، وقد تكمن خطورة ذلك فيما يتعرض له الطلاب، بحالة من الإنهاك والإجهاد الانفعالي والبدني، نتيجة لتعرض المستمر لتلك الضغوط العالية مما يؤثر سلبا على نمط شخصيتهم بأبعادها المختلفة الاستنزاف الانفعالي ونقص الشعور بالإنجاز الشخصي وتبلد المشاعر الأمر الذي قد يؤدي إلى اختلال الآليات الدفاعية لدى البعض منهم لعدم مقدرتهم على احتمالها، وفي ظل غياب الدراسات التي تناولت الاحترق النفسي لدى فئة غير فئة العاملين، وهم طلبة الشهادة الثانوية فلماذا ظهرت الحاجة إلى القيام بالدراسة الحالية.

التساؤل الرئيسي: ما أهم الأسباب المؤدية للاحترق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية؟

الاحتراق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية

- 1- ما درجة تعرض طلبة الشهادة الثانوية للاحتراق النفسي ؟
 - 2- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات ذكور، على مقياس الاحتراق النفسي تعزى لمتغير الجنس (ذكور، إناث) ؟
 - 3- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطلبة على مقياس الاحتراق النفسي تعزى لمتغير التخصص (أدبي، علمي) ؟
- الهدف الرئيسي: التعرف على أهم الأسباب المؤدية للاحتراق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية .

- 1- التعرف على درجة تعرض طلبة الشهادة الثانوية للاحتراق النفسي .
- 2- البحث عن الفروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطلبة على مقياس الاحتراق النفسي تعزى لمتغير الجنس (ذكور، إناث) .
- 3- البحث عن الفروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطلبة على مقياس الاحتراق النفسي تعزى لمتغير التخصص (أدبي، علمي) .

حدود الدراسة:

- 1- الحدود الموضوعية: الاحتراق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية .
- 2- الحدود البشرية: تطبيق الدراسة الحالية على طلبة الشهادة الثانوية العامة بقسميه الأدبي والعلمي (ذكور وإناث) .
- 3- الحدود المكانية: أجريت الدراسة الحالية في ثانوية العجيلات المركزية (للبنات)، و ثانوية السابع عشر من فبراير (ذكور) .
- 4- الحدود الزمنية: تتمثل بالعام الدراسي 2018 - 2019
- 5- كما تتحدد الدراسة الحالية بالمنهج المستخدم، وهو المنهج الوصفي القائم على المقارنة والتحليل، وبالاعتماد على الأداة المهمة لقياس مستوى الاحتراق النفسي بأبعاده الثلاثة : الإنهاك الانفعالي، نقص الشعور بالإنجاز، تبدل المشاعر.

أهمية الدراسة:

الأهمية النظرية:

- 1- تسليط الضوء على متغير أساسي وهو الاحتراق النفسي لدى عينة من طلبة الشهادة الثانوية العامة بمنطقة العجيلات، والذي لم يسبق تناوله على حد علم الباحث.
- 2- قد يكون لهذه الدراسة قيمة تربوية مهمة تفيد جميع العاملين بالمدارس الثانوية من إداريين ومعلمين وأخصائيين نفسيين واجتماعيين ومشرفين تربويين، وكذلك أولياء أمور الطلبة في أن يكونوا أكثر وعياً وإماماً بمشكلات طلبة مرحلة الشهادة الثانوية بقسميه (الأدبي والعلمي) وأكثر تقديراً لاحتياجاتهم .

الأهمية التطبيقية:

- 1- قد تفيد هذه الدراسة أيضاً في إعطاء صورة واضحة للمسؤولين بوزارة التربية والتعليم عن الواقع الفعلي للمشكلات التي تواجه طلبة مرحلة الشهادة الثانوية، ولفت نظرهم إلى ضرورة تكتيف الجهود من خلال المساهمة الفعالة في إيجاد الحلول الناجحة لها.
- 2- قد تسهم هذه الدراسة من الناحية التطبيقية في التوصل إلى بعض المؤشرات التي شأنها أن تفيد في وضع الحلول المناسبة لمعالجة المشكلات التي تسفر عنها هذه الدراسة.

التعريف الإجرائي لمتغير الدراسة:

- 1- الاحتراق النفسي: هو مرحلة الاستنزاف والاستنفاد الانفعالي أو العاطفي التي يصل إليها طلبة الشهادة الثانوية العامة نتيجة أعباء الدراسة المعبر عنها من خلال الأبعاد المتمثلة في: الإنهاك الانفعالي، نقص الشعور بالإنجاز، تبدل المشاعر
- 2- الإنهاك الانفعالي: هو إحساس طلبة الشهادة الثانوية العامة بالتعب الشديد والإرهاق والضعف، والعجز، نتيجة ضغوط أعباء الدراسة .
- 3- تبدل المشاعر: هو التغيرات السلبية التي تظهر لدى طلبة الشهادة الثانوية العامة نحو الآخرين .

الاحتراق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية

4- نقص الشعور بالإنجاز: هو ميل طلبة الشهادة الثانوية العامة إلى تقييم أنفسهم وأدائهم بطريقة سلبية.

5- المرحلة الثانوية: هي تلك المرحلة الدراسية التي تتوسط مرحلتَي التعليم الأساسي و التعليم العالي وتقابل أعمارهم (17-18) من المرحلة التعليمي (7).
أدبيات الدراسة: يقوم الباحث بعرض أدبيات الدراسة المتعلقة بموضوع الدراسة الحالية.

أولاً- **الاحتراق النفسي**: يعتبر الاحتراق النفسي المرحلة المتأخرة من مراحل التعرض للضغوط النفسية التي تواجه الفرد، سواء تعلق الأمر بالجانب الأسري أو الاجتماعي أو المهني، ولكن الأساس في ظهور هذا المصطلح هو ميدان العمل وما قد يعانيه الفرد من أعباء وكثرة المسؤوليات والضغوطات الشديدة التي قد تؤدي به في نهاية المطاف إلى الإصابة بالضغوط النفسية، ومنه إلى الاحتراق النفسي لكن ما أشارت إليه بعض الدراسات هو أن المصطلح تم استخدامه في الأصل للدلالة على المرضى الفصامين المزمين الذين تدهورت حالتهم إلى حد كبير، فوصلوا إلى حالة شديدة من الانسحاب من المجتمع ومن البلاد إزاء الأحداث والواقع والأخرين، مع هبوط النشاط و ضعف الحركة(8).

فالاحتراق النفسي بذلك هو: كحالة عقلية وتغيرات نفسية داخلية تعبر عن اتصال عاطفي وتبدل الشعور وعدم القدرة على تحقيق الذات لدى الممارس المهني الذي يفقد حماسه واهتمامه، وذلك نتيجة للضغوط النفسية والتوعية الناجمة من الخدمة، وطبيعة العلاقات الاجتماعية في العمل(9).

كما أشار السامادوني من جهته بتعريف الاحتراق النفسي بأنه ظاهرة استنزاف جسمي وانفعالي بشكل كامل بسبب الضغط النفسي الزائد عن الحد، وينتج عنه عدم التوازن بين المتطلبات والقدرات، بحيث يشعر الفرد بأنه غير قادر على التعامل مع أي ضغط نفسي إضافي في الوقت الراهن، مما يؤدي إلى الاحتراق النفسي(10).

الاحترق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية

ومنه فالاحترق النفسي هو حالة من التعب والإرهاق والإجهاد البدني، والنفسي، والعقلي، يصل إليها الفرد عند تعرضه المستمر لمواقف ضاغطة شديدة في حياته اليومية، والأسرية، والاجتماعية، والمهنية، خاصة فيفقد بذلك ثقته وتقديره لذاته وإحساسه بالمسؤولية، انخفاض إنجازاته، وكذلك انسحابه من المجتمع ومن علاقاته بالآخرين.

ثانياً- أعراض الاحتراق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية العامة:

1- الأعراض الفسيولوجية : ارتفاع ضغط الدم، والإرهاك البدني الشديد، والصداع المستمر، واضطراب في أجهزة الجسم كالغثيان - التعرق - فقدان الشهية... إلخ .
2- الأعراض النفسية: كالشعور بالإحباط، واليأس، و الخوف، والاكتئاب، والملل، وعدم الثقة بالنفس .

3- الأعراض المعرفية: عدم القدرة على التركيز، وتغير في نمط الإدراك، وعدم المبالاة، وإهمال الواجبات، وعدم الانضباط والالتزام والتغيب.

4- الأعراض الاجتماعية: عدم الثقة بالآخرين، والانسحاب الاجتماعي، والعنف ودخول صراعات مع الزملاء⁽¹¹⁾

ثالثاً - مراحل حدوث الاحتراق النفسي: يرى ماتيسون وانفاسيفيش (atteson

Ivancevi) أن ظاهرة الاحتراق النفسي لا تحدث فجأة وإنما تتضمن المراحل التالية :

1-مرحلة الاستغراق: Involvement: وفيها يكون طالب الشهادة الثانوية العامة على درجة عالية من الحيوية والنشاط والرضا ولكن تبدأ الدرجة في الانخفاض في حالة حدث عدم اتساق مع ما هو متوقع وما يحدث في الواقع الدراسي.

2- مرحلة التبلد: stagnation: هذه المرحلة تنمو ببطء وينخفض فيها مستوى الرضا والنشاط والواقعية تدريجياً، ويشعر الطالب بالروتين والملل وتقل اهتماماته .

3-مرحلة الانفصال : Detachment: فيها يدرك الطالب ما يحدث وتنتابه بعض الشكوك ويساوره إحساس بعدم الثقة والقلق حول مستقبله قيدا في الانسحاب النفسي واختلال في الصحة البدنية والنفسية مع ارتفاع في مستوى الإجهاد النفسي .

4- المرحلة الحرجة: Juncture: هي اقصى مرحلة سلبية الاحتراف النفسي فيكون محبطاً تماماً وفيها تزداد الأعراض البدنية و السلوكية ويصل الفرد إلى مرحلة الانفجار ويفكر الطالب في أمور سلبية (12).

رابعاً- طرق التحقيق وتقادي الاحتراف النفسي:

لقد أشار الباحثون لعدة طرق وأساليب تحقيق من حدة الاحتراق النفسي:

- 1- الاستعانة بمختصين نفسيين للحصول على المساعدة.
 - 2- اللجوء للصلاة وقراءة القرآن فيها راحة وسكينة.
 - 3- يلجأ الطالب إلى ممارسة الرياضة باعتبارها وسيلة مخفضة للتوتر.
 - 4- الاستعانة بأنظمة غذائية فقد أثبتت الدراسات أن الشكولاتة مثلاً مخفضة للضغط والتوتر وكما أن الخس فنصح تناوله للذين يعانون من قلة النوم والأرق.
 - 5- ممارسة الهوايات المختلفة وحضور الأنشطة الترفيهية .
 - 6- الاسترخاء حيث يلجأ إلى الجلوس مستريحاً وهدأً ويوجه تفكيره لأمور إيجابية (13).
- الدراسات السابقة: يقوم الباحث بعرض هذه الدراسات المتصلة بموضوع الدراسة الحالية من الأقدم إلى الأحدث على وفق التسلسل التاريخي لنشر الدراسة.
- 1- دراسة قطب(2005)، "الاغتراب في ظل العولمة وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى عينة طالبات كلية التربية بالسعودية". (14)
- هدفت الدراسة إلى التعرف على طبيعة العلاقة بين الاغتراب والتحصيل الدراسي، والكشف عن الظروف ظهور الاغتراب النفسي وفقاً لمتغيرات التخصص والمستوى الدراسي، ولقد استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي.
- وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:
- وجود علاقة دالة سلبياً بين الاغتراب والتحصيل الدراسي .
 - وكذلك عدم وجود فروق بين طالبات التخصص العلمي والأدبي.

الاحترق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية

2- دراسة زينب شنقير (2006) "الضغوط النفسية والاحترق النفسي لدى طلبة الجامعة". (15)

هدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين الضغوط النفسية والاحترق النفسي، وبعد تطبيق أداة الدراسة على عينة الدراسة (300) طالب وطالبة، كما استخدم المنهج الوصفي للدراسة وتوصلت الدراسة إلى النتيجة: وجود علاقة موجبة بين الضغوط النفسية والاحترق النفسي لدى أفراد العينة .

3- دراسة نبيلة باوية (2012) "مستوى الاحترق النفسي لدى الطالب الجامعي". (16)
هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على مستوى الاحترق النفسي لدى الطلبة الجامعيين في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة قاصدي مرباح ورقلة، واستخدمت الباحثة لجمع البيانات هذه الدراسة مقياس الاحترق النفسي المهم لهذا الغرض حيث طبق على طلبة السنة الرابعة كلاسيكي بقسم علم النفس وعلوم التربية بكلية العلوم الاجتماعية على عينة (170) طالب وطالبة تم اختيارهم بطريقة عشوائية .
وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- مستوى الاحترق النفسي لدى الطالب الجامعي مرتفع .
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات الطلبة الجامعيين تبعاً لمتغير الجنس والإقامة والتخصص .

4- دراسة هناء الفريحات (2017) "الاحترق النفسي لدى الطالب الجزائري، أسبابه، أعراضه، طرق التحقق منه " دراسة ميدانية بكلية الطب، جامعة مولود معمري بتيرو وزو، الجزائر". (17)

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء إحدى المشكلات النفسية السوسيوولوجية التي يعاني منها الطالب الجزائري ألا وهي ظاهرة الاحترق النفسي، والذي يعتبر حالة من التعب والإرهاق والإجهاد البدني والنفسي والعقلي يصل إليه الطالب بسبب تعرضه المستمر لمواقف ضاغطة في الحياة الدراسية والأسرية والاجتماعية مما يؤثر سلباً على توافقه النفسي والاجتماعي والدراسي، ولقد استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي من أجل الكشف عن حقيقة الاحترق النفسي لدى الطالب الجزائري، أسبابه،

الاحتراق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية

أعراضه كما اعتمد في جميع البيانات على تصحيح وتطبيقه على عينة مكونة من 80 طالب بكلية الطب بجامعة مولود معمري - بتيزي وزو، وتم اختيارهم بطريقة عشوائية . وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- يعاني الطالب الجزائري من احتراق نفسي .
- يعاني الطالب الجزائري من استنزاف انفعالي وتبلد في المشاعر ونقص في الشعور بالإنجاز الشخصي .

إجراءات الدراسة ومنهجيتها: تسعى الدراسة باستخدام منهج مناسب يحقق الهدف الذي ترمى إليه وتقوم بمعالجة نتائجها على النحو التالي:

- منهج الدراسة: اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي، لمناسبته لهذا النوع من الدراسات.
- مجتمع الدراسة وعينته: أشتمل مجتمع الدراسة على طلبة شهادة الثانوية بمدينة العجيلات والبالغ عددهم (100) للعام الدراسي 2019م . بمدارس التالية : المدرسة المركزية للبنات والبالغ عددهن (50) طالبة، ومدرسة 17 فبراير للذكور والبالغ عددهم (50) طالب، بطريقة قصدية عمدية .

الخصائص العامة لعينة الدراسة :

1- النوع :

جدول رقم (1) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة حسب النوع

النوع	التكرار	النسبة المئوية
ذكر	50	50.0
أنثى	50	50.0
المجموع	100	100.0

من خلال جدول (1) نلاحظ أن نسبة (50.0%) من مجموع أفراد العينة من الذكور، ونسبة (50.0%) من الإناث.

2- التخصص :

جدول رقم (2) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة حسب التخصص العلمي

النسبة المئوية	التكرار	التخصص العلمي
53.0	53	أدبي
47.0	47	علمي
100.0	100	المجموع

من خلال جدول (2) نلاحظ أن نسبة (53.0%) من مجموع أفراد العينة تخصصهم العلمي أدبي، ونسبة (47.0%) تخصصهم العلمي علمي .
أداة الدراسة: قام الباحث بتصميم استبانة لجمع البيانات على عينة الدراسة المتمثلة في الاحترق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية، حيث تم بناؤها وتطويرها بالاستعانة بالأدب النفسي، والدراسات السابقة المتعلقة بموضوع الدراسة.

ولتصحيح الإستبانة فقد وزعت الدرجات من 1- 5 على النحو التالي :

- تعطى الدرجة (5) للاستجابة (تنطبق بدرجة كبيرة جدا)
- تعطى الدرجة (4) للاستجابة (تنطبق بدرجة كبيرة)
- تعطى الدرجة (3) للاستجابة (تنطبق بدرجة متوسطة)
- تعطى الدرجة (2) للاستجابة (تنطبق بدرجة قليلة) .
- تعطى الدرجة (1) للاستجابة (لا تنطبق أبدا) .

صدق الاستبيان:

صدق المحكمين: للتحقق من صدق الاستبانة تم عرضها على مجموعة من المحكمين بلغ عددهم (5) محكمين، من ذوي الخبرة و الاختصاص وذلك لإبداء ملاحظاتهم وأراءهم حول سلامة اللغة ووضوحها وملائمة العبارات لأغراض الدراسة، وقد تم الأخذ بملاحظات المحكمين، وأصبحت الاستبانة في صورتها النهائية مكونة من (18) فقرة تقيس الاحترق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية . موزعة على ثلاثة أبعاد وهي كالتالي:

- درجة الاستنزاف الانفعالي : ولها (6) فقرات.
- درجة نقص الشعور بالإنجاز الشخصي: ولها (6) فقرات .

- درجة تبلد المشاعر: ولها (6) فقرات .

صدق الاتساق الداخلي

جدول (3) يبين جدول (3) ارتباطات درجات كل بعد مع الدرجة الكلية للاستبيان

معامل الارتباط	البعد
0.780	درجة الاستنزاف الانفعالي
0.741	درجة نقص الشعور بالإجاز الشخصي
0.735	درجة تبلد المشاعر

يتبين من الجدول (3) أن معاملات الارتباط بين أبعاد درجات الاحتراق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية والدرجة الكلية للاختبار تراوحت بين (0.735 - 0.780) وهي ارتباطات موجبة قوية دالة عند مستوى (0.01) . مما يشير إلى أن الاختبار يتسم بدرجة جيدة من الصدق الداخلي .

ثبات الاستبيان: تم التأكد من ثبات الاستبانة بإيجاد معامل ألفا كرونباخ حيث بلغت قيمته للدرجة الكلية (0.901)، في حين بلغت قيم معامل الثبات الكلية حسب ما هو موضح في الجدول التالي

جدول (4) يبين جدول (4) معامل ثبات الاستبيان باستخدام طريقة ألفا كرونباخ للأبعاد والدرجة الكلية

الأبعاد	عدد الفقرات	قيمة معامل الثبات
درجة الاستنزاف الإنفعالي	6	0.887
درجة نقص الشعور بالإجاز الشخصي	6	0.786
درجة تبلد المشاعر	6	0.765
الدرجة الكلية للاستبانة	18	0.901

يتضح من الجدول (4) أن معاملات الثبات لجميع أبعاد الاستبانة تراوحت بين (0.765 - 0.887)، وبلغ معامل الثبات الكلي (0.901) وجميعها تعبر عن معاملات ثبات جيدة تفي بأغراض الدراسة.

الاحترق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية

- أساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة: تم استخدام الأساليب الإحصائية المناسبة لموضوع الدراسة، ولأغراض التحليل الإحصائي، تم استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، واختبار (t-test)، ومعامل الثبات ألفا كرونباخ .
 - نتائج الدراسة: فيما يلي عرض نتائج الدراسة التي تم الحصول عليها من قبل أفراد العينة . نتائج التساؤل الرئيسي: ما أهم الأسباب المؤدية للاحتراق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية
- أ- الاستنزاف الانفعالي.

جدول (5) يبين جدول (5) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والمرتبة ودرجة تعرض طلبة الشهادة الثانوية للاستنزاف الانفعالي .

ر . م	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المرتبة	درجة الاستنزاف الانفعالي
1-	أن الدراسة طيلة اليوم تسبب لي الإجهاد والتعب	4.4400	0.85658	1	كبيرة جدا
2-	أشعر أن طاقتي مستنفذة في نهاية اليوم الدراسي	4.3700	1.10696	2	كبيرة جدا
3-	أشعر بالإرهاك عندما أستقيظ في الصباح وأتذكر أن علي التحضير لامتحانات قريبة	4.3300	0.97499	3	كبيرة جدا
4-	أشعر بأنني مستنزف من جراء الدراسة	4.2600	1.11573	4	كبيرة جدا
5-	أشعر بأنني مضغوط نفسيا من جراء ممارسة الدراسة الثانوية	4.1500	1.11351	5	كبيرة
6-	أشعر بأنني أبذل جهدا فوق طاقتي في دراستي	4.1500	1.24215	5	كبيرة

يتضح من الجدول السابق أن أعلى فقرة في هذا البعد كانت الفقرة (1) والتي نصت على (أن الدراسة طيلة اليوم تسبب لي الإجهاد والتعب) احتلت المرتبة الأولى بنفس

الاحتراق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية

المتوسط الحسابي (4.4400) وانحراف المعياري (0.85658) . وبالتالي فإن طلبة الشهادة الثانوية يعانون من الاستنزاف الانفعالي بدرجة كبيرة .
وأن أدنى فقرتين في هذا البعد كانت الفقرة (5-6) والتي نصت على (أشعر بأنني مضغوط نفسياً من جراء ممارسة الدراسة الثانوية - أشعر بأنني أبذل جهداً فوق طاقتي في دراستي الثانوية) بنفس متوسط الحسابي (4.1500) وانحراف المعياري (1.24215).

ب- نقص الشعور بالإنجاز الشخصي.

جدول (6) يبين جدول (6) المتوسطات الحسابية والاحترافات المعيارية والمرتبة ودرجة

تعرض طلبة الشهادة الثانوية لنقص الشعور بالإنجاز الشخصي

ر . م	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المرتبة	درجة نقص الشعور بالإنجاز الشخصي
1-	لا أشعر بالفخر نتيجة الثناء عليا من قبل الآخرين وذلك بسبب استمرارتي بالدراسة	2.5000	1.29099	6	بدرجة قليلة
2-	لا أشعر بالحيوية والنشاط عند الانتهاء من قيامي بواجباتي	3.0500	1.32859	5	بدرجة متوسطة
3-	لا أرى أنني أنجزت الكثير من النجاح في دراستي	3.0900	1.53145	4	بدرجة متوسطة
4-	لا أشعر أنني أتعامل كما يجب مع مشكلاتي الانفعالية التي تواجهني أثناء فترة الامتحان	4.2600	1.11573	1	بدرجة كبيرة جدا
5-	أشعر أن المعلم لا يعطيني ما أستحقه من الدرجات	4.1500	1.11351	2	بدرجة كبيرة
6-	أشعر بأن زملائي لا يهتمون بما أقدمه لهم من مساعدة	3.9000	1.38170	3	بدرجة كبيرة

الاحتراق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية

يتضح من الجدول السابق أن أعلى فقرة في هذا البعد كانت الفقرة (4) والتي نصت على (لا أشعر أنني أتعامل كما يجب مع مشكلاتي الانفعالية التي تواجهني أثناء فترة الامتحان) احتلت المرتبة الأولى بنفس المتوسط الحسابي (4.2600) وانحراف المعياري (1.11573). وبالتالي فإن طلبة الشهادة الثانوية يعانون من نقص الشعور بالإنجاز الشخصي بدرجة كبيرة. وأن أدنى فقرة في هذا البعد كانت الفقرة (1) والتي نصت على (لا أشعر بالفخر نتيجة الثناء عليا من قبل الآخرين وذلك بسبب استمرارني بالدراسة) بنفس متوسط الحسابي (2.5000) وانحراف المعياري (1.29099).

ج- تبلد المشاعر.

جدول (7) يبين جدول (7) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والمرتبة ودرجة تعرض طلبة الشهادة الثانوية لتبلد المشاعر.

ر. م	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المرتبة	درجة تبلد المشاعر
1-	رسوبي المستمر أقسى مشاعري	2.5000	1.29099	6	بدرجة قليلة
2-	أشعر بالقسوة نحو الآخرين لأنهم يعاملوني بأسلوب يزعجني	4.2600	1.11573	1	بدرجة كبيرة جدا
3-	أصبحت أكثر اتجاه الآخرين	3.0900	1.53145	4	بدرجة متوسطة
4-	أحس بالانزعاج نتيجة الابتعاد عن الأهل يزيد من تبلد المشاعر	3.0500	1.32859	5	بدرجة متوسطة
5-	لا أهتم لما أحققه من نتائج دراسية	4.1500	1.11351	2	بدرجة كبيرة
6-	إن ارتفاع تكاليف دراستي نتيجة للدروس الخصوصية سببت لي قسوة في عواطفني	3.9000	1.38170	3	بدرجة كبيرة

يتضح من الجدول السابق أن أعلى فقرة في هذا البعد كانت الفقرة (2) والتي نصت على (أشعر بالقسوة نحو الآخرين لأنهم يعاملوني بأسلوب يزعجني) احتلت المرتبة الأولى بمتوسط الحسابي (4.2600) وانحراف المعياري (1.11573). وبالتالي فإن طلبة الشهادة الثانوية يعانون من تبلد المشاعر بدرجة كبيرة.

الاحتراق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية

وأن أدنى فقرة في هذا البعد كانت الفقرة (1) والتي نصت على (رسوبي المستمر أفسى مشاعري) بنفس متوسط الحسابي (2.5000) وانحراف المعياري (1.29099).
جدول (8) يبين جدول (8) المتوسط الحسابي وترتيب أبعاد درجة الاحتراق النفسي حسب أهميتها لدى أفراد عينة الدراسة

ر. م	أبعاد استبيان الاحتراق النفسي	المتوسط الحسابي	الترتيب
1	الاستنزاف الانفعالي	68.57	1
2	نقص الشعور بالإنجاز الشخصي	57.68	2
3	تبلد المشاعر	56.25	3

يبين الجدول (8) ترتيب أبعاد الاستبيان حسب أهميتها لدى أفراد عينة الدراسة وفقاً للمتوسط الحسابي، حيث جاء الاستنزاف الانفعالي في المرتبة الأولى بمتوسط الحسابي (68.57)، بينما جاء نقص الشعور بالإنجاز الشخصي في المرتبة الثانية بمتوسط الحسابي (57.68)، وفي المرتبة الثالثة جاء تبلد المشاعر بمتوسط حسابي (56.25).
نتائج التساؤل الأول: ما درجة تعرض طلبة الشهادة الثانوية للاحتراق النفسي؟
جدول (9) يبين جدول (9) درجة تعرض طلبة الشهادة الثانوية للاحتراق النفسي

الاحتراق النفسي		الدرجة النظرية		التكرار الواقعي		النسبة المئوية	
منخفضة		53-18		25		25.0	
متوسطة		63-54		15		15.0	
عالية		90-64		60		60.0	
المجموع		100		100.0			
المتوسط الحسابي	الوسط النظري	الوسيط	الانحراف المعياري	معامل الالتواء	معامل التفرطح	أقل قيمة	أكبر قيمة
64.84	54	64.00	23.7	0.24	0.47	18.00	90.00

وقد أوضحت نتائج التحليل الإحصائي أن أفراد عينة الدراسة يرون أن درجة تعرض طلبة الشهادة الثانوية للاحتراق النفسي جاءت بدرجة عالية بنسبة (60.0%)،

الاحترق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية

ونسبة (25.0%) يرون أن درجة تعرض طلبة الشهادة الثانوية للاحتراق النفسي جاءت بدرجة منخفضة ، و نسبة (15.0%) يرون أن درجة تعرض طلبة الشهادة الثانوية للاحتراق النفسي جاءت بدرجة متوسطة . وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (نبيله باوية، 2012م) والتي ترى بأن مستوى الاحتراق النفسي لدى الطلبة مرتفع . وتتفق مع دراسة (أسمي عبد الحافظ الجعافرة وآخرون، 2013م) والتي ترى بأن هناك ارتفاع مستوى الاحتراق النفسي لدى الطلبة القاطنين في المنازل الداخلية، وذلك ضمن الأبعاد الثلاث (الإجهاد الانفعالي، تبدل المشاعر، نقص الشعور بالإنجاز) وذلك بدلالة واضحة إحصائيا . وتتفق أيضا مع دراسة (مجيدر بلال، 2017م) والتي ترى بأن الطالب الجزائري يعاني من احتراق نفسي.

إن الاحتراق النفسي هو استنزاف للطاقة النفسية المخزنة لدى الفرد ويؤدي به إلى حالة من عدم الاتزان النفسي (الاضطراب) التي تظهر نتيجة للضغوط النفسية الشديدة التي تسببها أعباء العمل ومتطلباته مما تنعكس آثاره سلبا بشكل مباشر على الطلاب التي يدرس فيها ولا يمكن التخلص منها إلا من خلال التعامل المباشر مع العوامل البيئية التي سببتها وليس من خلال التركيز على دور الفرد في مسابرة تلك المواقف (التكيف معها) . وبذلك فإن الطالب يعاني من احتراق نفسي، وهذا ما يؤثر سلبا على نجاحه وبلوغ أهدافه وتحصيله الدراسي، هذا الاحتراق النفسي كثيرا ما كان نتيجة لضغوطات كثيرة يعانيها الطالب في حياته اليومية سواء في المدرسة أو العائلة أو المجتمع فهو دائما ما يجد نفسه يتخبط في علاقات اجتماعية فاشلة مع الآخرين وفي بعده عن العائلة نتيجة التحاقه بالمدرسة، كما أنه يجد نفسه محاصرا بين متطلبات العمل من بحوث، وامتحانات تخرج والتزامات مما يشكل ضغطا كبيرا عليه، كما أن القلق من المستقبل والمصير الغامض الذي ينتظره بعد التخرج يخلق له اضطراب نفسي وصداعا يؤرقه كثيرا، كل هذه الضغوطات تؤثر سلبا عليه فيعبر عن عدم توافقه النفسي والاجتماعي من خلال الانسحاب الاجتماعي وتعذيب نفسه باللجوء إلى المخدرات والكحول والعنف وفقدان الثقة والقلق والاكتئاب والملل والإحباط .

الاحترق النفسى لدى طلبة الشهادة الثانوية

نتائج التساؤل الثاني : هل هناك فروق ذات دلالة احصائية بين أفراد العينة في مستوى الاحترق النفسى تعزى لمتغير النوع ؟

جدول (10) يبين جدول (10) التوصيف الإحصائي لأفراد عينة الدراسة لاختبار دلالة الفروق بين متوسطات فئات متغير النوع ودرجة تعرض الطلاب للاحتراق النفسى .

مستوى الدلالة	قيمة "t"	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	حجم العينة	النوع	تعرض طلبة الشهادة الثانوية للاحتراق النفسى
.000	11.412-	18.75944	46.9600	50	ذكر	
		11.79249	82.7200	50	أنثى	

من الجدول (10) تبين لنا أن مجموع أفراد عينة الدراسة الإناث سجلوا متوسطا حسابيا أعلى (82.7200) على الاحترق النفسى وأبعاده من الذكور سجلوا متوسط حسابي أقل (46.9600) ويتضح من الجدول (10) أن قيمة اختبار (t)، وهي قيمة معنوية عند مستوى دلالة (0.05)، حيث بلغت قيمة احتمال الخطأ المثبتة إزاءها (0.000)، هذا يشير إلى وجود فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة بحسب متغير النوع على الاحترق النفسى وأبعاده، وبما أن قيمة احتمال الخطأ أقل من مستوى الدلالة فإننا نرفض الفرض الصفري ونقبل الفرض البديل الذي ينص على وجود فروق دالة إحصائية بين النوع والإحترق النفسى وأبعاده لصالح أفراد العينة الإناث . تختلف هذه النتيجة مع دراسة (نبيلة باوية، 2012م) والتي ترى بعدم وجود فروق دالة احصائية بين متوسطات الطلبة الجامعيين تبعا لمتغير الجنس ومستوى الاحترق النفسى وأبعاده .

نتائج التساؤل الثالث: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة في مستوى الاحترق النفسى تعزى لمتغير التخصص العلمي ؟

الاحترق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية

جدول (11) يبين جدول (11) التوصيف الإحصائي لأفراد عينة الدراسة لاختبار دلالة الفروق بين متوسطات فئات متغير التخصص العلمي ودرجة تعرض طلبة الشهادة الثانوية للاحتراق النفسي .

مستوى الدلالة	قيمة "t"	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	حجم العينة	التخصص العلمي	تعرض طلبة الشهادة الثانوية للاحتراق النفسي
.000	11.872	18.63913	47.9245	53	أدبي	
	-	11.12738	83.9149	47	علمي	

من الجدول (11) تبين لنا أن مجموع أفراد عينة الدراسة الذين تخصصهم علمي سجلوا متوسطا حسابيا أعلى (83.9149) على الاحتراق النفسي وأبعاده من الذين تخصصهم أدبي سجلوا متوسط حسابي أقل (47.9245)

ويتضح من الجدول (11) أن قيمة اختبار (t)، وهي قيمة معنوية عند مستوى دلالة (0.05)، حيث بلغت قيمة احتمال الخطأ المثبتة إزاءها (0.000)، هذا يشير إلى وجود فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة بحسب متغير التخصص العلمي على الاحتراق النفسي، وبما أن قيمة احتمال الخطأ أقل من مستوى الدلالة فإننا نرفض الفرض الصفري ونقبل الفرض البديل الذي ينص على وجود فروق دالة إحصائية بين التخصص العلمي والاحتراق النفسي وأبعاده لصالح أفراد العينة الذين تخصصهم العلمي . وتختلف هذه النتيجة مع دراسة (نبيلة باوية، 2012م) والتي ترى بعدم وجود فروق دالة إحصائية بين متوسطات الطلبة الجامعيين تبعاً لمتغير التخصص . وتختلف مع دراسة (أسمي عبدالحافظ وآخرون، 2013م) والتي ترى بعدم وجود فروق دالة إحصائية في أبعاد الاحتراق النفسي تبعاً لمتغير التخصص الأكاديمي . وتختلف أيضاً مع دراسة (عبد الشعي، 2003م) والتي أشارت إلى عدم وجود أثر للتفاعل بين التخصص الأكاديمي على درجة الاحتراق النفسي قد يعود ذلك إلى طبيعة الدراسة، والتخصص الذي يدرسه الطالب، فالدراسة في الكليات العلمية أكثر صعوبة من الكليات الإنسانية، وبذلك نجد أن الطلبة في الكليات العلمية يتواجدون باستمرار مع بعضهم البعض لأخذ الملاحظات أو لإجراء التجارب العلمية، والمخبرية مما يعزز علاقاتهم الاجتماعية مع

الاحترق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية

بعضهم البعض مقارنة بطلبة الكليات الإنسانية، والتي يكتفي الطالب بالدراسة لوحده دون الاضطرار للرجوع لاحد الزملاء .

استخلاص أهم نتائج الدراسة: من خلال تحليل نتائج الاستبانة تستخلص الدراسة ما يلي:

1- تشير نتائج الدراسة أن أهم الأسباب المؤدية للاحتراق النفسي حيث جاء الاستنزاف الانفعالي في المرتبة الأولى بمتوسط الحسابي (68.57)، بينما جاء نقص الشعور بالإنجاز الشخصي في المرتبة الثانية بمتوسط الحسابي (57.68)، وفي المرتبة الثالثة جاء تبلد المشاعر بمتوسط حسابي (56.25) .

2- تشير نتائج الدراسة أن أفراد العينة يرون أن درجة تعرض طلبة الشهادة الثانوية للاحتراق النفسي جاءت بدرجة عالية بنسبة (60.0%).

3- تشير نتائج الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة بحسب متغير النوع ودرجة تعرض طلبة الشهادة الثانوية للاحتراق النفسي، وبما أن قيمة احتمال الخطأ أقل من مستوى الدلالة فإننا نرفض الفرض الصفري ونقبل الفرض البديل الذي ينص على وجود فروق دالة إحصائية بين النوع ودرجة تعرض طلبة الشهادة الثانوية للاحتراق النفسي لصالح أفراد العينة الإناث.

4- تشير نتائج الدراسة إلى وجود فروق دالة إحصائية بين متوسطات درجات أفراد عينة الدراسة بحسب متغير التخصص العلمي ودرجة تعرض طلبة الشهادة الثانوية للاحتراق النفسي، وبما أن قيمة احتمال الخطأ أقل من مستوى الدلالة فإننا نرفض الفرض الصفري ونقبل الفرض البديل الذي ينص على وجود فروق دالة إحصائية بين التخصص العلمي ودرجة تعرض طلبة الشهادة الثانوية للاحتراق النفسي لصالح أفراد العينة الذكور تخصصهم علمي.

- **التوصيات:** يوصي الباحث من خلال نتائج الدراسة بالتالي:

1- إنشاء مراكز داخل المدرسة الثانوية، لمتابعة مشاكل الطلبة النفسية منها والتربوية والمساعدة في حلها باعتماد على أخصائيين ومشرفين في المجال التربوي.

الاحتراق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية

- 2- تنظيم دورات تدريبية للطلبة في كيفية التعامل مع الضغوط المختلفة وتساعدهم على تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي.
- 3- خلق فضاءات للترفيه، ممارسة الرياضة والأنشطة التفاعلية للتخفيف والاسترخاء والهروب من ضغط الدراسة.
- 4- إجراء المزيد من الدراسات التي تشخص ظاهرة الاحتراق النفسي لدى طالب الشهادة الثانوية من خلال معرفة الأسباب المؤدية إليها، وبالتالي العمل على تفاديها أو التخفيف من حدتها.

- المقترحات: يقترح الباحث من خلال نتائج الدراسة بالتالي :

- 1- تنظيم برامج ودورات إرشادية توجيهية للطلبة في المؤسسات التعليمية لتعريفهم ببعض الأساليب والطرق التربوية النفسية التي قد تساعدهم على التوافق وسهولة الاندماج داخل المؤسسة التعليمية والمجتمع.
- 2- إجراء المزيد في البحوث المتعلقة بهدأ المتغير لدى هذه الفئة، لكن في زوايا أخرى لم تنطرق لها الدراسة الحالية.

الهوامش:

- 1- أحمد، سهير، سيكولوجية نمو الطفل، دراسات نظرية وتطبيقات عملية، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر. 1994، ص345
- 2- عبد الفتاح احمد حجاج، "نحو صيغة ملائمة لتطوير التعليم الثانوي"، دراسات تربوية، م (24)، 15-21، 1990، ص230
- 3- أنور حمودة البناء، عائد عبد اللطيف الربيعي، "مشكلات طلبة جامعة الأقصى بغزة من وجهة نظر الطلبة"، مجلة الجامعة الإسلامية فلسطين، 45، سلسلة الدراسات الإنسانية، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، 2006، ص50 .
- 4- أنور حمودة البناء، "المواقف الحياتية الضاغطة لدى طلبة جامعة الأقصى بمحافظة غزة مجلة جامعة الأقصى"، فلسطين، المجلد الثاني عشر، العدد الثاني، نوفمبر، 2008، ص222.

الاحترق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية

- 5- محمد مقداد محمد حسن المطوع، " الإجهاد النفسي واستراتيجيات المواجهة والصحة النفسية لدى عينة من طالبات جامعة البحرين"، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد الخامس، العدد الثاني، يونيو 2004. ص 26.
- 6- فرج عبدالقادر طه، علم النفس الاصطناعي والإداري، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، 2009، ص 24 .
- 7- كامل عباس وروضة الصباغ الضغط النفسي الذي يواجه طلبة المرحلة الإعدادية وعلاقتها بمفهوم الذات مجلة التربية والعلم، العدد 26، 2000، ص 163 .
- 8- فهد السيف، " محددات الأعباء المهني بين الجنسين، دراسة تطبيقية في المؤسسات الرعاية الاجتماعية ببعض المدن المملكة العربية السعودية " ، مجلة الإدارة العامة الرياض، المجلد 39 : العدد 4، 2000، ص 675-681 .
- 9- فاروق السيد عثمان، القلق والضغوطات النفسية، القاهرة، دار الفكر، ط1، 2001، ص 338.
- 10- فايزة عبد الكريم الفاعوري، الضغوط المهنية التي تواجه معلمات التربية الخاصة في الأردن " رسالة ماجستير غير منشورة" ، كلية الدراسات العليا، جامعة الأردن 1990، ص 95.
- 11- مهند عبد سليم عبد العلي، مفهوم الذات وأثر بعض المتغيرات الديمقراطية وعلاقتها بظاهرة الاحتراق النفسي لدى معلم الثانوية الحكومية في محافظة حنين ونابلس، رسالة ماجستير غير منشورة في الإدارة التربوية لكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية 2003، ص 151.
- 12- فريد مصطفى الخطيب، الاحتراق النفسي لدى معلمي الطلبة العاديين والموهوبين وذوي صعوبات التعلم والإعاقات الشديدة، المؤتمر العلمي الرابع لرعاية الموهوبين و المتفوقين، عمان، 2007، ص 11 .
- 13- احمد ماهر السلوك التنظيمي مدخل بناء لمهارات، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر 2002، ص 253.

الاحتراق النفسي لدى طلبة الشهادة الثانوية

- 14- هناء محمود الفريحات ، "الاحتراق النفسي لدى الطالب الجزائري، أسبابه، أعراضه، طرق التحقيق منه"، دراسة ميدانية لكلية الطب جامعة، مولود معمري، بنيزى وزو، مجلة دراسات وأبحاث الجزائر، العدد : 26، 2017، ص 201 .
- 15- نبيلة باوية" مستوى الاحتراق النفسي لدى الطالب الجامعي "، دراسة ميدانية على عينة من طلبة السنة الرابعة، قسم علم النفس بجامعة قاصدي مرياح "، ورقة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 08، 2011، ص 35 .
- 16- زينب محمود شنقير، "الضغوط النفسية والاحتراق النفسي لدى الطالبات الجامعة"، مجلة الإرشاد النفسي، جامعة عين شمس، العدد السادس، 2002، ص 50
- 17- أيمن قطب، "الاغتراب في ظل العولمة وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى عينة من طالبات كلية التربية بالمملكة العربية السعودية"، المؤتمر السنوي (12)، مركز الإرشاد النفسي، جامعة عين شمس، 2005، ص 85.

أ. عائشة أحمد المقطوف اوحيدة

Investigating Speaking Difficulties that Faced

**Investigating Speaking Difficulties that Faced by College
Students at Faculty of Education- Azzawia University/**

May, 2019

أ. عائشة أحمد المقطوف اوحيدة

كلية التربية- جامعة الزاوية

الخلاصة:

تعد مهارة التحدث من أصعب المهارات التي يواجه معظم المتعلمين فيها بعض الصعوبات والعوائق. في حقيقة الامر، يجد كثير من المتعلمين من الصعوبة بمكان التعبير عن انفسهم باستخدام اللغة الاجنبية. علاوة على ذلك، الكثير من هؤلاء المتعلمين يفتقرون الي توفر الفرص اللازمة للتمرن على هذه المهارة. و لأن مهارة التحدث تعتبر واحدة من العناصر الاساسية للتواصل، فهي تحتاج الى اهتمام و تعليم خاصين. لبيبا، كما هو الحال في العديد من الدول التي تُستخدَمُ فيها اللغة الانجليزية كلغة اجنبية، يواجه طلابها مشاكل حقيقية في كيفية تطوير هذه المهارة و التي تعيقهم اثناء تواصلهم شفهيًا مع بعضهم البعض. و للتحقق من وجود هذه المشاكل والصعوبات، تهدف هذه الدراسة الى القاء نظرة عن كثب حول الصعوبات التي تواجه طلاب الفصل الثالث بكلية التربية/جامعة الزاوية المسجلين للعام الجامعي-2017-2018. عند ممارستهم لمهارة التحدث و العوامل المؤثرة في هذه المهارة. تم استعمال الاستبيان كوسيلة جمع البيانات و الذي احتوى على عشرة اسئلة محددة الخيارات، كما تم تحديد العينة و التي ضمت هي الاخرى ثلاثين مشاركا. اظهرت النتائج ان الطلاب المشاركون يواجهون مشاكل جدية حيال مهارة التحدث. وقد يرجع ذلك للطرق التقليدية الخاطئة المتبعة التي يدرس بها الطلاب في المرحلة الجامعية، قلة الامكانيات، عدم توفر البيئة المناسبة لتمكن الطلاب من ممارسة اللغة بشكل صحيح من خلال إجراء محادثات باللغة الإنجليزية، و بعض العوامل النفسية العائدة لطبيعة كل طالب على حدة. استنادا على ما

أظهرته النتائج، تأمل هذه الدراسة ان تكون قد اسهمت و لو بالنذر اليسير في مساعدة الطلاب في تحسين اداءهم اثناء دروس مهارة التحدث.

Abstract:

Spoken language production is often considered one of the most difficult aspects of language learning (Brown & Yule, 1983). In reality, many language learners find it difficult to express themselves in spoken form of the target language. Moreover, most of them lack sufficient opportunities to practice their English-speaking skills. Speaking is one of the primary elements of communication. In EFL contexts, it requires special attention and instruction. Like other non-natives, Libyan English students might encounter certain problems in developing their speaking skills, which can prevent them from communicating orally when they are required to do so. Each student has their own problems. The purpose of this study is to investigate the speaking problems of the students at Faculty of Education- Azzawia University(enrolled for the academic year 2017-2018)and the factors affecting their speaking performance. This case study reports the findings of a questionnaire survey of the English speaking difficulties experienced by a group of 30 of third semester students. The research instrument used in this study was a questionnaire. The questionnaire consists of 10 closed questions which cover many issues related to English speaking problems such as: improper teaching method and material, lack of environment, and some psychological factors related to students themselves. Results are discussed. They indicate that students face serious difficulties with speaking skills. Based on the research findings some recommendations were made. The study was expected to help students improve their performance in speaking classes.

Keywords: Speaking, Speaking Skills, Speaking difficulties

Rationale

By speaking we do not mean merely uttering words through mouth. It means conveying the message through the words of mouth. This skill is also neglected by students in the classroom; they do not get any chance

either in the classroom or outside to speak English. Learning to speak also demands a lot of practice and attention. We learn to speak our mother tongue just by listening and repeating. In a similar manner, a foreign language is learnt by imitation and reproduction. Richards (2008:44) states that, "When people meet, they exchange greetings, engage in small talk, recount recent experiences, and so on, because they wish to be friendly and to establish a comfortable zone of interaction with others". This indicates that speaking fluently or being good in oral communication is a core aspect of human to stay connected to each other. Since language is an instrument of communication, there is no excuse for a language learner for not being able to speak the language learnt.

1. Introduction

1.1.Overview

Speaking is the active use of language to express meaning, and for EFL (English as Foreign Language) learners, the spoken language is the medium through which a new language is encountered, understood, practiced, and learnt. Rather than oral skills being simply one aspect of learning language, the spoken form in the young learner's classroom acts as the prime source of language learning. Al Hosni (2014). However, speaking problems can be major challenges to effective foreign language learning and communication. English as foreign language (EFL) learners, no matter how much they know about the English language, still face many speaking difficulties. Many studies have indicated that oral language development has largely been neglected in the classroom, and most of the time, oral language in the classroom is used more by teachers than by students. However, oral language, even as used by the teacher, hardly ever functions as a means for students to gain knowledge and explore ideas. To develop the knowledge to deal with oral communication problems in an EFL context, researchers first need to know the real nature of those problems and the circumstances in which 'problems' are constructed.

1.2.Statement of problem

Investigating Speaking Difficulties that Faced

In Libya, English is a compulsory subject learned by students; starts from third grade at primary level then junior, senior high school and university level. To learn a foreign language, students must learn language skills such as speaking, listening, reading and writing. As one of the skills in learning language, speaking enables people to send and receive information or messages to others. Speaking is a process of building and sharing meaning through the uses of verbal and nonverbal symbol in various contexts. Thornbury (2005). Like many students in other countries, Libyan students have difficulties and obstacles in learning English such as limitation of language exposure or input of language itself. In spite of spending many years of attending classes, students cannot speak English fluently; they still find difficulty to communicate in English. This difficulty can be related to many factors such as:

1. Most of the students study English from the examination point of view; they study only to pass their exams.
2. Most of the students depend on the class only and do not look for improving their speaking by any other way.
3. Some teachers do not use much activities and still use their own traditional method; bilingual method is adopted in language classes.

1.3.Statement of purpose

This study aims to:

1. Investigate and analyze the kinds of speaking problems that EFL students at Faculty of Education-Azzawia University face.
2. Classify the students' speaking difficulties and their causes.
3. Identify the reasons for these problems from the perspective of students.

1.4.Research question

In this research, to achieve the goals of the study, the following question will be addressed:

“Why do Libyan students graduate with a low English speaking level, and do not speak English fluently?”

1.5.Research hypothesis

Speaking problems constrain learners to communicate with others when they are involved in real-life situations and this may be due to the following:

1. Teaching methods during study.
2. Materials and tools used.
3. Lack of speaking chances

1.6. Delimitations of the study

The study has three limitations:

1. Delimitation of time: The study was carried out and applied in spring course of the academic year 2017/2018.
2. Delimitation of place: The study was applied and carried out in Faculty of Education-Azzawia University
3. Delimitation of Subject: The study will deal and discuss "Speaking Difficulties Encountered by English Language Students at Faculty of Education-Azzawia University and what the suitable solutions are?"

2. Review of related literature

- 2.1. What is speaking?** Speaking is defined by Harries (1969:18) cited in Juhana, (2012) as a 'complex skill requiring the simultaneous use of a number of different abilities which often developed out of different rules'. "Speaking" is the delivery of language through the mouth. To speak, we create sounds using many parts of our body, including the lungs, vocal tract, vocal chords, tongue, teeth and lips. Speaking is the second of the four, which are: 1. Listening 2. Speaking 3. Reading 4. Writing. This vocalized form of language usually requires at least one listener. When two or more people speak or talk to each other, the conversation is called a "dialogue". Speech can flow naturally from one person to another in the form of dialogue. It can also be planned and practiced, as in the delivery of a speech or presentation. Of course, some people talk to themselves! In fact, some English learners practice speaking standing alone in front of a mirror. Speaking can be *formal* or *informal*: i) Informal speaking is typically used with family

and friends, or people you know well. ii) Formal speaking occurs in business or academic situations, or when meeting people for the first time. Speaking is probably the language skill that most language learners wish to perfect as soon as possible. Most university students have problems of expressing their ideas in English accurately.

Speaking Skills

Every language has two kinds of skills. The first one is the receptive skill which involves two aspects: understanding (listening) and reading; and the second one is the productive skill, which involves writing and speaking. Bygate (1987) stated that “speaking is a skill which deserves attention as much as the literary skills in both native and foreign languages”. When students speak in a confident and comfortable way, they can interact better in real daily situations. It is even for students with elementary English language abilities. For us, developing fluency implies taking risks by using language in a relaxed, friendly atmosphere –an atmosphere of trust and support. Speaking fluently, of course, involves speaking easily and appropriately with others.

2.2.Aspects of speaking performance

Speaking becomes important because it is a skill that can make people easily understand things explained. High School students’ speaking ability is expected to be good because they have learned English since some years before, and they will have many performances related to oral skill in universities. But in fact, university students’ speaking ability is still low. It is difficult to them to fulfill some aspects of speaking performance such as:

1.Fluency: speaking ability is described as the ability to express a sequence of ideas fluently. Fluency can be measured by a *pausing factor* which is the total number of seconds of silence and time spent saying ‘um’ and ‘ah’. In this regard, Thornbury (2005) claims that people can be said as fluent speakers if they fulfill the following features:

a) Pauses may be long but not frequent

- b) Pauses are usually filled
 - c) Pauses occur at meaningful transition points
 - d) There are long runs of syllables and words between pauses
1. **Pronunciation:** Pronunciation becomes important because it gives meaning to what is being said. Wrong pronunciation may cause misunderstanding or people involved in a conversation are offended. Thornbury (2005:8) defines pronunciation as ‘the student’s ability to produce comprehensible utterances to fulfill the task requirements.’
 2. **Grammar:** Brown (2001:362) states that ‘Grammar is the system of rules governing the conventional arrangement and relationship of words in a sentence’. In relation to contexts, a speaker should consider the following things:
 - a) Who the speaker is
 - b) Who the audience is
 - c) Where the communication takes place
 - d) Styles and Registers
 - e) Implied versus Literal Meaning
 3. **Vocabulary:** During speaking, people normally choose words and expressions that express their attitude, and suit their needs.
 4. **Interactive Communication:** Brown (*ibid*: 269) suggests that most of the difficulties faced by EFL student in speaking are the ‘interactive nature of communication’. In speaking, especially when learners are having a conversation, they are engaging in a process of negotiation of meaning. Thus, learners usually have problems in how to say things, when to speak, and other discourse constants.
 5. **Appropriateness:** For appropriate communication, people should consider the following variables:
 - a) Topic
 - b) Participants
 - c) Gender
 - d) Channel

6. Complexity: Halliday (1985: 87) cited in Senel, (2012), from his point of view, it is wrong that written language is highly organized, structured, and complex while spoken is disorganized, fragmentary, and simple. The spoken language is complex in a different way. The complexity of written language is 'static and dense', while spoken is 'dynamic and intricate'. Brown (*ibid*) believes that what made speaking difficult was related to the type of information that had to be conveyed.

2.3.Importance of speaking skills

Why is the importance of speaking skills? While, according to Ur (1996:90), 'a picture may be worth a thousand words; those words will no doubt come in handy if the picture is distorted or poorly understood'. After all, the most effective way to communicate is through speech. Thus, speaking skills are a vitally important method of communication. He considered speaking as the most important skill among four skills (listening, speaking, reading and writing) because people who know a language are usually referred to as speakers of that language.

The aim of teaching English language in Libya is to enable students communicate with English speakers who use oral and written skills. However, such students fail to express themselves properly in speaking, despite the fact that they have a good repertoire of vocabulary. Teachers still use traditional methods of teaching and give more emphasis to reading and writing, while listening and speaking are almost neglected.

The use of English as a second language (ESL) or a foreign language (EFL) in oral communication is, without doubt, one of the most common but highly complex activities necessary to be considered when teaching English. Why is that necessary because we "live at a time where the ability to speak English fluently has become a must, especially who want to advance in certain fields of human endeavor". (AlSibai, 2004:3 cited in Al Nakhalah (2016)

2.4.Factors that cause speaking difficulties to EFL learners

Zhang (2009) cited in Juhana, 2012) argued that speaking remains the most difficult skill to master for the majority of English learners, and they are still incompetent in communicating orally in English. According to Ur (1996), there are many factors that cause difficulty in speaking, and they are as follows:

1. *Inhibition*: Students are worried about making mistakes, fearful of criticism, or simply shy.
2. *Nothing to say*: Students have no motive to express themselves.
3. *Low or uneven participation*: Only one participant can talk at a time because of large classes and the tendency of some learners to dominate, while others speak very little or not at all.
4. *Mother-tongue use*: Learners who share the same mother tongue tend to use it because it is easier and because learners feel less exposed if they are speaking their mother tongue.

2.5. Psychological factors that prevent students from speaking

Besides the aforementioned factors, there are some psychological factors that hinder students from practicing their speaking in English class such as:

A. Fear of Mistake

For many of researches, fear of mistake becomes one of the main factors of students' unwilling to speak in English in the classroom. Al Hosni (2014) adds that this fear is linked to the issue of correction and negative evaluation. In addition, this is also much influenced by the students' fear of being laughed at by other students or being criticized by the teacher. Therefore, it is important for teachers to convince their students that making mistakes is not a wrong or bad thing because students can learn from their mistakes.

B. Shyness

Shyness is an emotional thing that many students suffer from at some time when they are required to speak in English class. This indicates that shyness could be a source of problem in students' learning activities in the classroom especially in the class of speaking. Therefore, paying

attention on this aspect is also quite important in order to help the students do their best in their speaking performance in the classroom. Thornbury (2005).

C. Anxiety

Anxiety is a feeling of tension and nervousness. Horwitz(1991) cited in Al Hosni, 2014) believes that anxiety about speaking a certain language can affect students' performance. It can influence the quality of oral language production and make individuals appear less fluent than they really are. This explanation suggests that teachers should make an attempt to create a learning atmosphere which gives students more comfortable situations in their learning activity.

D. Lack of Confidence

Regarding this factor, Nunan (1999) says that students' lack of confidence usually occurs when students realize that their conversation partners have not understood them or when they do not understand other speakers: they would rather keep silent while others do talking. This shows that building students' confidence is an important part of teacher's focus of attention. This means that the teachers should also learn how to build the students' confidence.

E. Lack of Motivation

With regard to the issue of motivation in learning, Brown,(2001) stresses that motivation is important to notice in that it can affect students' unwilling to speak in English. In this sense, motivation is a key consideration in determining the preparedness of learners to communicate. He further adds that motivation is an inner energy. It has been proven in many studies that students with a strong motivation to succeed can persist in learning and gain better scores than those who have weaker motivation of success showing that building students' motivation to learn is urgent for every teacher.

2.6.Previous related studies

It is mentioned in the literature that, naturally, to speak means to produce some words representing one's ideas. It is a process of building

and sharing meaning through the use of verbal and non-verbal symbols, in a variety of contexts (Ur, 1996). In line with this issue, there have been some relevant researches conducted.

In Pakistan, although English language is being taught from nursery to tertiary level of education, the problems remain growing as students are unable to communicate properly in English. To explore the university students' difficulties in learning English language skills Kanwal, &Khurshid, (2012) conducted a study. In order to highlight the speaking difficulties, they developed a 27 items questionnaire was developed and it was administered to 200 randomly selected students of department of English. Collected data was analyzed. Results showed that overall university students require extra help in improving their English listening, skills. Moreover university students are not fully satisfied with their present course contents of English language and teaching methodologies.

Senel (2012) conducted a study on 32 Turkish EFL students to investigate their oral communication problems. The findings of the study revealed that the students believed such factors as instructors' interruption and error correction, lack of native instructors, instructors' methods and techniques of teaching, insufficient number of English courses and their inadequate content, and insufficient use of English outside the classroom hindered their progress in oral communication skills.

Another study on speaking skills problems of 566 Jordanian EFL students conducted by Al-jamal and Al-jamal (2014). The results of their study indicated that the principal problems Jordanian EFL students encountered in the way of developing their speaking skills were excessive use of L1, overcrowded classes and lack of sufficient time to practice speaking.

Hamad (2013) also examined English speaking skills problems of 150 female EFL students studying at the Saudi colleges for girls. The results of the study revealed that speaking skills problems from the participants' points of view included, among other factors, excessive use of L1, fear of speaking English, not using L1 when it is necessary to clarify some

issues, lack of sufficient exercises for developing speaking ability, inefficient teaching techniques of instructors and insufficient time to speak in speaking classes.

In the same vein, Soureshjani and Riahipour (2012) conducted an inquiry into 215 Iranian EFL students' and EFL instructors' attitudes regarding speaking skills problems. The findings of the study revealed that students believed that the lack of teaching equipment, class facilities and instructors were among problem-causing factors for the development of their speaking skills while instructors believed that the instructors, the amount of time allocated for speaking classes and the classroom atmosphere were among problematic factors for speaking skills.

Another research study regarding this issue, Al Nakhalah (2016) conducted a study which aimed at exploring the speaking difficulties and the causes of such difficulties encountered by English language Palestinian students, more specifically in Gaza, at Al Quds Open University. The researcher used the experimental method so as to show and measure the speaking difficulties encountered by those learners. The researcher designed an interview to be applied on the sample of the study. Such interview will be applied for each student to investigate speaking difficulties and the causes of such difficulties. The results showed and indicated there some difficulties in the speaking of the students due to some reasons such as use of mother tongue, shyness, motivation and lack of confidence.

As for Libyan context, Abdallaha (2018) carried out a study dealing with speaking difficulties that face Libyan EFL university students during the spoken English course. The focus was on the first year university students at the faculty of Arts and science English Language Department in Al Kufra. The purpose of her study was to investigate and analyze the speaking problems that Libyan university students face, and then identify the reasons for these problems from the perspective of teachers and students. The analytical descriptive method was used and the questionnaire was used to gather the data which represent both the

students' and teachers' attitudes. The primary data was collected using questionnaire, and the analysis of the responses showed that first-year students face many problems in learning spoken English as a skill within their EFL degree programme at the faculty of Arts and Science – Al Kufra

As the literature illustrates, a multitude of factors in EFL contexts can inhibit EFL students' progress in developing their speaking skills. Therefore, the first step in solving the problems is to identify the problems preventing EFL students from developing their speaking skills.

3. Methodology

3.1. Background of the study

In Libya's education system, students begin studying English in primary school, and Grammar Translation Method (GTM) is primarily employed to teach English, which indicates that speaking and listening skills are of secondary importance in the education system of the country. Moreover, in the BA programs in Libya, which normally last for four years in total, listening and speaking skills courses have to be taken during the first and second years of their academic studies (or 1st, 2nd, 3rd, and 4th semesters). The underlying assumption for selecting EFL third semester students for the present study was to investigate whether their speaking skills problems would change after years of studying English from elementary to tertiary level.

3.2. The Sample of the Study

The participants of the study are 30 third semester students enrolled in spring course of the academic year 2017/2018 at Faculty of Education- Azzawia University. They are randomly selected to answer the questionnaire. Their ages range between 18 and 20 years. There are twenty-five females and five males in this study. For the purpose of validity and reliability, all of the participants are selected from the same educational background, previous educational experience, and learning context. All of them received formal instruction in English language for about nine years. They also took two speaking courses as regular courses

on the time table for second and third semesters. Moreover, neither the participants had received any English language instruction in English speaking countries nor had they been to any English speaking countries to have any kind of English exposure.

3.3. Instruments (Method of Data Collection)

The research instrument employed to collect data for this study is a student questionnaire. The questionnaire consists of 10 closed-question designed in English and which focuses on speaking difficulties that encounter Libyan college students (See appendix A).

3.4. Procedure

The questionnaire was administered to the EFL students, who were told there would be no right/wrong answers, and also received an assurance that their answers would have no effect on their academic scores. Although the required instruction was given on the front page of the questionnaire, the participants were provided with further explanation on how to complete it. They were also informed that there would be no time limit for completing the questionnaire; however, it took, on average, 30 minutes to complete the questionnaire.

3.5. Data Analysis and Discussion of results

The quantitative data derived from the student questionnaire were analyzing using descriptive statistics of frequencies and percentages in order to answer the research question, as follows:

Q1. Do you speak English during the class?

The answers to this question indicate that 19 (63%) of the participants choose *Sometimes*, 6 (20%) of them choose *Yes*, and only 5 (17%) answer *No* (see figure 1). The results show that the majority of students are not really satisfied about their participation in speaking during class. The reasons behind that may be related to: anxiety, fear of mistakes, lack of confidence, lack of vocabulary, relying on L1, etc.

The finding is shared to a great extent by Senel's (2012) findings of excessive use of L1 and lack of confidence.

Investigating Speaking Difficulties that Faced

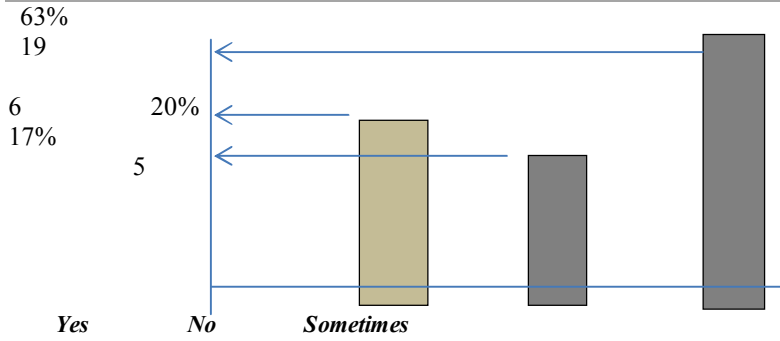


Fig. 1: statistical analysis of Question 1

Q2. Does your teacher use any classroom activities during lesson?

For this question, 18 (60%) of students answer **Sometimes**, 8 (27%) choose **No**, and 4 (13%) say **Yes** (see figure 2). It seems that teachers do not use that much of classroom activities during lessons. This is maybe because teachers still use old traditional methods of teaching or because of lack of tools and materials. These findings are supported by Abdallaha's (2018) study, in which, he found that Libyan EFL University students were studying English as a compulsory course which encouraged a negative attitude in learning a foreign language. The course-books used in the classroom at primary and secondary schools include insufficient speaking activities. Also, these findings are supported by a study on speaking skills problems of Jordanian EFL students by Al-jamal and Al-jamal (2014). The findings of their study revealed those instructors' methods and techniques of teaching and their inadequate content hindered students' progress in oral communication skills.

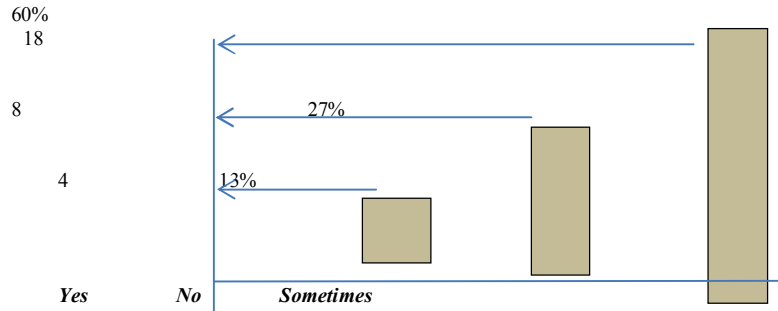


Fig. 2: statistical analysis of Question 2

Q3. How much does your teacher speak in each lesson?

8 (27%) say **60 minutes**, 3 (10%) choose **30 minutes**, and 19 (63%) of students choose **More** (see figure 3). The results show that teachers do speak during most of the class time, and students do not get chance for improving their speaking skills. Hamad (2013) found that insufficient time to speak in speaking classes, among other factors, was a problem-causing factor for the students' development of their speaking skills.

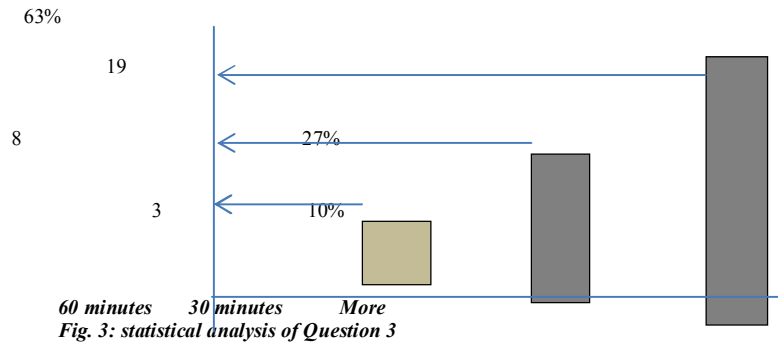


Fig. 3: statistical analysis of Question 3

أ: عائشة أحمد المقطوف اوحيدة

Investigating Speaking Difficulties that Faced

Q4. How do you evaluate the English language of your teacher in general?

23 (77%) answer **Good**, 6 (20%) answer **Very Good**, and only one participant chooses **Poor** (see figure 4). The analysis of the answers to this question reveals that there is no problem with teachers as English instructors.

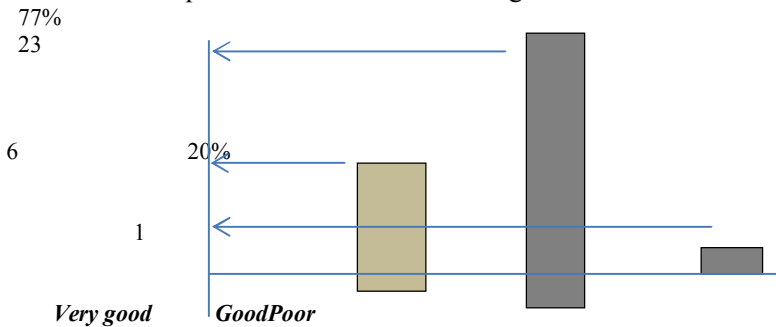


Fig. 4: statistical analysis of Question 4

Q5. Do you have any motivation to speak English?

25 (83%) say **Yes**, and 6 (17%) answer **No**. (See figure 5). The results show that most of students are motivated to speak English and willing to improve their language.

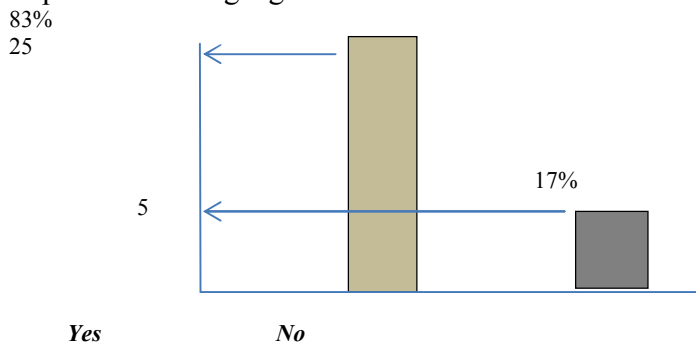


Fig. 5: statistical analysis of Question 5

Q6. Do you have a chance to speak with native English speakers out of school/university?

16 (53%) participants answer *Never*, 9 (30%) answer *Sometimes*, and 5 (17%) of them choose *Not much*(see figure 6). The majority of students do not have chances to practice speaking with foreigners. This is because Libya is not a tourist country (lack of environment)

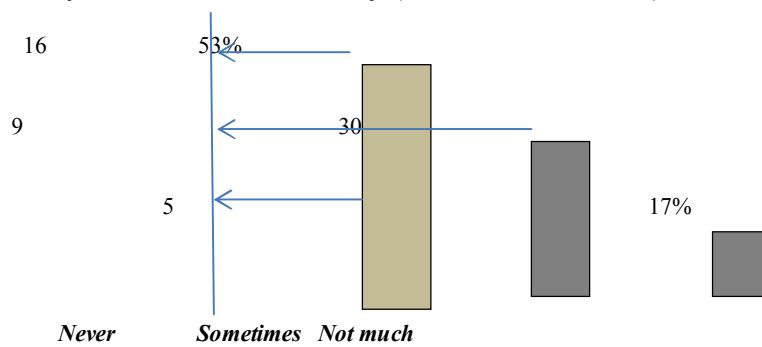


Fig. 6: statistical analysis of Question 6

Q7. Have you taken any English courses out of school/university?

21 participants (70%) answer *No*, whereas only 6 (20%) say *Yes*. (See figure 7). The results of this question indicate that most of students are not taking any English courses to improve their speaking skills. The reason behind that can be the low income of their families or lack of motivation. Same findings shared by Senel (2012) who found during his study, and among many factors, that insufficient use of English outside the classroom hindered student's progress in oral communication skills.

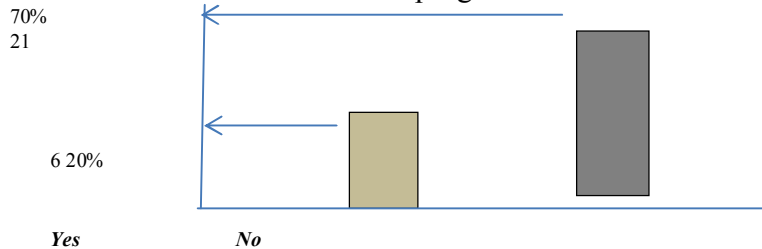
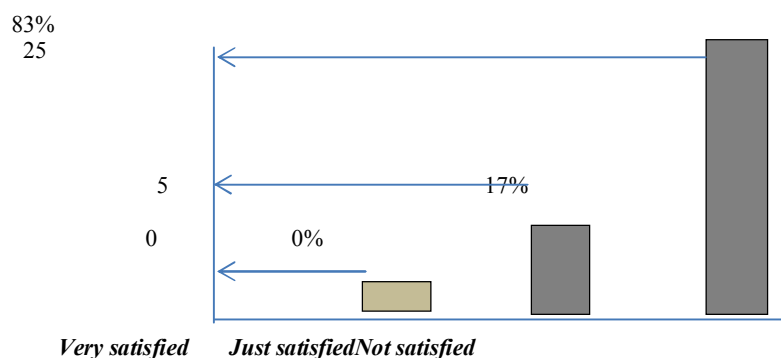


Fig. 7: statistical analysis of Question 7

Q8. How much satisfied are you with material, tools and equipment provided for learning English in your college?

25 (83%) of the participants choose *Not satisfied*, 5 (17%) *Just satisfied*, and 0 (0%) of them answer *very satisfied* (see figure 8). This means that most of the students are not satisfied with tools and equipment used in English department. This is either because they are very used or not even provided. Also, these findings corroborated Soureshjani and Riahipour's (2012) findings to a great extent whose study revealed that students believed that the lack of teaching equipment, class facilities were among problem-causing factors for the development of their speaking skills.



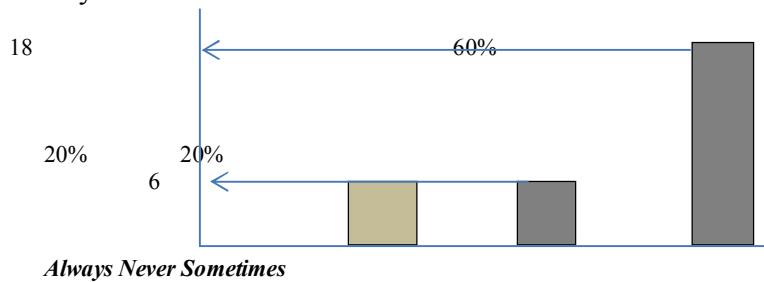
Very satisfied Just satisfied Not satisfied
Fig. 8: statistical analysis of Question 8

Q9. Do you use mother tongue while speaking English?

18 participants (60%) answer *Sometimes*, 6 (20%) say *Always*, and also 6 (20%) choose *Never* (See figure 9). The responses to this question ensure that the majority of the students use mother tongue, which means that they do not have much of chances to listen to native English speakers and learn how to speak English correctly. These findings are supported by results of Kanwal, &Khurshid, (2012)'s, who found out that majority of students are failed to speak English fluently. Cause of this factor that they develop habit of translating from primary classes. They think first in their

أ: عائشة أحمد المقطوف اوحيدة

Investigating Speaking Difficulties that Faced native language and then, translate it into English. So, they can't speak fluently.



Always Never Sometimes
Fig. 9: statistical analysis of Question9

Q10. Problems of speaking English that are related to the following reasons:

21 participants (70%) choose *a. 'You feel afraid or shy to speak English in front of your partner/teacher'*. , 7 (23%) answer *b. 'Lack of confidence'*, whereas only 2 (7%) say *c. 'You are weak and cannot communicate'* (See figure 10). This means that the main problem of students is that they are either afraid of making mistakes or shy, when they speak English in front of people. The same results reached by Al Nakhalah (2016), who found out that the students face difficulties due to some reasons such as use of mother tongue, shyness, motivation and lack of confidence.

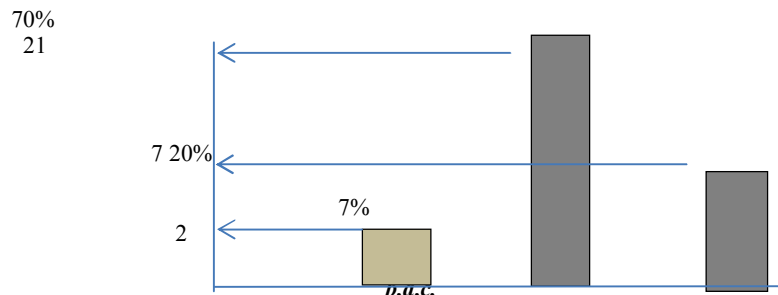


Fig. 10: statistical analysis of Question 10

In summary, the results indicated that there were a variety of factors that affect the students' speaking performance. The results from student questionnaire showed that most of the students thought that their speaking performance was affected by their fear or shyness. In addition, the students thought that they needed to be confident to perform well. Last but not least, the students reported that their performance was also affected by inability to communicate during speaking activities and the pressure to perform well.

All over the study, we try to answer the research question which is 'Why do Libyan students graduate with a low English speaking level, and do not speak English fluently?' The results of the above figures reveal that reason of failure in speaking English of majority of students, among other factors, is **Lack of practice**. For every skill, practice is required. They do not have sufficient practice in speaking skill. Because, they do not have such an environment in which they make practice. The results of above figures reveals that majority of students are agreed upon the point that they do not get chance for practice or improving their speaking skills. Teachers do not provide them chance for improving English speaking skills during class time. Moreover, the results of the above figures tell that most of students do not like to speak English in class. There may be two possible reasons of this. Either they have **lack of confidence** and feel hesitation while speaking or they do not know how to speak English.

4. Methods to improve your speaking skills as an EFL learner

Based on the results of the study, some recommendations can be made to:

1. To EFL Students to overcome their speaking problems:
 - a) **Surround yourself with English:** the absolute best way to improve speaking skills is to surround you with it. Listen to English radio broadcasting, watch English news, movies, television and speak with your friend whenever you can.
 - b) **Watch English films and TV:** this is not only a funny way to learn but also very effective. Watching films is a great way to learn English.

You can turn the subtitle on and play back again and again until you understand or you can follow what is being said. TV can be a lot harder to follow but can be good if you watch the same program each week. Watching TV not only gives you the chance to hear something correctly for the first time, but also it can be great practice for listening to native English speakers.

- c) **Speak English as often as possible:** if you have native speakers or friends speaking English fluently, you should speak with them whenever you can. This helps you to get rid of fear and gain more trust of yourself. Conversation is a good training which makes a good speaker of you. Summer, & Amanda, (2010) insist that it is widely agreed among education experts that the best way to learn to speak foreign language is to engage in natural conversation with native speakers of the language.
- d) **Listen to native speakers as much as possible:** according to Goh (2007), radio and TV are great ways to improve your English. Television programs generally divide up into different subjects, such as movies, documentaries, the news, soap operas, comedy and so on. Choose the type of program that you really like and watch it as regularly as possible.
2. To English Teacher: encourage the students to speak English in English class, not using their mother tongue. Get them to read the English book or English dictionary to enrich their vocabulary knowledge.
3. The next researchers are suggested to find more difficulties and the factors contributing to students' difficulties in speaking English, then find the best solution to overcome those matters.

5. Conclusion

English is important as an international language. It is also called the major window on the world, which means that English gives us the view of the various progresses taking place in the world. Ten years of school study and four years college study do not make students mastery over

English. While they are in schools as well as colleges English is not taught properly: bilingual method is adopted in language classes. This method helps only to slow learners to some extent. Moreover, this act reduces the real learning process as a whole. To learn English requires constant practice and patience. Most of the students study English from the examination point of view, so they are not able to produce even a single sentence without grammatical error. Furthermore sufficient practice is not given to students to learn a language.

The aim of this study is to investigate factors that become student's obstacles to speak English. Furthermore, the causes of the factors and the possible solutions to overcome the obstacles are also covered in this study. Previous researches such as online articles and journals have been examined as resources in order to identify and analyze the issues minutely.

In general, from the results of the investigation, it was evident that students at Faculty of Education-Azzawia University encountered many problems in learning and mastering speaking skills. Moreover, there were many factors that contributed to their success and failure in performing speaking tasks which needed to take important steps toward improvements.

Overall it can be concluded that, most students believed that the lack of practice was the main factor causing an obstacle for them to speak English. As for suggestions, the teachers should encourage students to participate in speaking activities and create an English speaking environment. As for the students, they should first understand the importance of speaking skills. Their awareness of their studies may result in their motivation for learning. Secondly, they should practice speaking English outside the classroom more often by doing the speaking tasks in the textbook at home with their classmates, joining speaking club where they can use English to communicate and speaking on their own in front of a mirror. Finally, they should use English in the class instead of Arabic to make it a habit.

References

1. Abdallaha, N. (2018). *Speaking Difficulties that Face Libyan EFL University Students: A Case study of first year students at Faculty of Arts and Science – Al Kufra*. Human and Community Studies Journal. Volume 6. 2018
2. Al Hosni, S. (2014). *Speaking difficulties encountered by young EFL learners*. International Journal on Studies in English Language and Literature, 2(6), 22–30.
3. Aljamal, D., & Aljamal, G. (2014). *An investigation of the difficulties faced by EFL undergraduates in speaking skills*. English Language Teaching, 7(1), 84–89.
4. Al Nakhalah, A. (2016) *Problems and Difficulties of Speaking That Encounter English Language Students at Al Quds Open University*. International Journal of Humanities and Social Science Invention ISSN (Online): 2319 – 7722, ISSN (Print): 2319 – 7714 www.ijhssi.org ||Volume 5 Issue 12||December. 2016 || PP.96-101
5. Brown, D. (2001). *Teaching by Principles. An Interactive Approach to Language Pedagogy*. Englewood Cliffs: Prentice Hall.
6. Brown, G., & Yule, G. (1983). *Teaching the Spoken Language*. Cambridge: Cambridge University Press.
7. Bygate, M. (1987). *Speaking*. Oxford: Oxford University Press.
8. Goh, C. (2007). *Teaching speaking in the language classroom*. Singapore: SEAMEO Regional Language Center.
9. Hamad, M. M. (2013). *Factors negatively affecting speaking skills at Saudi colleges for girls in the south*. English Language Teaching, 6(12), 87–97.
10. Juhana, *Psychological Factors That Hinder Students from Speaking in English Class (A Case Study in a Senior High School in South Tangerang, Banten, Indonesia)* Journal of Education and Practice Vol 3, No 12, 2012

أ: عائشة أحمد المقطوف اوحيدة

Investigating Speaking Difficulties that Faced

11. Kanwal, A. & Khurshid, W. (2012) *Trends in LIS education and research in Pakistan: Case of Pakistan*. https://www.researchgate.net/publication/290942382_Trends_in_LIS_education_and_research_in_Pakistan
12. Nunan, D. (1999). *Second Language Teaching & Learning*. USA. Heinle & Heinle Publisher.
13. Richards, C. (2008). *Teaching Listening and Speaking from Theory to Practice*. New York: Cambridge University Press.
14. Senel, M. (2012). *Oral communication anxiety and problems of Turkish EFL learners at Samsun 19 Mayıs University, ELT department*. *Frontiers of Language and Teaching*, 3, 49–58.
15. Soureshjani, H., & Riahipour, P. (2012). *Demotivating factors on English speaking skill: A study of English language learners and teachers' attitudes*. *World Applied Sciences Journal*, 17(3). 327–339.
16. Summer, X. & Amanda, J. (2010). *How to Improve Spoken English*. [Online] Available: <http://sites.google.com/site/languagejournal/Home/how-to-improve-spoken-English> (February 19, 2010)
17. Thornbury, S. (2005). *How to teach speaking*. Essex: Pearson Education
18. Ur, P. (1991). *A Course in Language Teaching: Practice and Theory*. Cambridge: Cambridge University Press.
<http://saptaabimanyu.blogspot.com/2013/02/aspects-of-speaking-performance.html>

Appendix I: Questionnaire Used in the study Students' Questionnaire

Dear students,

We would be very grateful if you could answer the following questions for the sake of our study about English speaking difficulties that face Libyan college students and different factors that affect your participation and, consequently, your oral proficiency in the oral expression module. It

أ: عائشة أحمد المقطوف اوحيدة

Investigating Speaking Difficulties that Faced

will be used as a base for the study being conducted through Faculty of Education-Azzawia University. *Thank you for participation*

Name: **Age:**

Instructions : Please, put a tick (☑) in the corresponding box and answer the following questions in a sincere way.

Q1. Do you speak English during the class?

- a. Yes b. No c.
Sometimes

Q2. Does your teacher use any classroom activities during lesson?

- a. Yes b. No c.
Sometimes

Q3. How much does your teacher speak in each lesson?

- a. 30 minutes b. 60 minutes c. More

Q4. How do you evaluate the English language of your teacher in general?

- a. Very good b. Good c. Poor

Q5. Do you have any motivation to speak English?

- a. Yes b. No

Q6. Do you have a chance to speak with native English speakers out of school/university?

- a. Sometimes b. Not much c. Never

Q7. Have you taken any English courses out of school/university?

- a. Yes b. No

Q8. How much satisfied are you with tools and equipment provided for learning English in your college?

- a. Very satisfied b. Just satisfied c. Not satisfied

Q9. Do you use mother tongue while speaking English?

- a. Always b. Sometimes c. Never

أ: عائشة أحمد المقطوف اوحيدة

Investigating Speaking Difficulties that Faced

Q10. Problems of speaking English that are related to the following reasons:

- a.*** You are weak and cannot communicate by using English.
- b.*** You feel afraid or shy to speak English in front of your partner/teacher.
- c.*** Lack of confidence.